

محرك الدمى



دار دريم بن للطباعة والنشر

العنوان : مدينة العبور - الحي السادس فيلا ٨ مدخل ١

هاتف : ٠١٠٠٠٣٢٨٨٥٩٦

بريد إلكتروني : ٩٢@gmail.com@yahoo.com@Dream.pen

محرك الدمى (رواية)

صفية محمد الجيار

الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠١٩ م

غلاف : عمار جمال

التصميم الفني: أحمد العدل

رقم الإيداع : ٢٠١٩/٢٥١٣٩

I.S.B.N : ٩٧٨-٩٧٧-٨٥٦٠٥-٤-١

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل من الأشكال، أو وسيلة من وسائل نقل المعلومات، ولا يجوز تداوله إلكترونياً نسخاً أو تسجيلاً أو تخزيناً، دون إذن خطي من الدار

محرك الدمى

رواية

صفية محمد الجيار



دريم بن

للترجمة والنشر والتوزيع والطباعة

عندما يسرق منا الموت أحبتنا ..
عندما نفترق عن أحدهم وتتبدد أحلامنا ..
لا نفقد عقولنا وإنما نفقد قلوبنا ..
تفقد أرواحنا مصدر الحياة وتتلاشى بسمتنا ..
فرفقًا بقلوبٍ أنهكها البكاء....

إهداء

إلى تلك الروح الراحلة إلى السماء..

فاق وجع رحيلك قدرة تحملي .. لكني تذكرت عهدي فتماسكت
.. وقررت المضي قدماً وتحقيق ما حلمت به يوماً.

إلى صغيري ليكن دربكما مفتوحاً .. لتتعانق أيديكما ..

وليكن موضع خطاكما نهراً من الخير والأمل .. ولتتحقق
أحلامي بنجاحكما وسعادتكما ..

كل ما فعلت وسأفعل كان لتقفا وتشيرا إليّ وتقولاً هذه أُمي.

إهداء

إلى ملاكي الحارس لولاك ما كان هذا العمل موجودًا.

إلى دكتورة شيماء جاد....

إلى أصدقائي وعائلتي وكل من قدم لي النصيحة وتعلمت على يده

وكان بجانبني .. إلى كل من قال لا تقلقي نحن معك .

صفية الجيار

الفصل الأول

محرك الدمى

سئمت محادثة الأحياء وأصبحت تشعر بالغربة بينهم فخاصم الأمان روحها في غيابه، هربت منها طمأنينتها منذ أن أغمض عينيه فقررت أن تبحث عن ضالتها بجانبه، شبهتها بطفل صغير افترق عن أمه ولم يعتد الحياة بدونها بعد، سمعتها تُقسم ألا تهجره أبداً و ستمسك بقربه ولن تسمح للفراق أن يحدث فجوة بينهما، عانددت القدر وتمسكت به رغم جسده الفاقد للحياة وروحه الساكنة، رغم فقدان الجميع الأمل منه إلا أنها تمسكت بأملها وحاربت الجميع ومعهم القدر، وأمنت بعودته المستحيلة..

استحالة عودة الأموات إلى الحياة بعد الوفاة بسنوات، هو جسد بلا روح في غيابها، لكن في حضورها يتغير الأمر، تثبت البهجة في الأرجاء، تتحدث وتتحدث ولا تتوقف عن الحديث والحركة إلا بعد أن يغلبها النعاس بجانبه، بعد أن تكون قد أفضت بكل ما حدث في يومها، ما أحزنها وما

جعلها تشعر بالفرح، من ضايقتها، ملابسات قضاياها، تشكو له
انشغال والديها عنها، تشاركه يومها بكل تفاصيله وتعفو بجانبه
إلى أن يحل الصباح فتركض ذاهبة إلى منزلها تتجهز وتتناول
إفطارها في عجالة، ثم تنغمس في عملها الى أن يحل الليل وتبدأ
حياتها الخيالية معه، الخالية من الحياة تمامًا والمليئة بالجنون، وما
إن يتجراً أحد على التحدث في الأوهام التي تعيشها حتى تتحول
من «أسوة» الملاك البريء إلى فتاة تخطت مرحلة الجنون بكثير،
تتحول إلى وحش كاسر سيفتك بفريسته، وهذا ما كان يعلمه
الجميع ومن بينهم أنا بفعل تواجدي بالقرب منها .

هذه حالة «أسوة» التي اكتشفتها أثناء معاصرتي لحزنها
وفرحها، لبكائها وضحكها، فالأشهر التي قضيتها في متابعتها
كانت كفيلة أن أكون ملماً بما تكنه للآخرين وما يزعجها، ما
يجعل قلبها يتراقص فرحاً، لليالٍ طوال تابعتها في صمت حتى
صارت جزء لا يتجزأ من يومي، وحالتها تلك كانت تشبه كثيراً
حالتي، فأسوة كانت ترفض رحيل نصفها الآخر وتتمسك به
وتأمل بعودته إليها يوماً ما، وأنا أيضاً أرفض الرحيل رفضاً تاماً،
لن نفترق، هذا ما أعلمه حتى وإن رحل أحدنا سنجتمع بالنهاية،
الاختلاف الوحيد بيننا هو أنها تنتظر عودته، أما أنا فأنتظر
رحيلي واجتماعي بنصفي الآخر، لكنني عاهدت ذاتي لن أرحل

من هذه الدنيا بمفردي، بل سأخذ الجميع معي، دعونا نقول أننا
برحلة على متن سفينة وربان السفينة هو من سيغرق جميع
الركاب كل على حده بعد أن يصيبهم بالجنون، رحلتنا هي الرحلة
التي لن ينجو منها أحد، الجميع سيحظى بنفس المصير، وستبقى

السفينة مليئة بأشباح الدمى.

مؤكد تتساءلون الآن من أنا، من هذا الثرثار المتباهي؟

حسناً سأطلعكم على هويتي على الرغم أنني كنت قد نويت سابقاً إصابتكم بالجنون مع ركاب السفينة «الدمى»، لكن ليكن أحبذ التلاعب بعقلية الجميع وأنتم من بينهم، أنتم جمهور مسرحيتي، ستشهدون البداية وستكون النهاية غير ما تتوقعون، والتي كنت قد أقسمت أن تنتهي بانتهاء المشهد الأخير على متن سفينة الموت.

أنا محرك الدمى «الماريونيت» فقدت دميتي بطريقة بشعة أوصلتني إلى حد لا يتخيله أحد، فبدأت الحرب برأسي منذ الوهلة الأولى، تعاون الجميع في خطة الانتقام مني على ذنب لم أقترفه، انتقموا مني بأبشع الطرق، سرقوا دميتي الوحيدة فأقسمت أن أحرکهم جميعاً بين أصابعي كالدمى، سأجمع الخيوط وأعقدهم بأناملي، سأصعد إلى الأعلى، أضع الخطط وأشرع بتنفيذها، سأراقبهم، هناك من سيبيكي وآخر سيفقد، بينهم سيكون قاتل وآخر مقتول، ظالم ومظلوم، ضحية وجلاد، سأزرع الشك بقلوب كل منهم تجاه الآخر، لكن بالنهاية سيصابون بالجنون، وسيلقي الجميع نفس المصير، هي حرب أنا من يقودها ويدبرها ويوجه الجميع، هي معركة كل جندي بها سيلجأ إلى قتل الآخر حتى يحافظ على روحه، ومن يموت أولاً سيكون ذنبه أقل، أما من يبقى للنهاية فهو أكثرهم وأقبحهم ذنباً، ومن بعدها سأغرق السفينة وأكشف الجميع وأرحل عن طيب خاطر.

لن أكون مستبدًا، سأعطيهم الحرية المطلقة لرسم تصوراتهم عن

بعضهم البعض وعما يدور، سأتركهم ليعتقد كل منهم أنه على صواب و أن الجميع مخطئ، ليعبر كل منهم عن رأيه، سيصابون بالجنون عند محاولتهم التعرف على هويتي ولكن لن أسمح لهم بهذا حتى وإن كلفني الأمر حياتهم جميعًا وهذا ما سيحدث بالنهاية، سأتركهم يثرثرون كما يشاءون، لكن عندما أتحدث سأخرس الجميع، سيسلط الضوء علي، الصوت الوحيد الذي سيسمع هو صوتي، والكلمة الأخيرة ستكون كلمتي.

قال أحدهم ذات يوم

”محرّك الدمى يبعث الحياة إلى عرائسه“

أما أنا سأخذ منهم الحياة وأهديهم الشك ثم الجنون وختامًا الموت، لكن أعدكم أنتم جمهور مسرحيتي و الجنون فقط سيكون من نصيبكم، والأُن لتبدأ المسرحية.

الفصل الثاني

أسوة

لعل أسوأ ما يمر على فتاة في مقتبل عمرها هو أن تفارق الحياة وما زالت تتنفس، أن تموت طوال اليوم وتصبح آلة فقط تعمل نهارًا دون توقف و تدب الروح في جسدها فقط في ساعات الليل، لذلك لا أغضب من "رحمة" عندما كانت تنعتني بالكائن الليلي، فهي لم تخطئ، أنا بالفعل هكذا والأسوأ أني كنت أعيش بخوف مستمر وقلق قاتل، أشعر بالخطر ولا أعلم من أي اتجاه يأتي، أرى أشياء وفي لحظة تختفي، الجميع يتهمونني بالجنون ولا أبالي، يكفي أن أبقى بجانبه، لكن أن أرى أشياء وأجزم أنها موجودة ثم تختفي فجأة فهذا هو الجنون أو الطريق الذي سيؤدي إلى الجنون.

هذا ما كنت أفكر به وأنا أجلس بغرفة مكتبي أرثي ما وصل إليه حالي لذاتي، أشعر بالخوف، خافقي لا يتوقف عن النبض سريعًا، ألهمت من كثرة البكاء كاني أركض لأميال، أكاد أجزم أن أنفاسي كانت ستتقطع بهذه اللحظة، التهم أظافري من فرط التوتر فسابقًا كنت أفنقه، أفنقه حنانه، مزاحه، وجوده، همسه، صوت ضحكته، أحاديثنا الليلية، خوفه عليّ، غيرته المستمرة، أما في تلك اللحظة

كنت أخشى الفراق، أقلق حياله، أموت رعباً أن يأخذه أحد مني.

كنت أنحني بجسدي وأستند بذراعي على المكتب، وأضع وجهي عليهما وأذرف الكثير من الدموع، شاردة بمخاوفي تلك، استفتقت من شرودي على صراخ أحدهم باسمي، ابتلعت ريقي بصعوبة ثم رفعت وجهي بوهن نتيجة للأرق الذي أعانيه منذ أشهر، نظرت إلى الأعلى وأنا أكفكف عبراتي، لمحت القلق والخوف بعين "رحمة" وتأكد ما رأيته عندما قالت:

__ "أسوة" ما بك حبيبتي، هل حدث شيء؟ لم أرك منذ يومين، لما اختفيت هكذا؟

أعلم جيداً أن إجابتي على أسئلتها تلك ستجلب الصداخ إلى رأسي وستظل تثرثر في وقت أحتاج فيه أن أهدأ وأستجمع قواي فقررت التهرب منها وقلت:

__ ما كل هذه الأسئلة؟ اخفضي صوتك من فضلك، لا يوجد شيء، اختفيت وحسب.

تبدلت نظراتها وأصبح الغضب جلياً على ملامحها، هي صديقتي أعلم جيداً أنها تقلق حيال أمري، نحن لا نعد أصدقاء فقط وإنما أقرباء أيضاً، فهي ابنة خالي «طارق»، تربينا معاً ثلاثتنا، عشنا أياماً جميلة لا ننسى، كانوا يطلقون علينا «الثلاثي المرح» والآن افترق ثلاثتنا ولم يعد هناك ثلاثي مرح، تلاشي الفريق وحل مكانه الثلاثي المفترق.

وضعت «رحمة» يديها على المكتب ونظرت لي بقلق ثم انهمرت العبرات على وجنتيها وقالت:

أسوة عودي إلي رشدك، إلى متى ستبقى غارقة في دوامة
الفراق وجنونك هذا؟ لم تفقدي شخص غالي عليك في هذه الحياة
بمفردك، أنت خسارتك روح واحدة، أما أنا فخسرت روحين،
خسارتي كبيرة، هيا عودي إلي، لن أتحمل بعدكما أنتما الاثنان.

حديثها هذا مزق قلبي فهي محقة، خسارتها فادحة، فأنا أبتعد عنها
شيئاً فشيئاً في الآونة الأخيرة، لكن لا أحد يعلم شيئاً عن نار قلبي.

نهضت ثم ألقيت بجسدي بين ذراعيها، عانقتها ووضعت على
أكتافها جزء من قلبي لعلنا نتشارك به، لعلنا نجد حلاً للمأزق الذي
سقطت فيه، تعالت شهقاتي الممتزجة بصوت نحيبها والكلمات
التي تواسيني بها:

أسوة لا تبكي أرجوك، دموعك تقتلني، لا بد أن ترضي بالأمر
الواقع مثلنا، إلى متى ستبقى طوال النهار بالعمل وطوال الليل
نائمة بجانبه؟ نهايتك معلومة، إما الموت أو الجنون.

ابتعدت عنها بعد أن غضبت مما تفوهت به، أنا لا أسمح لأحد
بذكر الموت على مسامعي لكنها فعلت، رمقتها بنظرات غاضبة
متحدية وقلت:

لن يموت أحد، لا تأتي بسيرة الموت مرة أخرى، وأنا لا أبكي
بسبب اشتياقي له وإنما أبكي بسبب خوفي، أنا في ورطة وأحتاج
لمساعدتك.

ازداد قلقها فرفعت يديها لتعانق بهما ذراعي ثم بثت إلي حنانها

وحبها بنظراتها بجانب كلماتها، طلبت مني أن نتوجه إلى الأريكة لنجلس ونتحدث بهدوء، كنت أعلم أن من سيفهمني ويقدر مخاوفي هي «رحمة»، بعد أن جلسنا التفت إليها وانهمرت الدموع بغزارة على وجنتي كأني أشكو إليها ما فعله الغرباء بي، ثم طأطأت رأسي ووضعتها بين كفي يدي وقلت:

__ سوف أصاب بالجنون، حدث أمر ما ولا أجد له تفسيرًا.

ماذا حدث ؟ أخبريني كل شيء وسأساعدك إن شاء الله .

ابتلعت ريقِي بصعوبة ثم استرسلت بالحديث قائلة:

__ منذ يومين كنت بجانب أمير كعادتي كل ليلة، فجأة وجدت خطابًا فقرأته، كان مكتوبًا بالدم، دم يا رحمة، عندما لمست الكلمات بيدي علق بها، تعرفت عليه من رائحته، رأيته في يدي تخيلي؟! الكارثة ليست في الخطاب، الكارثة أنني وجدت الصباح قد حل فجأة ولا يوجد أي خطاب واختفى الدم.

اتسعت حدقتيها ثم نهضت بفزع وأخذت تضرب على فخذيها وهي تنتحب قائلة:

__ ألم أقل لك يا أسوة نهايتك الجنون أو الموت، أصابك الجنون يا صديقتي، يا ويلي، تري أشياء ليست موجودة.

جذبتها من ذراعها لتجلس مرة أخرى لأقنعها بما حدث، أنا أثق تمام الثقة أنني لا أتوهم ولم أحلم ولم أصل للجنون بعد، أحدهم وضع الورقة ولا أعلم كيف اختفت، لذلك لن أترك الأمر دون

أن أحله من جذوره، المعني بالأمر ليس أنا فقط وإنما أمير أيضاً، أمير سبب بكائي وفرحي، أمير سبب قلقي وخوفي، أمير يستحق كل ما أفعله وما سأفعله .

جلست رحمة مرة أخرى وقالت:

هذا المتوقع عندما تبقيين لأشهر تقضين الليل بأكمله تتحدثين مع أحد لا يسمعك ولا يتجاوب معك.

رحمة كانت تعتقد أنني جننت لكن أنا على العكس تمامًا لم أجن، أعلم جيدًا أن أمر الرسالة حقيقة، هناك من يبتزني ولا أتوهم، عندما نفترق عن أحدهم لا نفقد عقولنا وإنما نفقد قلوبنا، تفقد أرواحنا مصدر الحياة، لذلك عقلي ما زال يقوم بعمله جيدًا، لن أنكر ضعفت ليومين وانهرت بشدة كعادتني بعد كل خطر يلم بأمير، لكنني استجمعت ذاتي بسرعة وعدت إلى العمل، عدت كي أتوصل إلى الحقيقة، كي أتأكد مما كان مدونًا بالرسالة وللتأكد من الأمر، لا يوجد إلا طريقة واحدة وهي أن أعثر على الاسم المكتوب بداخلها، واتضح لي أن رحمة لن تساعدني هذه المرة، ستظل تنفوه بهذا الهراء وتهدر وقتي الثمين، نهضت واقفة وأنا أزيل دمعاتي وتحدثت بإصرار قائلة:

هل وصل والدك؟

نهضت هي الأخرى وقالت:

نعم وصل وسأل عنك فور وصوله .

تحركت بلهفة قاصدة التوجه الى مكتبه وعندما وضعت يدي على

مقبض الباب شعرت بيدها تقبض على ذراعي ثم قالت:

_ تعالي إلى هنا أخبريني عن الخطاب وأين وجدتيه؟

مررت خارج الغرفة ثم قلت وأنا أتجه الى الغرفة المقابلة لغرفتي:

_ لاحقاً يا "رحمة"، لاحقاً.

طرقت عدة طرقات على الباب فأذن لي أستاذي وشقيق أمي ووالد صديقتي الأستاذ طارق الجبالي، من كبار رجال القانون في بلدنا، تتلمذت على يده وأعمل بمكتبه منذ انهائي لفترة تدريبي، العلاقة بيننا ليست علاقة موظفة ورئيسها بل على العكس، العلاقة بيننا كأب وابنته كعلاقته برحمة تماماً، كان تلك الفترة ممتن كثيراً لأدائي فأنا أعمل من الثامنة صباحاً حتى السابعة مساءً، أصبحت كالألة التي تعمل دون توقف.

عندما قررت اللجوء إليه كنت أثق به وأعلم أنه سيساعدني، وبالفعل ابتسم فور رؤيته لي وسمح لي بالجلوس، انهزت باكية فور رؤيتي لأصابعي وتذكري لنقاط الدماء التي كانت عليها، قصصت عليه كل ما حدث منذ عثوري على الرسالة إلى لحظتنا تلك، صارحته بمخاوفي وتهديدات هذا المبتز المعتوه لي، فنهض بكل حنان وجلس بجانبني وطمأنني ووعدني أنه سيبحث عن الاسم المذكور بالرسالة بأقرب وقت، لكنه اشترط ألا أخبر أحداً حتى نتأكد كي لا نحدث بلبلة دون داع، وافقت على شرطه فطلب مني أن أعود الى المنزل وخلال ساعات سيكون تاريخ حياة هذا الشخص بين يدي.

خرجت من الغرفة حاملة بقلبي أملاً بالتخلص من هذا البلاء،
كنت أنوي التوجه الى المنزل لكن صادفت رحمة تجلس بالمكان
المخصص لاستقبال العملاء بالمكتب، من الواضح أنها كانت
تنتظرني لتطمئن وتفهم ما يدور.

زفرت بحلق و حركت رأسي يميناً ويساراً بعدم تصديق وقلت:
_ ما زلت هنا؟!

نهضت و توجهت الي وحدثتني بلهفة قائلة :
_ تعالي هنا، إلى أين؟ لم ننهي حديثنا بعد.

_ لا يوجد ما نتحدث به، أحدهم أرسل لي خطاباً وقام بتهديدي
بأنه سيقوم بأذيتي اذا لم أنقذ متهمًا من حبل المشنقة، وقد أخبرت
والدك وهو سيتولى ذلك الأمر، وهذا يعني أنني لست بمجنونة
مثلما تقولين، أرجوك يا ”رحمة“ اتركيني أذهب الى المنزل،
أحتاج أن أغمض عيني ولو لساعة واحدة، لم أنم منذ يومين.

علامات التعب والأرق كانت جلية على وجهي، بالإضافة إلى
هالة من السواد التي كانت تحيط بمقلتي، نظرت لي بأسى ثم
أفرجت عني وعانفتني وطلبت مني أن أرتاح ولا آتي إلى المكتب
إلا بعد أن أشعر بالتحسن.

كان سائقي ينتظرني بالأسفل، كم هو مؤسف أنه يبقى حبيساً داخل
السيارة طوال اليوم ينتظر أوامري وأنا أركض بين المحكمة
والمكتب والشهر العقاري، محطتنا الأخيرة دوماً هي أمير ثم
يعاود عمله صباحاً، وأنا ذاهبة إلى منزلي أعذر منه كثيراً لكنه

دومًا ما يقول لي أنه يمارس عمله بكل حب وممتن كثيرًا بما يقوم به.

أخيرًا وصلنا الى القصر، على الرغم من بقائي خارجه منذ أشهر إلا أنني أحتاج بشدة إلى الاستحمام والاسترخاء ثم النوم لساعات طويلة وهذا ما أنوي فعله.

كنت أمشي بحذر أتلفت حولي كمن يهرب من الشرطة وأحاول أن لا أصدر صوتًا حتى لا يكتشف أحد وجودي وتبدأ مرحلة استجوابي ونعتي بالجنون، لكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، قبضت أُمي على ذراعي فانتفض جسدي من المفاجأة والتفت إليها فقالت:

__ ما بك تمشي بحذر كاللصوص هكذا، إلى أين؟ أتعيشين بمفردك هنا أستاذة أسوة؟!

__ أي حذر يا أُمي، أنا مرهقة وأحتاج إلى النوم لعامٍ كامل.

عانقت وجنتي بكفيّ يدها ونظرت لي بحنان الأم اللامحدود ثم ابتسمت قائلة:

__ أي نوم! تعالي معنا عدنا للتو من المشفى أنا وأبيك، سبحان الله وكأن قلبي كان يشعر أننا سنتناول الطعام معًا فجعلتهم يحضرون الطعام الذي تفضلينه.

تعلقت عيني بالعبرات المتحجرة في مقلتيها وهي تحدثني، رأيت بها الشوق والحسرة، القلق والحب، وأي حب يا أُمي كحبك أنتِ، حتى وإن هجرتكما وابتعدت عنكما فهذا من شوقي وقلة حيلتي،

إن روحي وجسدي يرفضان الافتراق عن نصفي الآخر وما باليد حيلة، لكن ما كان يطمئنني قليلاً هو انشغالهم المستمر بالمشفى، فولدي جراح القلب العظيم د. ناجي العاصي من كبار الجراحين بالبلاد، وأمي أستاذة تدرس بكلية الطب في الصباح ومساءً هي رئيسة قسم الباطنية في إحدى مشافي أبي الخاصة، وعلى هذا فعائلتي هي عائلة طبية ويا لسخرية القدر، فهناك مثل شعبي مصري شهير يقول «باب النجار مخلع» وفي حالتنا تلك النجار لم يستطع تصليح بابه وإنما تركه هكذا مخلوفاً.

تتهدد بحزن و أردت أن أعوضها عن غيابي فقلت وأنا أرسم ابتسامة مزيفة على ثغري:

إن كان هكذا سأقوم بالاستحمام وأنزل لأجلس مع دكتور "ناجي" لأسمع مغامراته الى أن يجهز الطعام .

لكرتني أُمي على كتفي برفق وقالت:

مغامرات ماذا يا مخبولة؟ هذا الحاج ناجي قبل أن يكون طبيباً، لا يفوت فرضاً، كنت سأستغل عودتنا مبكراً ونتسامر سوياً لكنه قال لي اتركيني سأصلي العصر واقرأ القرآن.

داعبت وجنتيها بأناملي فابتسمت قائلة:

اللهم تقبل، سأستحم وأذهب إليه لتتسامر معاً، أما أنتِ فمارسي مهنتك ليوم واحد كربة منزل.

قمت بالاستحمام في عجالة، تذكرت كل ما أمر به فاختلطت دمعاتي بالمياه، عدت إلى رشدي فدائماً ما يقول لي أبي ممنوع

البكاء بالمرحاض يا ابنتي . ارتديت ملابسني ثم توجهت إلي غرفة المكتب، طرقت عدة طرقات على الباب وعندما سمح لي بالدخول فعلت، ما إن دلفت الى الداخل حتى وجدته يجلس خلف مكتبه ويقرأ كتابًا، رمقني بعدة نظرات والتعجب من تواجدي بهذا الوقت كان ظاهرًا بعينيه، شعرته يتساءل عن سبب تشريفي لهم اليوم، أشار لي بيده لأجلس فتوجهت إليه وجلست على طرف مكتبه بالقرب منه انحنيت بجسدي وطبعت قبله على جبينه ثم احتضنت يده بكفيّ يدي وطبعت قبلة أخرى، ابتسمت له قائلة:

_اشتقت لك يا أبي .

_تقابلنا في الصباح أيتها الماكرة.

اومأت له برأسي نافية ما يقوله وقلت:

_اشتقت الى أبي "ناجي" وليس الطبيب .

تنهد بحزن وقال :

_ وهل استطاع الطبيب أن يساعدكم ويقدم لكم ما يقدمه للناس يوميًا؟ ولكن لن أفقد أُملي يا ابنتي، ربي قادر على كل شيء .

_ونعم بالله يا أبي، نحن مؤمنون ورحمة الله واسعة.

جزء بداخلي أراد أن أرتمي بين ذراعيه وأشكو له حالي وأخبره بما يحدث معي، لكنني أعلم مدى حبه وقلقه علي ومتأكدة أنه ما إن يعلم بالأمر حتى يمنعني من مزاوله مهنتي، لذلك قررت، سأصمت، سأكتفي باستمداد القوة منه.

مر اليوم بسلام وشوق كبير إلى «أمير» وبعد أن تناولنا الطعام تحدث أبي وأمي بأمور المشفى الخيري الذي افتتحه مؤخرًا فشعرت بالضجر من أحاديثهم واستأذنتهم للصعود إلى غرفتي لكي أنام، وبالفعل غفوت لبعض الوقت بعد أن دعوت ربي أن

يعثر خالي على صاحب الاسم بسرعة .

استيقظت فزعة على صوت رنين هاتفي معلناً عن اتصال من خالي، التقطت الهاتف ومررت أصابعي على شاشته لتبدأ المكالمة، قلت متخيلة تماماً عن الصبر:

_خالي أرجوك قل لي شيئاً جيداً.

جاءني صوته عبر الهاتف خفيضاً يتخلله الكثير من القلق والتوتر، أجفل قلبي من نبرة صوته عندما قال:

_أسوة الموضوع أكبر مني ومنك، بل أكبر مما كنت أتخيل، أنا خائف عليكِ عزيزتي.

_ماذا هناك يا خالي طمئني أرجوك.

_هناك متهم اسمه زين صالح أبو نجم وتأكدت أن محاكمته بالفعل بعد أسبوعين، وهو متهم بقضية قتل ابنة شخصية عامة، القضية معقدة جداً وشقيق القتيلة ضابط أحرق الدنيا فوق رأس المتهم وكل الأدلة ضده، قام بالفعل بقتل الضحية، من الصعب يا

ابنتي مساعدته.

— ماذا تقصد؟ ألن أستطيع مساعدته ليحصل على البراءة، ألن تساعدني يا خالي؟ هل سأخسر أميري؟ سنضحي به؟ ستتركهم يأخذون روحي مني؟ !

تبدلت نبرة صوته وارتفعت قليلاً عندما قال:

— مجدداً يا أسوة، مجدداً؟ لقد خسرنا أمير منذ زمن يا صغيرتي، لكن أنت عقلك رافض التصديق متى ستوين التخلص من أوهامك؟

انتهت المكالمة عند هذا الحد، لا أبالي برأيه بي ولا بالأوهام التي يعتقد الجميع أنني أعيشها، كل ما يعنيني زين صالح أبو نجم، المتهم الذي لا أعرفه مطلقاً ولا أعلم إن كان ما كتب بالرسالة صحيح أم لا، لكنني عاهدت ذاتي على مساعدته تحت أي ظرف، وسأفعل، أقسم سأفعل.

الفصل الثالث

**** زين ****

وحين يبكي الرجال أعلم أن الهموم فاقت قمم الجبال..

قرأت هذه الجملة سابقاً وتراود خاطري كثيراً في الآونة الأخيرة، ولكن همومي ليست هموماً فوق الجبال وإنما جبال فوق أكتافي، ولم يعد باستطاعتي حملها، كنت معتاد على تحمل المآسي والمسؤولية والسير في الطريق بمفردي منذ وفاة أبي، خضت الكثير من المعارك، فزت بأغلبيتها وخسرت بعضاً منها، لكن لم أشعر يوماً بالذل، لم أَرْضَخ، ولن أَسْمَح لأحد بإهانتني، زين صالح أبو نجم لا يقبل المهانة والذل مهما يكن، لم تجرح كرامتي، وقفت شامخاً كالجبل بمواجهة الجميع، لكن لأعترف، لم يكسرني أحد كما كسرني اتهامي بأشنع التهم، القتل، وأي قتل! قتل فتاة غدرًا، وليس هذا وحسب وإنما تم تشويه سمعة كلانا، وأنا بعيد كل البعد عن تلك الأمور.

الطامة الكبرى ليست القتل فقط أو السمعة التي شوهت أو والد القتيلة وأخيها ذوي المنصب والجاه والمال، أو جبهة النار التي

قاموا بفتحها بوجهي، بل كونها فتاة .

كنت قد وازنت كيان أسرتي بعد وفاه أبي وراعت أمي وشقيقتي، وبعد كل هذا جلبت لهم العار، و صمتهم وصمة ستظل عالقة بهم يخلون منها طوال العمر، أي لعنة حلت بي يا ربي؟ ترى كيف ينظرون في أعين الناس بعد أن قتل شقيقهم فتاة؟ وفي عرفنا نحن الرجل الشهم الصعيدي لا يرفع يده على فتاة قط، فما بالكم بمن قتلها؟! مؤكد كانت تعاني أسرتي من نظرة أقاربي لهم، فتحدثت بهمس قائلاً : ساعدهم يا ربي وكن بجانبهم، ساعدني لأتخلص من قيودي وأعود إلى كنف أمي.

المكان هنا يضيق على صدري ويطبق على أنفاسي، يجعلني أعاني الكوابيس متى غفلت عيني، فبعد العز والمال والبيت الفخم صرت سجيناً بإحدى الزنانات، ألتحف بغطاء من الصوف الرديء وأتخذ فراشاً متهاكاً سكناً لي .

أنا صحفي يصاب بالهلع كل رجل أفتح النار عليه وأسلط الضوء على تاريخه الأسود، وها هو القدر خط أول سطر بتاريخي الأسود، مؤكد استهزأ بي كل من نشرت ماضيه القذر على الملأ، شقيقتي ماذا عنهما؟ ترى ما هي حالتهما؟ هذا أكثر ما كان يشغلني ، أمي وشقيقتي سمر وحنان، سمر الفتاة العاقلة الرزينة التي لا يشغلها شيء بالحياة سوى دراستها، كانت بالفرقة الثانية بكلية الطب، أما حنان فهي مصدر الحب والألفة بمنزلنا، كائن يمشي ينثر الحب والسلام بالأرجاء، روحها جميلة كمهنتها، فهي رسامة ماهرة تعشق الرسم عشق جنوني كما أعشقها أنا، قريبة مني، تعد أقرب شخص لي بعد صديقي

معاذ، أه كم أشعر بالأسى حيالهم لكن كنت أدعو ربي أن يفك
كربتي ويساعدني لأعود إليهم وأخرس السنة الجميع.

كنت أستلقي على فراشي الغير مريح البته، الجالب لألم الظهر
وأنظر للأعلى، نظرت إلى سقف الزنزانة شردت لبعض الوقت
وتذكرت من كان سبب كل هذه المعاناة، من أرسلني بيده إلى
الجحيم فخانتني عبراتي مرة أخرى وهبطت على وجهي، في
حالتي الطبيعية كنت لا أسمح لأحد أن يرى ضعفي بدموعي، أما
حينها لم أبه بمن حول، ليرى من يرى، تذكرت معاذ وغدره
فقلت أه يا صديقي، غدرك بي طعنة خنجر أصابت قلبي، يا
لسذاجتي ما زلت أبحث لك عن مبرر إلى الآن بعد أن تأكدت
من غدرك وخيانتك لي، لكن أقسم إن خرجت يوماً من هنا سيدفع
الجميع الثمن غالباً، سأكشف قذارتهم على الملأ .

هناك نافذة صغيرة جداً بأعلى الحائط قريبة للغاية من السقف،
نستطيع القول أنها قريبة من كونها كوة، تمنيت النهوض
والوصول إليها وإخراج ذراعي منها لأشعر بالحرية والصراخ
بأعلى صوت أنا زين، أنا صحفي حر، لا يليق بي المكوث بلا
حيلة هكذا خلف القضبان، لابد أن أخرج، أن أركض هنا وهناك
خلف الحقيقة، يا رب ساعدني

لكن ما باليد حيلة كنت مضطر أن أبقى هكذا انتظر الحكم اللعين.
قطع شرودي صوت الشرطي وهو يهتف باسمي قائلاً:

_زين صالح أبو نجم، زين صالح أبو نجم.

نهضت مفزوعاً ونظرت إليه بلهفة لعله آتي ليخبرني أنهم أخلوا

سبيلي فقلت:

_ نعم أنا هنا، ماذا حدث؟

أشار لي بيده الضخمة لكي أذهب إليه وقال:

_ لديك زيارة هيا أسرع، لست متفرغاً لمماثلة أمثالك.

تحركت باتجاهه وسألت لعله يعطيني الخبر الجيد غير مبالي
بطريقته الفظة في التعامل :

_ ألا تعلم من أتى لزيارتي؟

قال بوجه متجهم وملامح لا تنذر بالخير:

_ هيا تحرك بسرعة قلت لك سوف تعلم عندما تلتقي به.

وضع تلك الاغلال اللعينة بمعصمي فحركت رأسي يميناً ويساراً
بأسي، فما أصعب أن تقيد رجل ظل طوال حياته يبحث عن
الحرية، صاح بي ليزيد من الأمر سوءً وإهانة:

_ هيا تحرك هل ستدعي الجنون أيضاً لتنفذ بفعلتك؟

تحركت بصحبته متوجهين إلى مكان لا أعلمه، كنت طوال الوقت
مطأطأً رأسي للأسفل حتى لا تتلاقى نظراتي بأحد، كنت أود أن
تحدث فجوة بالأرض تحت قدمي وأسقط بداخلها من خجلي وأنا
أمشي مقيداً بين الناس، واتضح أن سيري بين الناس مقيد اليدين
و كأنه كتب على جبيني قاتل أسوأ من حبسي داخل جدران
زنزانتني.

صعدت درجاً ثم سرت عدة خطوات إلى أن وصلت إلى باب غرفة بآخر الرواق يقف أمامها شرطي، أوماً إلى زميله بالإيجاب فور وصولنا وقام بفتح الباب بقوة، ما إن وقفت أمام باب الغرفة حتى فوجئت بفتاة تنتظر إلى الأسفل وتضع رأسها بين كفي يدها وشعرها البني الحريري الطويل يتدلى ليحجب رؤيتي لوجهها والتعرف على هويتها.

دلفت إلى داخل الغرفة فأمر ضابط الشرطة الحارس أن يفك قيدي، وبعد أن فعل تحسست معصم يدي وأنا أنظر إلى الشرطي بتباهي فمهما أساء هذا الرجل معاملتي لن اظهر أمامه منكسراً. نهض واقفاً وقال:

__ تعال، الأستاذة تود التحدث إليك في أمر هام.

وجه أنظاره نحو الفتاة وقال مبتسماً :

__ هيا سيدتي سأترككما على راحتكما.

رفعت تلك الفتاة وجهها ونظرت إليه مبتسمة تشكره غالباً ثم نظرت لي، تعجبت من تحدّثه بطريقة مهذبة معها رغم طريقته اللفظة وقت تحدّثنا، بل على العكس أهانني وحدث بيننا شجاراً وصل للتشابك بالأيدي، غادر بينما كانت نظراتي معلقة بالفتاة، حاولت تذكرها لكن لم نلتق قط فقلت:

__ من أنت ولما أتيت لزيارتي؟

نهضت واقفة، بدى عليها التوتر وهي تفرك كفي يدها وتبتلع

ريقها بصعوبة ثم قالت:
_أنا المحامية أسوة ناجي العاصي.

الفصل الرابع

****أسوة****

جمعتنا منضدة مستطيلة صغيرة الحجم أمام مكتب يشغل ركناً
غرفة باردة للغاية، باردة كبرودة ملامحه وأصابع يدي وقدمي،
تلك البرودة كنت شعرت بها تسري بجسدي منذ وقت، منذ سقطت
عيني على تلك الرسالة اللعينة، فالخوف الذي تمكن مني يومها
قضى على دفي قلبي .

أما هو فكان يجلس بمقابلي كالصقر الجريح الذي كسرت له
أجنحته فكسرت معه كرامته، لكنه على الرغم من كل هذا مازال
يحفظ بهيبته و وقاره، كنت أخشاه ولم يكن قد تفوه بكلمة واحدة
بعد.

تلك القوة استشعرتها من كتفيه الممدودتين على جسده بشموخ،
وذراعيه اللذان يستند بإحدهما على الطاولة والآخر يضعه على
فخذيه بثقة، تلك القوة رأيتهما في رأسه المنتصب فوق عنقه الضخم
بشجاعة ووقار على الرغم من موقفه الذي لا يحسد عليه .

ودعونا ننسى الثقة والشجاعة ونكف عن التحدث عن القوة عندما
نذكر أمر عينيهِ التي غرقت في حزنها وانكسارها منذ تلاقى

نظراتنا، عينيه البنية التي تأخذ حيزًا كبيرًا من وجهه، ما إن تنظر إليها حتى تشعر وكأن صقر حاد النظرات يحدق بك، لكن الصقر الجالس أمامي كانت هناك سحابة من الحزن تحجب حدة نظراته.

تلك الأعين أخبرتني بالكثير قبل أن يتفوه هذا الغاضب بشيء، شعرت أن جفنه المتدلي على طرف عينه يجبرها أن تغمض حتى لا أغوص بها أكثر فبت إلي إحساس بالتوتر والرهبة، هربت بنظراتي بعيداً عنه وقمت بجولة في ملامحه بدءاً من تقاسيم وجهه الحزينة وصولاً إلى ذقنه المهمل الأسود سواداً كاحلاً حاله كحال شعره المبعثر الذي لم يعرف الشيب طريقه بعد، عدت مرة أخرى إلى عينيه التي تكتسي بالعبرات فشعرت أنه يحاول كبحها بكل الطرق كي لا يظهر ضعفه أمامي.

كل شيء بهذا المهيّب مبعثر، شعره، ذقنه، ملبسه، حتى روحه، استشعرت بعثرتها دون أن ينبس ببنت شفة، تلك البعثرة وصلت إلي هي الأخرى من كثرة متابعتي له، شعرت أنني سقطت بمباهته، وددت أن أصرخ به وأقول من أنت؟ ما علاقتك بي؟ ما علاقتي بك؟ لما قاموا باختياري لأساعدك؟ من هذا الذي أرسلني إليك؟ هل قمت حقاً بفعلها؟ من أين لك هذه القوة في أكثر حالاتك ضعفاً؟ لما ملامحك تعج بالعناد هكذا؟ لما رغم قواك تكسو العبرات عينيك؟

شعرت بالغباء لتحديثي إلى ذاتي وإهداري لهذا الوقت الثمين بعد أن حصلت عليه بصعوبة، فنهرت ذاتي بصمت وجمعت الهواء بداخل صدري ثم زفرته بهدوء وقررت استغلال الوقت وقلت:

__مؤكد تتساءل الآن لما أتيت لزيارتك؟

ازدادت نظراته حدة ثم رفع ذراعه ووضعها بجانب الآخر واستند
بكليهما على الطاولة ورمقني بعدة نظرات، وبدأت عين الصقر
بالتحدث قبل أن يفه بشيء ثم قال :

__قبل أن أسأل ماذا أتى بك الى هنا ،سأسأل من أنت ومن أين
تعرفيني ؟

أومأت برأسي لمرات متتالية غير مصدقة كم الغرور الذي يمتلكه
هذا الغاضب وقلت:

__من أنا!

نظرت إليه بثقة بعد أن استحضرت روح مهنتي وتابعته قائلة:

__أنا من سينقذ عنقك من حبل المشنقة.

أرجع ظهره إلى الخلف واستند به على المقعد ثم نظر لي

باستهزاء، ظلام عينيهِ وهالة السواد التي تحيط بها ذكرني
بالحزن الذي انتابني بآخر ليلة بليالي شهر رمضان فحدقت به
لدرجة أربكته وجعلته يتعجب من أفعالي الغير منطقية، شردت
بعينيهِ فعددت بذاكرتي لأسبوع مضى إلى تلك الليلة المظلمة
ظلامًا حالگًا، هادئة هدوء قاتل، كالرسالة التي وجدتھا مطوية
وموضوعه بجانب أميري.

كعادتي بعد انتهاء يومي ركضت إليه متلهفة، كنت مشتاقة إليه
وحزينة جدًا لعدم تواجده معي بعيد الفطر، فهذا كان أول عيد لن
أستيقظ به على قبلة حانية مطبوعة على جبيني من شفاهه، جلست
جانبه بحذر وجسدي يرتجف، شفتي كانت قد تقوست إلى الأسفل
كالأطفال وانهمرت الدموع بغزارة من عيني، كانت بداخلي آلاف

الصرخات تمنيت إخراجها من قلبي لأرتاح لكن المكان لم يكن يسمح بهذا، نظرت إليه كثيراً كنت أعاقبه على تركه لي بالحياة
فقلت:

أميري هل أنت بحال جيد هكذا بعيداً عنا؟ ألا تشتاق لي كما
أشتاق لك؟ هل أنت سعيد بدنيتك وعالمك الجديدين؟ عزيزي أنا
جسد بلا روح بدونك، ألن تعد لي؟ كفى فراق أرجوك .

رفعت يدي المرتجفة وكففت دمعاتي ثم سقطت نظراتي على
ورقة ما موضوعة بجانبه، اتسعت حدقتا عيني وتعجبت من الأمر
فالتقطتها وفتحتها بحذر وكانت الصدمة أنها رسالة مكتوبة باللون
الأحمر، تعجبت من اللون لكن ما زاد شعوري بالوهن وانقطاع
انفاسي عندما وضعت أناملي على الكلمات المكتوبة فاكتشفت أن
المادة التي كتبت بها الرسالة عالقة بيدي، رفعت يدي بحذر إلى
أنفي لأتعرف على رائحة الحبر وكانت المفاجأة أنه ليس حبراً و
إنما دم ، شعرت أن أحدهم يقبض على عنقي من هول الموقف
فرحت أقرأ محتواها زين صالح أبو نجم برئ، (هند) قتلت قبل
أن يصل والحل في الطب الشرعي، هناك أم قلبها يبكي دمًا على
ولدها، لا تتركها تبكي عليه العيد القادم إن أردت ألا يلقي أغلى
ما لديك مصير (هند) ، وهذا أمر أستطيع تنفيذه بما أني وصلت
إلى غرفة شقيقك، احصلي على توكيل من «زين أبو نجم» للدفاع
عنه وبعدها البراءة

لا يوجد وصف يصف ما كنت أشعر به، من زين؟ من فعل هذا؟
عن أي «هند» يتحدث؟ كيف قتلت؟ اللعنة على من خط هذه
الرسالة، أهذا دم أم ماذا؟ كل هذه التساؤلات كانت تدور بعقلي

فتسارعت نبضات خافقي وشعرت بالخوف وارتجفت أناملي وأنا
أتحسس أحرف تلك الرسالة، سقطت العبرات من مقلتي عندما
قرأت آخر ما كتب بها، هذا الدخيل وضع على عاتقي أن لا أترك
أم بدون ابنها صباح العيد، لكن كيف سأفعل وأنا لا أفهم شيئاً مما
يحدث على الإطلاق، خارت قواي فجلست أرضاً أنظر بصدمة
إلى الورقة القابعة بين أصابعي، تفكيري كان مشوشاً ولم أكن
أصدق ما يحدث، فبنظري من المستحيل أن يصل أحد إلى هناك .

بكيت كثيراً وفكرت بأن هناك قلبان سيحترقان غداً، قلب أم فقدت
ابنتها إن لم تكن قد توفت هي الأخرى، وقلب أم تبكي ابنها وهو
خلف القضبان، استمرت حالتي تلك لوقت طويل حتى سمعت
تكبيرات العيد «الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر
الله أكبر والله الحمد»

استيقظت لأجد ذاتي غافية كما كنت على الأرض بجانبه، انتفض
جسدي عندما لاحظت أن الوقت مر ولم أصدق حين نظرت إلى
الشرفة وفوجئت بالشمس قاربت أن تشرق فخشيت أن تكتشف
عائلتي أمر غيابي، الغريب في الأمر بحثت كثيراً على الرسالة
ولم أجدها، اختفت ولم يعد لها وجود كأنها لم تكن .

مر العيد كنيباً للغاية، كنت أبكي تأثراً بأحرف الرسالة وبالألم التي
كانت تبكي ولدها، وخوفاً أن ينفذ المبتز تهديده، لم أخبر عائلتي
بالأمر، انتظرت انتهاء إجازة العيد ومساعدة خالي لي في تحديد
موعد لزيارة صاحب الاسم الموجود في الرسالة، وهذا كان اليوم
وصاحب الاسم كان يجلس أمامي .

احتدت نظراته للدرجة التي تشي بأنه لم يعد يطبق الاحتمال أكثر
فعدت من شرودي وتنهدت بحزن وقلت راجية منه أن يتحدث
ويساعدني:

_ اسمعني سأعقد معك اتفاقاً، سأنقذك وأخرجك من هنا لكني
بحاجة أن أسمع منك الحقيقة كاملة لأتأكد من براءتك، أنا أعمل
في مكتب محامي مخضرم ومشهور للغاية سيساعدك وينقذ
مستقبلك ومستقبلي، أحتاج للدفاع عنك و أن تحصل على البراءة
وإلا ستدمر حياتي.

نظر لي مشمئزاً ثم التفت حوله وقال باستهزاء:

_ فتاة مثلك كيف لها أن تساعدني ولما تهملك براءتي !

_ أنا المحامية «أسوة ناجي العاصي» درست القانون لأربع
سنوات وتخرجت من الجامعة بتقدير ممتاز وكنت الثانية على
دفعتي، فتاة مثلي لم تكن تعرف شخصاً مثلك، كنت أعيش حياتها
بهدوء، لكن بسببك جفى النوم عيني، ومنذ أيام أفكر كيف أساعدك
وأريح ضميري، فلا تحاول الاستهانة بي.

تطلع نحوي بسخرية وتمتم قائلاً:

_ بداية غير موفقة، دائماً ما تنظرون إلى الناس من الأعلى.

اغتظت منه للغاية وأردت أن ألقنه درساً كي يقدر شخصيتي ولا
يتسرع في حكمه علي فقلت وأنا أرمقه بتحدي:

_ كما نظرت إلى «هند» من أعلى البناية!

انتفض جسده ثم نهض واقفاً وركل المقعد بقدمه للخلف ثم صاح

بي قائلاً:

__ من أنت، ومن أين أتيت بهذا الكلام؟ تباً لك، من أرسلك إلي؟
قال لي أستاذي ذات يوم في مهنة المحاماة لا نتأكد من براءة

موكلنا بكلماته واعترافه وإنما من نظرة عينيه وحركة جسده
ورود أفعاله عند مهاجمته، ولابد أن نستفتي قلبنا، وهذا ما أفعله
منذ بداية مشواري المهني القصير، أراقب ردود أفعال موكلي
لأتأكد من صدقه وفعلت نفس الشيء مع «زين»، نظراته، ثقته
بذاته، الصدق الذي استشعرته بعينيه، الحزن الواضح في ملامحه
أعطاني احساساً بأنه برئ، يكفي فقط أن أدرس القضية جيداً
وسأتأكد، فقلت في محاولة مني لمجاراته:

__ اهْدأ أرجوك، سأساعدك أعدك، سأقص عليك كل ما
حدث ثم تخبرني أدق تفاصيل الحادث.

زفر بضيق عارم ثم جلس مرة أخرى وبدأ بالتحدث:

__ أخبريني من أرسلك لي؟ ماذا تريدني مني؟ .

استرسلت بالحديث وقصصت عليه كل ما حدث منذ ليلة العيد
ووصولي إليه وما أخبرني به أستاذي من وجود أدلة عدة تدينه
فشرد قليلاً ثم قال:

__ أتعني أن هناك من قتل «هند» ودبر لي هذه المكيدة وورطني
بالجريمة، وأن هناك يحاول مساعدتي، وأرسل إليك هذه الرسالة
الساخرة، هذا إن كان حديثك صحيح؟

غضبت من تكذيبه والتقليل المستمر من شأني وأنا التي صدقته رغم كونه موضع الشبهات، فأخرجت هاتفني من حقيبتني وأريته صورة ملف قضيته التي أرسلها لي خالي، دقق بالصورة لبعض الوقت ثم نظر لي بحيرة وقال :

_ لا أفهم شيئاً!

_ستفهم كل شيء بعد أن تخبرني كل ما حدث ليلة الحادث، لما ذهبت إلى هناك؟ هل كنت تعرف «هند»، لما كل الأدلة ضدك هكذا، هل لديك أعداء أم لا، هل كانت مقتولة قبل وصولك بالفعل كما هو مدون بالرسالة.

_مؤكد لدي أعداء، لكنهم أعداء لمهنتي، فأنا صحفي يكشف قذارة الناس، لما كل الادلة ضدي فهذا لأن من قام برسم اللعبة قد رسمها جيداً، والمدعوة «هند» لم أكن أعرفها من قبل، حتى إنني لا أعرف شكلها، لم أر سوى شعرها القصير جداً، غير هذا لا أعلم شيئاً، ذهبت إلى هناك بسبب العمل، كنت منذ فترة أقوم بسلسلة تحقيقات صحفية عن اختفاء الأطفال بطريقة ملحوظة، «معاذ الالفي» رئيس قسم التحقيقات الصحفية بالجريدة وصديقي بذات الوقت، في ليلة الحادث جاء إلى مكنتي وأخبرني بأننا سنذهب إلى رجل ما سيكون دليلنا في الوصول إلى مافيا سرقة الاطفال .

_ وهل كان معك وقت سقوط القتيلة؟

_ لا ذهبنا معاً، لكن فور وصولنا إلى المكان قال لي «اسبقني إلى الأعلى فالدليل هناك ينتظرنا، و سأتي من بعدك».

جاءت اللحظة الحاسمة التي كنت أنتظرها منذ أيام، لحظة كشف

الحقيقة ومعرفة كيف سقطت القتيلة فسألته قائلة:

__ وعندما صعدت هل كانت «هند» هناك؟

نظر إلى الفراغ أمامه ثم بدأت حبات العرق تتجمع على جبينه، يبدو أنه كان يحاول تذكر ما حدث لحظة الحادث ثم قال:

__ فور وصولي لأعلى البناية تلفت حولي كثيرًا أبحث عن

هذا الدليل، لم أجد أحدًا، تعجبت من اختيارهم لمكان كهذا للقاء لكن رجحت الأمر للسرية، تساءلت أين «معاذ» وأين الدليل وفجأة رأيت فتاة تميل بجسدها وتنحني على سور البناية، كان شعرها أسودًا قصيرًا، رأيته بعد أن سقطت، نصف جسدها كان مائلًا خارج السور، صرخت بصوت عالٍ « احذري سوف تسقطين » ركضت إليها وأنا أمد يدي، كنت سأصل إليها ويدي كادت أن تلمسها لكن للأسف في أقل من ثانية كانت قد سقطت، ولم أفهم للآن كيف ولماذا سقطت، ما يصيبني بالجنون إن كانت تريد التخلص من حياتها لماذا انتظرت وصولي كي تنتحر وبقي موتها حملًا يثقل أكتافي، ودمرت حياة أسرة بأكملها.

__ وماذا حدث بعد ذلك؟

__ لم يحدث شيء، أصبت بالذهول مما حدث وتجمع عدد كبير من الناس حولها، رأيتهم وأنا أنظر من الأعلى، وفجأة وجدت حارس البناية الذي تحدث معه «معاذ» قبل صعودي ومعه آخرون يركضون نحوي ويرددون لما قتلتها؟

سألته بعد أن وجهت بداخلي أصابع الاتهام نحو صديقه:

__ومعاذ الألفي ؟

ابتسم بمرارة فتجمعت العبرات بمقلتيه وقال:

__معاذ اختفى، تبخر صديقي بعد أن أوقعني بالفخ.

نظرت إليه بحيرة وحاولت استيعاب ما رواه، لكن هناك حلقات عدة مفقودة من قتل «هند» ، إن كانت قتلت حقًا ولم تنتحر أو قام هو بقتلها؟ كيف سقطت؟ ما علاقة شريف بالأمر ولم قاموا باختياري؟ من يريد مساعدته؟ قلت:

__هند مهران الشهawi هل تعرف صاحبة هذا الاسم أو مهران الشهawi ذاته؟

__ لا أعرف هند أو مهران فقط أعرف خالد مهران الشهawi ضابط المباحث بحكم عملي، وغير هذا لا أعلم عنهم شيئاً، وليكن بعلمك خالد الشهawi يشن الآن حملة ضدي وضد كل من يساعدني هو و والده.

ما أدركته أنهم أرادوا التخلص من القتيلة و«زين» بنفس التوقيت فقاموا بتدبير كل هذه المؤامرات، الأمل في نجاته من السجن أو الإعدام متوقف على جمع الكثير من الأدلة وإثبات أنها كانت متوفاة قبل أن تسقط، إن كان ما كتب بالرسالة صحيحاً ولم تقم بقتل ذاتها كما يعتقد «زين» أو قتلها هو وينكر الأمر، وكل هذا سيتضح من تقرير الطب الشرعي، ولا بد أن تكون لي الصلاحية لمتابعة القضية و الاطلاع على الأوراق فقلت:

سوف أدافع عنك وسأكون محاميتك أعلم أن هناك محامياً آخر
لكن هذه القضية لن يترافع بها أحد غيري، سنتخلص جميعاً إن
شاء الله، لأحمي عائلتي.

نهضت واقفة وتحدثت بكل ثقة وأنا أرسم ابتسامة على ثغري
لأمدته بالثقة وقلت:

ستخرج من هنا أعدك.

تملك اليأس منه، نظر لي بحزن نظرة اخترقت قلبي وجعلت
ضميري يؤنبني كثيراً على ذنب لم أقترفه قط وقال:

لا تضيعين وقتك، هند توفت وأنا كنت الوحيد الموجود في
المكان، مهما ننكر لا يوجد حل، أنت ما زلت صغيرة وأنا قضيتي

رأي عام، فلا تبدأ مشوارك بقضية كتبت لها الخسارة، ولو كانت
قد قتلت كما تعتقدين إذاً حياتك بخطر، اخرج من هذا الباب
وانسي أنك تحدثت معي، لا تدعيني أحمل ذنبك أيضاً إن حدث لك
مكروه.

نهضت واقفة ونظرت إليه بثقة وقلت:

القضية الخاسرة في نظري أن أدافع عن متهم مذنب وأحصل
له على البراءة، لكن أن أحاول المدافعة عن متهم برئ حتى لو
خسرت القضية فهذا أكبر مكسب لي، أتعابي سأخذها منك عندما
تذكر اسمي في الحملة الصحفية التي ستشنها على قاتل «هند»
فور خروجك.

انتهت مقابلتي معه على الآتي، لقد وافق على دفاعي عنه ولديه ثقة كبيرة أن «هند» انتحرت، أصبح متيقناً بأن أحدهم يود مساعدته وهو من وضع الرسالة بجانب «أمير»، ذكر أمر عائلته وقلقه حيال أمرهم فوعده بزيارتهم وطمأنتهم أن أمور القضية تجري على ما يرام وسيخرج بأقرب وقت،

أما عني فقد أقسمت بداخلي أن أساعده، سأبذل قصارى جهدي كي يخرج من محبسه وتتم تبرئته إن كان بريئاً حقاً، ليس فقط من أجل التهديد اللعين الموجود بالرسالة ولكن من أجل إحقاق الحق، أقسمت أنني سأكشف القاتل وأزج به داخل السجن، أقسمت سأفعل، سأصل لمن حاول مساعدة «زين» واختارني كي أقوم بالدفاع عنه وهذا قسم وعهد عاهدت ذاتي عليه، ولنرى هل ستكون «هند» هي الضحية الوحيدة بقضيتنا أم هناك الكثير.

الفصل الخامس

زين

بعد رحيل أسوة سقطت بدوامة التفكير المستمر ولم أستطع الخروج منها ورحت أتخط بأفكاري ومشاعري، انهارت كل معتقداتي، ما حسبته قد حدث ليلة الحادث اتضح أنني رأيته بمنظوري الخاص ولا يمت للحقيقة بصلة، كنت أعتقد أن الفتاة التي سقطت أمام عيني هي من ألقّت بجسدها من الأعلى، أما «معاذ» فقد أنكر تواجده معي ليلتها خوفاً من تحمل المسؤولية، ولكن اكتشفت أن الحقيقة عكس ما اعتقدت، فالفتاة تم قتلها مسبقاً ويبدو أن «معاذ» نصب لي فخاً، هذا إن كان ما روته المحامية صدقاً، ورحت أتساءل، ترى أي مكيدة دبّرت لي يا صديق العمر؟ وفي أي حفرة سقطت أنا؟

كان لدي تساؤلات كثيرة ولا بد أن أعثر لها على إجابات، من الذي يحاول مساعدتي ولما اختار المحامية دوناً عن الجميع لتقم بهذا؟ من قتل «هند» ولما اختارني لأتحمل الجريمة؟ كنت أثق أن من فعل كل هذا يود التخلص منا نحن الاثنين .

الأجواء بالحبس كانت لا تحتمل، ضجيج وشد وجذب بالحديث

وعراك مستمر، كل شيء يدور هناك بعيداً عن الأعين ومن أسفل الطاولة، شراء المخدر بالمال، الجميع يعمل بالسخرة في خدمة كبيرهم، ومن يغضب عليه الكبير ينتهي به الأمر مطعوناً بأحد المراحيز، الآلات الحادة كان يتم تأجيرها بثمن باهظ للمرة الواحدة، وعندما يدور خلاف بين شخصين كنا نكتشف في صباح اليوم التالي أن واحداً منهما غارقاً بدمائه داخل المرحاض، يتم طعنه وإحداث جرح بسيط بغرض تأديبه فقط ولا يستدل على الفاعل، ولا يجرؤ أحد على التفوه بحرف وإلا سيتم اضطهاده من قبل الجميع، فمن يريد قضاء مدة عقوبته بسلام كان لابد أن يرضخ للأوامر ويتبع القوانين، لكن أنا سلكت طريقاً مختلفاً منذ البداية، التزمت الصمت و ادعيت النوم طوال الوقت، بينما أغمض عيني وأفكر كيف سأخرج من هذا المأزق؟

أثناء استلقائي على فراشي الغير مريح مغمض العينين، شعرت بيد غليظة تربت على كتفي وصوت أحدهم ينادي باسمي، ففتحت عيني لأجد «رائد» أحد نزلاء الزنزانة متهم بقضية تزوير لكنه دائماً ما يهتف أنه بريء، تطلعت نحوه فوجدته يبتسم قائلاً:

__ انهض لنحدث سوياً، ألا تمل من ادعاء النوم طوال الوقت!

أعجبت بذكائه وصراحته ورأيت بعينه رغبة في التسامر وتبادل الحديث، فعلى الرغم من تهمة المشينة إلا إنه لا يشبه المتواجدين بالحبس، ولأنني شعرت أن هناك شيئاً يجذبني للتحدث إليه منذ وصولي نهضت وجلست على الفراش وقلت:

_ ومن أخبرك أنني أدعي النوم؟

أجابني وهو يجلس بجانبني:

_ وهل ينام من قتل فتاة بريئة كل هذا الكم؟ من أين لك بكل هذا الهدوء يا رجل! منذ وصولك إلى هنا لا تتحدث أو تتسامر معنا، فقط تغفو طوال الوقت، ألا تشعر بالذنب!

شيء بداخلي أراد البوح له بالحقيقة فقلت:

_ أولاً من أخبرك أنني متهم بقتل فتاة؟ وثانياً وإن دل هدوئي على شيء فإنه يدل على براءتي، الشيء الوحيد الذي أشعر بالذنب حياله هو عدم استطاعتي حماية جثتها من التهشم بسبب السقوط من أعلى البناية.

اتسعت حدقتا عينيه، وارتسمت علامات الدهشة على محياه، غالباً فهم ما أقصده فقال:

_ جثتها! هل كانت جثة قبل سقوطها؟

جاء منظر الفتاة وهي تنحني بجذعها على السور بمخيلتي فور تفوّه بتلك الكلمات، فتسارعت أنفاسي ولمت نفسي لعدم مساعدتي لها والركض بشكل أسرع لإنقاذها أو إنقاذ جثتها من التهشم فقلت:

_ لتتحدث بأي شيء آخر عدا أمر الحادث، قل لي من أين علمت بأمر الفتاة؟

استطرد قائلاً:

__ هذا سهل جداً، أحد الحراس أخبر مسجوناً هنا بينهما علاقة وطيدة والأمر انتشر بيننا، وعلمت أيضاً أن أمرك صعب للغاية وهناك توصية من الأعلى عليك، أخبرني كيف ستنفذ روحك من حبل المشنقة؟

عندما أخبرني بأمر تلك التوصية وصعوبة حصولي على براءتي شعرت بالانزعاج وقلة الحيلة، لكن تذكرت المحامية والإصرار الذي رأيته بعينها فتأكدت أن لا أمل في نجاتي سواها، لقد أخبرني المحامي الذي وكلته لي «حنان» أن الأمل الوحيد بتقرير الطب الشرعي، أما هي فقد قالت بأنها ستخرجني من هناك مهما كلف الأمر، لذلك قررت الوثوق بها إلى أن أحصل على حريتي، وبعدها ستبدأ معركة إظهار الحقيقة فنهضت وأنا أرسوم ابتسامة النصر على وجهي وقلت :

__ أمني بربي لن ينتهي يوماً يا "رائد" سأخرج من هنا مهما كلفني الأمر، لن أفني حياتي متهماً بجرم لم أرتكبه.

الفصل السادس

****أسوءة****

بعد انتهاء مقابلة زين شعرت بالارتياح ولو قليلاً وتأكدت أنه برئ، لذلك اتخذت قرارى سأنفذ لهذا المبتز ما يريد، سأسعى للحصول على براءته التي كان يستحقها بالفعل .

طلبت من سائقي أن يقيم بتوصيلي إلى المكتب لكي ألتقي بخالي وأضع معه خطة من خلالها سأحصل على براءة «زين»، طوال الطريق كنت أسترجع حديثنا، نظراته، ما رواه عن يوم الحادث، ترايدت شكوكي في أمر صديقه «معاذ» وكان لابد أن أصل إليه وأتحدث معه، فكل الحقيقة مؤكدة ستكون لديه .

اجتمعت بخالي وقمت بإقناعه بالدفاع عن «زين» ومساعدته فوافق عندما توسلت إليه، أخبرته أنني لن أتخلى عن هذه القضية مهما حدث، فطلب مني البدء في الإجراءات و الاطلاع على كافة الأوراق وانتظار نتيجة الطب الشرعي، فهي التي ستحدد مسار القضية.

تركته بعد أن اطمئن قلبي وتوجهت إلى حياتي الخيالية مع أميري، متلهفة للغاية لرؤيته وإخباره بكل ما حدث بذلك اليوم،

كعاداتي قضيت الليلة أثرثر بجانبه وأحكي له عن « زين » وعن القضية وملابساتها والطرق التي سأسلكها كي أساعده، شعوري وأنا انظر لعينيه، مدى التشابه بين نظراته ونظرات الصقر، انبهاري بشموخه وعنفوانه، كل ذلك تحدثت به إلى أن غلبني النعاس فغفوت بجانبه، وفي الصباح ركضت بكل نشاط وهمة إلى المنزل، قمت بالاستحمام وتبديل ملابسي وتوجهت إلى الأسفل مرة أخرى، منزلي قصر كبير ذو بهو واسع وسقف مرتفع تنبهر ما إن تنظر إليه، أثاثه فخم للغاية، يتواجد بمنطقة راقية بأحد أحياء مدينة القاهرة منطقة تقتصر فقط على الطبقة المخملية وكبار رجال الدولة، كل شيء به يدعو إلى الراحة والسرور، لكن سلبت منه فرحته وأصبح كل شيء به يجعلني أشعر بالاختناق، كل ركن به يذكرني بطفولتي، لدي ذكرى على كل درجة من درجات السلم، كنا نجلس ونهمس بأذن بعضنا البعض، ونضع الخطط ونركض لتنفيذها، أه كم كنا سعداء، كم هذه الدنيا غادرة تسرق منا ضحكتنا بلحظة واحدة دون سابق إنذار .

كان أبي يجلس في الأسفل ويقرأ الجريدة كعاداته، بينما تشرف أمي على تحضير الإفطار اقتربت منه بحذر وطبعت قبلة على رأسه، فالتفت لي وابتسم قائلاً:

— “أسوة” صباح الخير عزيزتي.
— صباح الورد يا أبي كيف حالك؟

— بخير عزيزتي هل عدت الآن أم البارحة؟

اومأت برأسي وقلت:

_اممم جئت للتو، أمي بالمطبخ؟

جاءني صوتها من الخلف وهي تقول:

_جاءت الماكرة، وأخيراً تذكرت أن لديك عائلة.

نهضت ثم عانقتها وسحبت رانحتها إلى داخل صدري، كنت
أشتاق إليها، فلا حنان كحنان الأم ولا أجمل من رائحة الياسمين
بشعرها، الدفء الذي أشعر به بين زراعيها لا أحصل عليه وإن
التحفت بمائة غطاء، ابتعدت عنها قليلاً وقلت:

_أذكركم دومًا لكن اعذريني، بدونه أشعر بالتخبط يا أمي،
المكان هنا يجعلني أختنق في غيابه.

اغرورقت عينيها بالعبرات واحتقن وجهها، شعرتها ستختنق وهي
تكتم شهقاتها فربتت على كتفيها وتابعت:

_أعتذر حبيبتي، لا تحزني أرجوك، كل شيء سيعود كالسابق .

تنهدت بضيق ثم رسمت ابتسامة زائفة على ثغرها وقالت:

_ لا أحزن يكفي أن تكوني بخير، لم يبق لي أحد سواك يا نبض
قلبي.

شاركنا أبي الحديث على الأغلب يقصد تلطيف الأجواء فقال:

_ لم يبق لك أحد سوى هذه الماكرة، وماذا عني أيتها الطيبية !

تحركت أمي بضع خطوات حتى التصقت بجسده وعانقت رأسه

وقالت وهي تذرف دموعها بغزارة:

__ إن كانت هي نبض قلبي فأنت قلبي، ولا تسألوني عن روحي
فأفقد فارقت جسدي منذ زمن.

لم أتحمل حديثها فهو شيء فاق قدرة تحملي، أخبرتهم أن لدي
عمل هام والتقطت حقيبتي ورحلت راكضة إلى الخارج، وبمجرد
غيابي عن أنظارهما توقفت عن الركض وبكيت وأنا أضع يدي
على قلبي الذي يؤلمني منذ يوم الحادث اللعين، رحت أتمتم قائلة»
أمير أميري هيا عد، لا أحتمل أكثر، إن كان العيش على أمل
عودتك جنوناً فأنا أَرْضَى بالجنون، يكفي أن نجتمع مرة أخرى»

جاء العم «محمد» سائقي الجديد ، وربت على كتفي بحنان
وتحدث بنبرة مريحة للنفس وقال:

__ لا عليك يا بني، لا تحملي روحك فوق طاقتها، ربك أعلم
بحالك فقط قل لي يا رب .

كفكت دمعاتي بيدي وتنهدت فقلت :

__ ونعم بالله، يا رب كن معي.

تحركت قليلاً وتابعت :

__ هيا بنا لنذهب، سأزور إحدى صديقتي اليوم.

أخبرني «زين» بأمر عائلته وشقيقته وتخوفه من حالتهم
ومعاناتهم من قبل المحيطين بهم فعاهدته أن أقوم بزيارتهم
والتحدث معهم، وطمأنتهم على أحواله، ذهابي لهم ليس للاطمئنان

على حالتهم فقط وإنما للتحدث معهم، ومعرفة تفاصيل عن زين وعن أعدائه.

منزل زين يقع بحي راقٍ على ضفاف النيل، ببناية يسكنها أصحاب المال والجاه، وهذا يدل على وضعه المادي الجيد بما لا يتوافق مع مهنته فتعجبت من أمره وعقدت النية على فك رموز هذا الزين حتى أعلم مع من ألعب وأصل للحقيقة.

طلبت من سائقي أن ينتظروني لبعض الوقت وتوجهت الى الطابق الحادي عشر حيث تقع شقة زين لعنت حظي وأنا بداخل المصعد فمازالت الطفلة التي بداخلي تخشى استخدام المصاعد بمفردها، وأخيراً تخلصت من هذا المصعد اللعين ووصلت إلى باب الشقة، جمعت الهواء بداخل صدري وزفرته بهدوء، وضعت يدي على الجرس معلنة عن وجودي بالخارج، وبعد وقت قامت فتاة أعتقد أنها في أوائل العشرينات بفتح الباب، كانت حزينة بعض الشيء وملاحها تدل أنها كانت تبكي للتو، نظرت لي متفحصة لوجهي وجسدي ثم دارت بعينيها بالمكان وقالت:

__ تفضلي ماذا تريدين؟

ابتسمت إليها وقلت :

__ أنا محامية الأستاذ زين هل تسمحين لي بالدخول؟

تبدلت نظراتها إلى نظرات قلقة وقالت:

__ لكني أعلم أن من يقوم بالدفاع عن سيدي رجلاً!

كنت سأجيبها لكن توقفت عندما جاءت فتاة غاية في الجمال

ووقفت خلفها ثم قالت:

__من الطارق يا خوخة؟

التفت إليها الفتاة بارتباك وقالت:

__فتاة تقول أنها محامية سيدي زين.

ابتسمت لي الفتاة وقالت:

__تفضلي.

افسحوا لي المجال ودلفت الى الداخل ، بيت راق يدل على أصالة ورقي ساكنيه، ملئ باللوحات الفنية، وأثاثه ذو ذوق فاخر، كنت أرتجف أثناء مروري في أرواقه حتى وصلت إلى غرفة الاستقبال، طلبت مني الفتاة الجلوس فجلست وشكرتها على حسن استقبالها، طلبت من تلك المدعوة خوخة التوجه لإحضار واجب ضيافتي، وبعد أن رحلت نظرت لي نظرة تشبه نظرة شقيقها وقالت:

__على حد علمي محامي زين هو الأستاذ محسن جاد الحق.

__هذا كان سابقاً، أما الآن الدفاع عن الأستاذ زين سيكون مشتركاً بيننا أنا و الأستاذ محسن بالمناسبة تشبهينه كثيراً.

تبدلت نظراتها وأصبح الحزن جلي على ملامحها وقالت:

__نعم الشبه بيننا كبير، لقد فقدت روعي في غيابه.

فرت دمعة هاربة من عيني فكفكفتها بسرعة قبل أن تلحظ هذا
وقلت:

_أعدك سأحصل على براءته.

هممت لنفسي وقلت :

ظهر سبب آخر لدفاعي عنك يا زين مؤكد كنت لن أترك تلك
الجميلة تشتاق إلى أخيها، ونويت أن أجمعكم، سأعاند الفراق،
سأنتقم منه بكما، ستعود وتأخذ عائلتك بين كنفك، لن أترك فتاة
تبكي اشتياقاً إلى أخيها مهما كلفني الأمر.

تحدثنا قليلا عنه وعن القضية، عرفت عن نفسها أنها حنان شقيقة
زين الوسطى، كانت تتساءل عن أسباب دفاعي المفاجئ عنه
فأخبرتها أننا كنا أصدقاء منذ وقت طويل، ولهذا اقتنعت بدفاعي
عنه، عثرت معها على ما أبحث عنه، فهي أمدتني بالكثير من
المعلومات عنه، يتسم بالعناد، شجاع لا يخشى أحد، يعمل على
قضية اختفاء الأطفال منذ وقت، وصلت إليه مؤخراً تهديدات
ليتوقف عن الحملة التي كان يشنها ضد المسؤولين وخاطفي
الأطفال، لكنه أبى وأقسم أنه لن يتوقف إلى أن يصل إلى الرأس
المدبر، أما عن علاقته بمعاذ فرفضت أن تتحدث في الأمر
وتبدلت ملامحها، وأثناء حديثنا دلفت إلى الغرفة سيدة قعيدة
تستخدم كرسي متحرك، يزين وجهها حجابها المنسدل على
كتفيها، ملامحها بريئة لكنها لا تشبه زين وحنان.

نهضت حنان فجأة وتوجهت إليها وساعدتها في الاستقرار
بكرسيها بالقرب منا، ألقيت عليها التحية وعرفتني حنان

عليها، السيدة أنيسة والدة زين ملامحها تدعو للآلفة والود، سكنتنا
لبعض الوقت فقالت:

الغريب بالأمر زين يعتقد أن مكان المرأة هو المنزل في
الوظائف المرهقة كالمحامة، إذن كيف وافق على دفاعك عنه!
مؤكد يثق بمهاراتي، لا شيء يدعو للقلق، آخر ما توصلت إليه
أن الفتاة لم تنتحر وإنما قام أحدهم بقتلها، ولم نعلم للآن كيف
سقطت من الأعلى، فقط ننتظر تقرير الطب الشرعي وهو على
وشك الظهور.

تهللت اسارير السيدة أنيسة وقالت:

لقد أحببتك منذ سقطت عيني عليك، تفاءلت بك يا ابنتي تعالي
لأعانقك يا ذات العين الجميلة.

عانقتها بكل حب وربت على ظهرها كأني أعاهدها بأن أرد إليها
ولدها قبل العيد القادم كما هو مكتوب بالخطاب، التفت لأجلس
مرة أخرى فوجدت حنان في حالة انهيار تام وتذرف دموعها
بصمت، تضع يديها على وجهها لتواريه بهما، جلست بجانبها
وقلت:

لا عليك عزيزتي كفي عن البكاء، أمر خروجه مفروغاً منه،
طلب مني أن أتي إليكم وأخبركم أن حصوله على براءته مسألة
وقت، مؤكد تقرير الطب الشرعي سيظهر براءته، بجانب شهادة
حارس البناية.

قالت بصوت مرتجف :

__أدعو ربي ليلاً نهاراً ليعد إلينا سالمًا في أقرب وقت.

هدأت بعد وقت وعلمت أن سارة لم تعد من الخارج فأخبرتهم أنني سأتي مرة أخرى لأطمئن على أحوالهم.

مر الأسبوع بسرعة شديدة، كنت طوال الوقت أعمل من أجل القضية، عقدت اجتماعات عدة بخالي والتقيت زين مرة أخرى، تحدثنا بتفاصيل الحادث ولقاءه بحارس البناية قبل صعوده، حدث الكثير طوال الأسبوع كنت أمل أن النتيجة تكون مثمرة، حتى عندما أكون بجانب أمير كنت أطلع على مواد وكتب القانون لعلني أجد ثغرة تساعدني في القضية، هذا إن كانت نتيجة الطب الشرعي تدين زين.

في صباح يوم المحاكمة:

كنت أجلس مع عائلتي حول المائدة نتناول الإفطار وكان التوتر جلي على ملامحي، ومن وقت لآخر أنظر إلى هاتفي لأتحقق من الوقت حتى لا أتأخر على موعد الجلسة، كان أبي يرمقني بنظرات متفحصة بعض الشيء، فشعرت بالخوف من نظراته كأنه يقرأني ويقرأ ما يدور بعقلي، لاحظت أمي توترتي فعانقت يدي وقالت:

__بنيتي ما بك، لما كل هذا التوتر؟

__ لا يوجد شيء يا أمي لدي جلسة لقضية هامة.

تدخل أبي بالحديث وقال:

__ اتركها وفاء، ابنتك كبرت لدرجة أصبحت تخفي الأمور عنا
وتعمل على قضايا المتهم بها مذنب.

اتسعت حدقتاي وارتجف جسدي، فخشيت انكشاف أمري فقلت:

__ عن أي متهم تتحدث يا أبي !

نهض واقفاً وألقى بالسكين الذي كان بيده على المائدة، وقال وهو
يرفع سبابته محذراً إياي:

__ أتحدث عن هذا الصحفي المتهم بقتل ابنة رجل الأعمال مهران
الشهاوي كيف لك أن تدافعي عن قضية بهذه الخطورة! ألا تعلمين
من هو والد القتيلة؟ أين نحن وأين هو يا صغيرتي .

__ أبي لكن هو بر.....

كنت سأخبره أن زين برئ ولا يوجد داعٍ لكل هذا الخوف، لكنه
رفع سبابته مرة أخرى وتابع:

__ لكن الذنب ليس ذنبك وإنما ذنب خالك رجل القانون، الذي
أصبح يقبل الدفاع عن مذنبين، والأدهى أنه وضعك أنت في مهب
الريح، لماذا لم يعطي القضية لابنته ؟ حسناً لي حديث آخر عندما
التقي به.

جاء صوت خالي من الخلف وهو يتحدث بنبرة مرتفعة وحادة
أشبه للعراك وقال:

__ لا فرق بين ابنتي وابنتك، هل جننت يا ناجي ؟

توجه أبي إليه واقترب منه قائلاً:

__ألا تعلم أن قضية هذا المتهم هي قضية رأي عام، كيف لك أن تضع ابنتي في موضع كهذا؟ ألا تقلق من مهران الشهواني؟

__لا أقلق من شيء، دليل براءة المتهم أصبح بين أيدينا، كما أن حارس البناية سيشهد معنا، وأصبحنا متأكدين أن المتهم تعرض لمكيدة ما، فسجلات كاميرات المراقبة بالمنطقة تم حذفها بشكل مدبر، ولم نعرثر على مشهد واحد لدخول زين إلى البناية، لا تقلق، هذه القضية ستغير حياة ابنتك المهنية، تعال هنا أخبرني منذ متى وأنت تتدخل بعملنا يا ناجي!

استطرد أبي قائلاً:

__لا أتدخل بعملكم، لكن البارحة زارني مهران الشهواني بالمشفى كان منزعاً جداً من دفاع أسوة عن قاتل ابنته حتى أنه سيحملها المسؤولية إن لم ينل هذا المجرم عقابه، لم أجد الجرأة لأرفع عيني به وقد كنت حذراً جداً طوال حياتي فيما يخص سمعتي وسمعة عائلتي، لن تأتي هي على آخر زماني لتدافع عن مجرم وتخلق عداوة مع رجل يقف خلفه هو وابنه الكبار.

حديث أبي وخوفه علي وتهديد هذا المهران له أغضبني جداً فانفعلت رغباً عني وقلت:

__أبي لست طفلة حتى يأتي هذا الرجل يشتكى لك أفعالي، إن كان المتهم مذنباً سينال جزاءه، أما إن كان بريئاً لن يمنعني أحد من مساعدته .

التفت إلى خالي وقلت:

_هيا يا خالي لنذهب، سنتأخر عن الجلسة.

رحلت أنا وخالي ورحمة متوجهين إلى المحكمة تاركة أبي وأمي في حيرة من أمرنا وثقتنا الزائدة ببراءة زين ، ولا يعلم كل منهما ما مررنا به طوال الأسبوع وما توصلنا إليه لذلك سأذهب الى الجلسة وأدافع عن زين ثم أعود إليهم بالبراءة كي يتقوا بي بعد اليوم.

أمام المحكمة:

ترجلت من عربة خالي برفقته هو ورحمة فهم جاءوا يومها لمساندتي وخوفاً من ظهور هذا المبتز أو تعرض مهران أو ولده لي ، مررنا إلى داخل المحكمة ووقفنا بالرواق ننتظر قدوم زين أو بدء الجلسة، رحت أفرك كفي يدي المرتجفتين من هول الموقف وشدة التوتر، فأنا اليوم أدافع عن متهم مجبرة حتى لا يتأذى أغلى من أملك، أدافع عنه حتى يخرج من محبسه ويكشف لي الحقيقة، لعلني أصل إلى المبتز، لاحظت رحمة توترني فربتت على كتفي وقالت:

_لا تقلقي يا عزيزتي، ما قمنا به سيجدي نفعاً إن شاء الله، وإن كان على والد القتيلة فما إن يرى الحقيقة بأمر عينه سيقوم بشكر، يكفي أن تبدعي في دفاعك بالداخل حتى لا يخيب ظن أبي بك، أنظري كم هو فخور بك ويثق أننا سننتصر اليوم.

أومأت لها بالإيجاب و زفرت ما بداخل صدري من هواء وقلت:

__ إن شاء الله.

بعد وقت وصلت حنان رفقة والدتها وشقيقتها سارة، سارة فتاة رقيقة للغاية وملامحها بريئة ملابسها تتسم بالأناقة حجابها يزين وجهها حالها كحال والدتها يبدو أنهم عائلة محافظة تنمسك بتقاليد دينهم، توجهت إليهم وألقيت التحية على السيدة أنيسة ثم مددت يدي لأسلم على سارة وقلت:

__ مؤكد أنك سارة مرحبا أنا محامية أخيك.

نظرت لي بعدم فهم وقالت بعد أن بادلتني السلام:

__ عندما أخبروني أن من ستدافع عن أخي فتاة لم أتوقع أن تكوني بهذا العمر، وعلى هذا القدر من الجمال.

لم أفهم حديثها هل هو مدح أم سخرية، فبادلتها الابتسام وقلت :

__ أشكرك أنا أسوة ناجي العاصي تشرفت بك.

__ وأنا أيضًا.

التفت إلى حنان وابتسمت لها وقلت:

__ جاهزة حتى أفي بعهدي لك اليوم؟

حركت رأسها مرارًا وقالت:

__ إن شاء الله.

قمت بتقديمهم إلى خالي ورحمة وتم التعارف وجلسنا ننتظر في توتر بدء الجلسة، كنت أنتظر وصول عائلة القتيلة وأتخوف من المواجهة، أما الفتيات ووالدته كانوا ينتظرون قدوم زين أنظارهن كانت مصوبة نحو الخارج لعله يظهر بين الفينة و لأخرى .

وأخيراً هبت العاصفة وحضرت عائلة الشهاوي ، أول من تحدث كان هذا المتهور خالد وبمجرد اقترابه منا نظر لي بسخرية فقال:

__ هل هذه المحامية التي ستقتل أختي من حبل المشنقة؟ تباً لمن أوهمها بهذا.

قبض خالي على ذراعي وقال:

__ إياك يا أسوة إنهم يستفزونك فقط، ا بقي صامته لحين بدء الجلسة مهما يحدث.

أومأت له بالإيجاب ولم أفه بحرف، فأكمل الأب ما بدأ به الابن وقال :

__ أخطأ "ناجي العاصي" عندما سمح لابنته على الوقوف ضدنا يا ابني.

إلى هذا الحد وكفى، لا أسمح لأحد بالتقليل من شأني أو إهانة أبي فقلت:

__أولاً اسمه الطبيب ناجي العاصي جراح القلب العظيم ،ثانياً أنا لا أخذ رأي أحد بعلمي، لا يتدخل أبي مهما يكن بقضاياي، ثالثاً لا أقف ضد أحد على العكس أساعدكم حتى يأخذ القاتل الحقيقي لابنتك جزاءه، سترى الحقيقة بعينيك لذلك لا تقل أشياء ستجبل منها لاحقاً.

اندفع خالد الشهاوي نحوي كالثور وصاح بي:

__من أنتِ حتى تتحدثين مع أبي هكذا؟ انسيتي من نحن ومن أنتِ
!.

جذبه والده إليه وهمس بأذنه، فرمقني هذا الغبي بنظرات غاضبة وتراجع إلى الخلف فقال والده:

__ اهدأ يا بني، قاتل أختك سينال جزاءه مؤكداً، أما من دافع عنه سيخسر الكثير اليوم.

كنت سأجيبه وألقنه درساً لكن سمعت صياح سارة وهي تتوجه نحو الخارج قائلة:

__ أمي لقد وصل زين جاء أخي، جاء أخي.

ركضتا الشقيقتان إلى أخيهن وبدأتا في التوسل لأفراد الشرطة حتى يسمحوا لهما بمعانقته، لكن الأوامر مشددة وفي ظل وجود خالد الشهاوي لن يهنأ زين أبداً، لمحت الحزن في أعينه والألم والحسرة على ملامح والدته، أما عائلة الشهاوي كانوا يتابعون الموقف بفرحة، فأردت تلطيف الجو بالنسبة لعائلة أبو نجم

وقلت:

__ زين لا تقلق دليل براءتك معي، ستعود اليوم مع عائلتك إلى المنزل أعدك .

ابتسم لي وراح ينظر إلى خالد بتوعد ثم توجه مع أفراد الشرطة إلى الداخل واختفى عن الأنظار .

أعلن موظف بالمحكمة عن بدء الجلسة فتوجهنا جميعاً إلى الداخل، جلس كل منا في مكانه و زين كان يراقب كل ما يحدث من داخل القفص، أما والدته فكانت تغض عينيها وتتمتم بالكلمات، فهمت أنها تدعوا له، سارة و حنان جلستا بجانب قضبان القفص الحديدي بالقرب من أخيهما وعلى الجهة الأخرى عائلة الشهاوي .

كنت أتلفت حولي طوال الوقت لعلني أصل الى هذا المبتز، فكما قال في آخر خطابه أنه سيسمع نطق حكم براءة زين بنفسه، لكن لم أستطع التعرف عليه من بين الحضور .

بدأت الجلسة قدمت أنا والسيد محسن ومحامي القتيلة الأوراق والتوكيلات الخاصة بنا، وبدأ محامي الخصم بمرافعته، وعندما جاء دوري في الدفاع نهضت بكل ثقة وطلبت حضور الشهود والذي كان من بينهم حارس البناية الذي أكد صعود زين بمفرده لأعلى سطح البناية قبل سقوط القتيلة بدقائق معدودة، وعندما تم سؤاله عن توقيت صعود القتيلة نفى رؤيتها أثناء صعودها ولا يعلم كيف تم الأمر، كان يجلس أمام الباب طوال الوقت فقط رأى زين ومعاذ معاً وهذا ما كنا نسعى إليه طوال الأسبوع الماضي،

إثبات تواجد معاذ بمكان الحادث هذا أولاً ، ثانياً إثبات عدم رؤية الحارس زين والفتاة معاً كما شهد بالنيابة، وعلل تغيير إفادته كونه اختلط عليه الأمر وشبه زين والقتيلة لأشخاص آخرين، ولكن الحقيقة أنهم هددوه بأبنائه حتى يشهد ضد زين.

وبعد سماع شهادة شهود النفي قدمنا تقرير الطب الشرعي الذي كان صدمة للجميع، حيث كان محتواه وفاة القتيلة قبل ميعاد سقوطها بوقت يتراوح من أربع إلى ثماني ساعات، تبين أن سبب الوفاة كدمة بالرأس أدت إلى نزيف داخلي وكسر بالجمجمة مما أدى إلى وفاتها في الحال، أما الكسور التي كانت بجسدها فكانت نتيجة لسقوطها من الأعلى، اثبتنا تواجد زين بمقر عمله بجريدة القلم الحر وقت وفاة القتيلة عن طريق كاميرات المراقبة وعلى هذا تم إثبات براءة زين ، لكن الغير متوقع هو اكتشاف رجال الطب الشرعي لحمل القتيلة بالشهر الثالث وهذا ما أثار جنون عائلتها وحدث هرج ومرج بقاعة المحكمة لكن سيطر القاضي على الأمر .

وهكذا حصل زين أبو نجم على براءته وقمت بحماية أميري ووفيت بوعدى لعائلة أبو نجم ، أشعلت النار بقلب عائلة الشهاوي دون قصد مني وأثبت لخالى وعائلتي أنني جديرة بثقتهم، وانتهت قضية زين أبو نجم دون خسائر هذا ما كنت أعتقده.

الفصل السابع

محرك الدمى

فليصمت الجميع وتكف الألسنة عن التفوه بالهراء ولتسترق الأذان للاستماع إلى الحقائق ولتتفتح الأعين حتى تقرأ ما بين السطور، فلقد حان وقت تحدث محرك الدمى، هذا إن أرادت العقول فهم كيف يدير معركته ويجمع الخيوط ليتمكن من إغراق سفينته بركابها، هذه نصيحتي لكم قبل أن أبدأ بالتحدث.

مؤكد الأمور بالفترة السابقة للمحاكمة لم تجر بهذه السلاسة، وكل شيء حدث كان بهذه السهولة، بل على العكس تماماً، لقد كان الأمر سيئاً للغاية وحدثت عقبات كثيرة مفاجئة وأمور عرقلت خطتي لكن بفضل التدابير التي اتخذتها سابقاً تخطيت الأمر.

كان لا بد أن أعزز موقف زين أثناء الجلسة خوفاً من حدوث أمور لم تكن بحسابي، لذلك أفرجت عن أول مقتنياتتي ليكون أداة ضغط على حارس البناية فيبدل شهادته الباطلة بحقيقة ما رآه يوم الحادث، فأنا لا أطلب شيء سوى الحقيقة وأسعى فقط لتحقيق العدل، وبالفعل نجحت أسوة في إقناعه، ليس بمجهودها

الشخصي وإنما بفعل خطتي ومساعدتي لها، فما هي إلا دمية أحركها بيدي كما أشاء .

بعد مرور يومين على زيارة أسوة إلى زين وموافقته على توليها القضية قررت إرسال جزء من فيديو ليلة الحادث إليها، يظهر فيه رجلاً يحمل هند بين يديه تحت أنظار الحارس، لأساعدها في الحصول على براءته وتبدأ المعركة الحقيقية.

وبعد أن أنهت أعمالها اتجهت الى مخبئها الليلي وهي مقتنضة الملامح والأرق واضح على محياها، وقفت بجانب أميرها تنظر إليه بأسى، راقبتها بسخرية فكم هي ساذجة تلك الأسوة كانت تأمل بعودته ولا تعلم أن من رحل لا يعود، حتى لم تكن تعلم أنها في عداد الراحلين هي الأخرى، سقطت نظراتها فجأة على ظرف موضوع بجانبه فانتفض جسدها والنقطته بأناملها وهي تتلفت حولها بفزع، شعرت أنها تبحث عن أي شيء يعود لي يجعلها تصل إلي، أو كانت تبحث عني لكنها مسكينة لم تكن تعلم أنني لن أظهر إلا في نهاية المعركة عندما أقرر هذا، كنت أراقبها وأتلذذ بمتابعة مشاعر المتضاربة بين الفزع والخوف والبحث عني، وبعد أن تأكدت من خلو المكان من البشر قامت بفتح الظرف، استطعت رؤية رجفة يديها من مكاني، أخرجت كارت الذاكرة وتفحصته برؤية ثم النقطت الورقة المطوية بجانبه وقرأت ما كان مكتوباً بصوت خفيض كيف حالك محاميتي الصغيرة؟ انظري هذه هديتي لك بمناسبة اقناع زين بالدفاع عنه، كارت الذاكرة هذا هو وسيلة الضغط التي ستقومين باستخدامها لتجعلين حارس البناية يبدل شهادته ليتعزز موقف زين بالقضية، كوني حذرة

مهران الشهاوي سيشن حملة ضدك لكن لا تقلقي، هناك من يراقبك طوال الوقت لحمايتك، وبنفس التوقيت هناك من يراقبك ليعرف خطواتك، لذلك كوني حذرة، اجعلي شخصاً غيرك يتعامل مع الحارس، لا أريد ظهورك بجانبه أبداً وانتظري مني التوجيه لخطوتك القادمة، بالمناسبة لا تحاولي البحث عني والعثور علي، فقط قومي بما أمليه عليك حتى نتخلص جميعاً.. وداعاً.

أقلت الرسالة بإهمال ثم وضعت كفي يدها على وجهها وشرعت في نوبة بكاء استمرت لبعض الوقت.

وفي الصباح استيقظت لتجد نفسها تغفو بجانب شقيقها، كان كارت الذاكرة ما زال موجوداً بقبضة يدها ففتحتها وصوبت أنظارها نحوه بفزع، لاحظت اختفاء الرسالة فبحثت عنها بكل مكان ولم تجدها، ذرفت دمعاتها بقلة حيلة، نهضت وهي تكفكف دمعاتها ولملمت أشيائها ورحلت مسرعة وهي تركض متوجهة إلى خالها لتنفذ ما أمرتها به.

في اليوم التالي..

قام طارق الجبالي بتدبير لقاء لمواجهة الحارس كما أمرتهم، و ما إن رأي الفيديو حتى انهار وتوسل إليهم كي لا يقدموه إلى الشرطة، وبالفعل عاهد طارق أن يقوم بإخفاء الفيديو بشرط أن يشهد الحق ويروي بالمحكمة كل ما حدث ليلة الحادث، فوافق بعد أن وعده بحماية أسرته.

وهذه كانت أول عقبة تم التخلص منها دون مشاكل، العقبة الثانية كانت تقرير الطب الشرعي الذي ظهر قبيل يوم المحاكمة

بساعات، ولأنني كنت على ثقة أنهم سيتخلصون منه ويتم وضع آخر مزيف بدلاً عنه، فكنت أسبقهم بخطوة حصلت على نسخة طبق الأصل من التقرير الحقيقي بفضل علاقتي الخاصة بأحد العاملين بمصلحة الطب الشرعي، انتظرت قيامهم بعملية التبديل وقمت بعدها بمفاجئتي لهم قبل وصول الملف الذي به التقرير إلى أيدي المسؤولين ووضعت التقرير الأصلي مرة أخرى.

وهكذا ضمننت براءة زين وإظهار الحق، حتى لو كان بهذا التقرير ما يؤلم قلبي ويكشف ما وددت إخفاءه طوال عمري، لكن ليكن، يكفي أن أنتقم، يكفي أن أرى الحسرة في قلب مهران وابنه .

كنت أعلم أن الأمور ستتفاقم بالفترة القادمة ومؤكد هناك رد فعل قوي ورادع من قبل المجرم على مفاجأتي الغير سارة له، وتوجب علي حماية أسوة فلم ينتهي دورها بعد ولا بد أن أتخذ الحيلة.

سمعت حكم براءة زين بأذني فتأكدت أن الأمور جرت كما خططت لها وابتسمت بسخرية للفرحة العارمة التي حلت على المكان، ونظرت إليهم جميعاً وهمست: اللعنة عليكم، لما كل هذه الفرحة والبهجة! هذا أول حرف كتب بشهادة وفاتكم أيها الأغبياء، فلقد حانت اللحظة الحاسمة وبدأت المعركة والتلاعب بعقول الجميع حد الجنون

الفصل الثامن

****زين****

حكمت المحكمة حضوريا ببراءة المتهم زين صالح أبو نجم من جميع التهم المنسوبة إليه ورد القضية إلى سراي النيابة لإعادة التحقيقات مرة أخرى، وسماع شهادة المدعو معاذ حامد الألفي فيما ورد عن لسان شاهد النفي بالقضية.

وأخيراً ثبتت براءتي وعاد إلي حقي، الحمد والشكر لك يا ربي لم تجعل رأس أسرتي منحني طوال العمر، كنت أراقب دمعات أُمي المنهمرة على وجنتيها وأتمزق بداخلي حزناً عليها، توعدت لمن أوقعني بهذا الفخ وأقسمت بأن أكشفه وانتقم لكل دمة أحرقت وجهها، كانت سارة تعانق حنان وتبكي فرحاً بينما نظرات حنان مصوبة نحوي بعد أن علمت دمعاتها مجراها، انتشلني من شرودي بفرحة عائلتي المتمثلة في دمعاتهم تلك التي تقف تراقب الأمر عن بعد، حالها لا يقل سوءً عن حال أُمي، فهي الأخرى تبكي بصمت مع بسملة فاترة ترتسم على ثغرها، ولا أعلم سبب تلك الدموع هل تأثراً بدمعات أخوتي أم أن هناك سبباً آخر تخفيه عن الجميع !.

رحت أفكر بالأمر من الناحية القانونية وهممت لنفسي «أي عبث يحدث الآن! اتضح أن القضية لم تكن بتلك الصعوبة، مجرد تقرير أظهر براءتي وكان من الهين على المحامي القيام بالأمر، إذن لما اختار المبتز تلك المحامية لتدافع عني؟ كنت متيقناً أنه اختارها عن قصد لتقم بالأمر، وهناك شيئاً يربطنا جميعاً ببعضنا البعض، قطع شرودي صوت «حنان» وهي تقول :

__ “زين ” حمداً لله، ظهر الحق يا أخي، ستعود معنا إلى المنزل، أخيراً انتهى هذا الكابوس المزعج.

وضعت يدي فوق القفص الحديدي بمقابل يدها لتتعانق أيدينا على الرغم من وجود القضبان، في الأصل تعانقت أرواحنا قبل أيدينا فما بينا ليس فقط رابط الدم وإنما عمراً بأكمله فالفتاة لا تشعر بالأمان سوى بين كف شقيقها، فرت دمعة هاربة من عيني حاولت كبحتها كثيراً لكن لم أستطع، فدموع أختي أقوى من أي شيء، قلت:

__ “حنون” لا تبكي أرجوك، انتهى كل شيء، اليوم سأنضم إليكم.

جاءت «سارة» من خلفها وهي تبتسم بسعادة قائلة:

__ لقد عاد أخي الشكر لك يا ربي، “زين” اشتقت لك كثيراً.

__ لا تبكي يا صغيرتي، انتهت الليالي البائسة وبدأ عهد جديد يتخلله الكثير من القهقهات والمثاجات، ما رأيك؟

كنا نتحدث و يبدو أن مزحتي التي داعبت بها «سارة» ظهر

مفعولها سريعاً فارتسمت البسمة على محياها، لم يسمح لي الشرطي بالتحدث أكثر وجذبي لنغادر قاعة المحكمة، اتسعت حدقتا شقيقتاي وصاحت «حنان»:

__ إلى أين تأخذوه "زين" ألم يطلقوا سراحك!

استأت من ذهابي معهم بهذه الطريقة ونحن بالكاد استطعنا التحدث للتو، فجاءت أسوة من خلفها ووضعت يدها على ذراعها وقالت:

__ لا عليك هناك إجراءات سأنهيها ويخلى سبيله بعدها.

سمعت «خالد الشهاوي» يهدر بعصبية واضحة وغضب جامح:

__ ما هذا الجنون! إن كان الصحفي برئ، إذن من قتل أختي؟ كيف كانت متوفاة من قبل؟ عن أي حمل تتحدثون؟ أي جنون هذا! سأقتلكم جميعاً.

همس والده بأذنه وجذبه من يده إلى الخارج وترك المكان في عجلة، وبعد عدة دقائق كنت أعبر بوابة المحكمة فرأيت «خالد» يتقدم مندفعاً نحو "أسوة"، حاول الانقضاض عليها لكن تكالب الرجال من حوله ومنعوه من التقدم نحوها، فتوجهت رغباً عن رجال الشرطة ووقفت بينهم وصحت بعصبية:

__ إياك أن تقترب منها، لم يعد لك سلطة علينا من بعد الآن، لم أعد متهم ولا قاتل شقيقتك.

شعرت بالنيران تتأجج بعينييه ثم بدأ يهدر بجنون، وانساب لعابه

من شفتيه من فرط غضبه أثناء حديثه:

ـ سترى أن سلطتي ما زالت عليك وعليكم جميعاً وأولكم تلك المحامية اللعينة، مؤكداً قمتم بتزوير تقرير الطب الشرعي وسأكشف ألاعيبكم.

منعني الشرطي مرة أخرى من التحدث وجذبنى إليه فقام «مهران» بإبعاد ابنه عنا ولمحت ارتجاف جسد «أسوة» وهي تتعلق بذراع رجل يكبرها سنًا كالطفل الصغير وتعبيرات وجهها كانت عابسة للغاية، رحت أبحث بأنظاري عن عائلتي فوجدتهن يقفن بعيداً عن كل هذا الهرج والذعر واضح على وجوههن فقلت:

ـ “حنان” هيا من هنا ساتي بعدكن وأنت يا أمي أنا عدت إليك، كفي عن البكاء.

وأخيراً سمعت صوتها عندما أفرجت عن كلماتها وقالت:

ـ لن تجف دموع عيني إلا عندما أراك على رأس مائدتنا مرة أخرى.

ابتسمت لها وقلت:

ـ إذن خذي هاتان الجميلتان وعودي إلى المنزل وحضري الطعام، اشتهي طعامك كثيراً يا أمي.

ـ بشرط أن تحضر تلك الجميلة معك.

وأشارت إلى «أسوة» التي قلصت المسافة بيننا وطالعتنا بلامح مقتضبة وعابسة وقالت:

سيد "زين"، هيا لننهي إجراءات إطلاق سراحك قبل أن يتفاقم الأمر أكثر.

تضايقت من نظرات الجميع إلى عائلتي فصحت بصوت مرتفع وقلت:

"حنان" خذي أمي و"سارة" واذهبن إلى المنزل، لا تبقي أكثر بأروقة المحاكم.

انصرف الجميع كل إلى وجهته المعلومة أنا و«أسوة» إلى السجن لإنهاء الإجراءات، وعائلتي إلى المنزل، وعائلة«الشهاوي» رحلوا بعد الجلبة التي أحدثها«خالد» مطأطئ الرأس لما فعلته ابنتهم بهم.

شرعت «أسوة» في إنهاء الإجراءات، أما أنا عدت إلى الزنزانة لأخذ أغراضي وأودع زملائي بالحبس، بمجرد أن فتح الباب رأيت «راند» يقف كأنه ينتظر بقلق نتيجة المحاكمة وفي هذه اللحظة تأكدت من صدق ظني به والفكرة التي كونتها من قبل عنه واهتمامه لأمرى، ابتسمت ابتسامة عريضة وأنا أفرد ذراعي كطائر يحلق في السماء مستمتعاً بشعور الحرية فقلت:

تخلصت يا صديقي، براءة بأول جلسة بالمحكمة.

ركض إلي وعانقني وهو يقول:

الحمد لله، مبارك عليك لن تبقى سجين طوال عمرك على ذنب لم ترتكبه.

ربت على ظهره بسعادة وقلت:

ـ شكراً لك ،العاقبة عندك إن شاء الله.

ابتعدت عنه قليلاً فقال:

ـ ما رأيك بالشعور بالحرية؟

ـ استنشق رائحتها من الآن يا صديقي.

وبعد وقت كنت أقف أنتظر فتح الشرطي باب الزنزانة لي كنت أجول بنظراتي في المكان، اتذكر الليالي البشعة التي قضيتها هناك ،كم الدموع التي ذرفت خفية عن الجميع والذل والمعاناة التي شعرت بها وأنا حبيس بين القتلة والمجرمين ، تنهدت براحة وحمدت ربي على إظهار الحق وقمت بتوديع الجميع وسط دعواتهم بعدم العودة إلى هذا المكان مرة أخرى، وفي خلال دقائق كانت بوابة السجن تُفتح على مصراعيها معلنة عن إطلاق سراحي، فوجئت بالمحاماة تقف بانتظاري رفقة الرجل والفتاة اللذان كانا معها وقت المحاكمة، بمجرد رؤيتها لي قلصت المسافات بيننا ومدت يدها قائلة وابتسامة مميزة تزين محياها :

ـ حمداً لله على سلامتك سيد ”زين“.

أومأت برأسي ورددت التحية وقلت:

ـ شكراً لكِ على كل شيء.

ـ جذبت يدها من يدي بسرعة وطالعتني بتباهي وقالت:

__وفيت بو عدي، قلت سأحصل لك على البراءة وفعلت.

أردت تذكيرها بدور السيد «محسن» فقلت:

__دعينا لا ننسى المجهود الذي بذله السيد «محسن» .

امتعض وجهها قليلاً وتبدلت ملامحها الهادئة الى أخرى عابسة،
جاء الرجل من الخلف هننني على خروجي وفعلت الفتاة نفس
الشيء، علمت لاحقاً من «أسوة» أنها ابنة خالها «رحمة» وهذا
المرافق لهما هو خالها ذاته.

نظر لي السيد «طارق» متفحصاً وقال:

__سيد «زين» أود التحدث معك بأمور هامة، هناك عدة نقاط يجب
توضيحها.

تدخلت «أسوة» بالحديث قائلة :

__ليس الآن يا خالي، مؤكد عائلته تنتظره، لن نسرق هذا الوقت
الثمين منهم، ليزيل الشوق ونتحدث لاحقاً.

خالها رجل ذو وقار ومن الواضح أنه على قدر من العلم
والأخلاق على عكس ابنته، لا أرتاح أبداً إلى نظراتها خاصة
عندما سمعت هممتها بأذن «أسوة» باسمي، رد عليها السيد
«طارق»:

__إذن سأتركك على راحتك يا ابني، لكن خصص لي وقت،
أرجوك الأمر هام .

قبل أن أجيبه نظر إلى أسوة وقال:

__ هيا يا ابنتي تأخر الوقت، لأقم بإيصالك إلى المشفى وأعود إلى المنزل.

أومأت له برأسها وقالت :

__ هيا خالي سنتحدث جميعًا بالتفاصيل بوقت آخر.

قاطعتهم قائلاً:

__ اسمح لي سيد طارق، الأستاذة أسوة مدعوة لتناول العشاء بمنزلنا من قبل أُمي.

رفض في بداية الأمر معللاً ذلك بسبب تأخر الوقت وخوفه عليها في ظل ظروف القضية ثم وافق عندما وعدته بإيصالها بنفسي إلى أي مكان تطلبه، فاستأذن ليذهب فمالت تلك الفتاة نحو أسوة وهممت بأذنها ببعض الكلمات الغير مفهومة فتوردت وجنتيها وهربت بنظراتها بعيداً فعلمت أن الحديث الدائر بينهما عني .

رحل السيد طارق وابنته بينما وقفت مع أسوة بمنتصف الطريق، ابتعدت بنظراتها بعيداً عني فبدأت بالحديث قائلاً:

__ هيا لنتجه إلى الجانب الآخر من الطريق لأوقف سيارة أجرة نقلنا إلى المنزل .

أومأت برأسها دون النظر إلي واتجهنا نحو الجهة الأخرى من الطريق.

استقلينا العربية معاً، جلست بجانب السائق وهي بالخلف، كانت صامتة شاردة تطالع المارة والمحال التجارية عبر النافذة بينما كنت أراقبها طوال الوقت من خلال انعكاس صورتها بالمرآة الجانبية للسيارة، شعرت كأني لأول مرة أراها، عيناها خضراء اللون كحبات الزيتون، شعرها بني ممزوج بخصلات ذهبية، شفيتها مكتنزة بلون الكرز، أما بشرتها كانت شاهقة البياض كلون الحليب صافية ناعمة، بوجنتين متوردة كبشرة الأطفال، خصلات شعرها الطويلة كانت تطاير بفعل الهواء فتجمعهم بيدها وتضعهم خلف أذنها، استفتت من شرودي بتفحص ملامحها على صوت السائق وهو يسأل تحديداً عن مكان البناية .

أشرت إليه عن المكان بدقة، وبعد أن أكمل طريقه رحت أفكر بكل ما حدث بالفترة الماضية وعلاقة أسوة بالأمر والعلاقة التي تربطنا بالقتيلة، شعرت بالوهن والإرهاق فأجلت الحديث بكل شيء يخص القضية لوقت آخر بعد أن أحصل على قدر كاف من الراحة.

وأخيراً وصلنا إلى نهاية الطريق وتوقفت العربية أمام البناية، قمت بمحاسبة السائق بأموال كانت بحوزتي وقت الحادث وظلت بعهدة أمانات السجن منذ ذلك الوقت.

ترجلت أولاً وقمت بفتح الباب الخلفي لها ومازالت تتهرب بنظراتها بعيداً عني، أردت معرفة السبب بوضوح فقلت:

__هل يزعجك وجودي؟

اتسعت حدقتها وتلعثمت بالحديث وهي تقول:

_على العكس لماذا تقول هذا!

ملت بجسدي نحوها وداعبتها حتى أزيل التوتر القائم بيننا وقلت:
_تهربين بنظراتك عني كأنكِ قمتِ بسرقة شيء عائد لي، أو قتلتِ
أحدًا من عائلتي.

توردت وجنتيها وفركت كفي يدها بتوتر أعتقد بفعل التقارب الذي
أحدثته بيننا عندما ملت نحوها، وقالت:

_على العكس تماماً، لم أهرب منك، فقط هذه أول مرة استقل
عربة مع رجل غريب.

_ماذا! السائق كان معنا ولم نكن بمفردنا وكأنني سأكلك، انسييتي؟
أنت من توسل لي لكي أسمح لك بالدفاع عني.

شهقت وهي تحديق بي وأصبحت نظراتها تشبه نظرات الأطفال ثم
قالت:

_أنا! لم يحدث إطلاقاً، لم أتوسل، فقط نفذت رغبة هذا الحقيق،
ولا تنسى أنك قد حصلت على البراءة من أول جلسة كما وعدتك
على الرغم أن القضية كانت قضية رأي عام.

قهقهت بسخرية وأنا أصعد درجات السلم وقلت:

_بالأصل لم أجد داع لطلب هذا المبتز منك العمل على القضية
ولم يكن هناك داع للمرافعة، فتقرير الطب الشرعي هو من أنهى
الأمر، السيد محسن كان كفيلاً بهذا.

تبدلت ملامحها وأصبح الحزن والغضب جلي عليها وقالت:

_لم تخطئ " رحمة " عندما نعتتكَ بالفظ .

_ماذا؟

وقبل أن تجيبني وصل المصعد فاخترت الصمت بينما تابعت:

_هيا أعيدي ما قلت، من هو الفظ؟ .

طالعتني بنظرات تحذيرية وتحدثت بعبارات تحوي على الكثير من الأسرار وقالت:

_القضية لم تكن بهذه السهولة لولا مساعدة المبتز لما كنت تقف هنا، هناك ما لا تعلمه، فالأفضل ألا تتفوه بكلمات قد تندم عليها لاحقًا.

شعرت بالتخبط والحيرة مما تقوله، كيف ساعدها المبتز وما هي مصلحته من كل هذا فسألته:

_هل هناك شيء لم تخبريني به؟

كنا قد وصلنا للدور الحادي عشر ففتح باب المصعد، مرت بجانبني وسارت بخطوات سريعة وقالت:

_حدث الكثير؟

ركضت خلفها أستفسر عما تقوله وأنا أهتف أسوة أقصد أستاذة أسوة أخبريني ماذا تعنين؟

كنت على وشك الانقضاض بيدي على ذراعها لمنعها من التحرك أكثر لكن فتح باب المنزل وهبت منه خوخة كالإعصار وهي ترزرد وخلفها الفتيات، هتفت خوخة عالياً:

__ عاد سيدي، عادت بهجة المنزل، اشتقنا إليك كثيراً.

زفرت فور رؤيتي لها وتذكرت معاناتي مع أفعالها الغير منطقية وقلت:

__ خوخة اخفضي صوتك، لسنا بالبناية بمفردنا.

اندفعت حنان نحوي ومن خلفها سارة وتعلقنا بجسدي في حالة من العناق الأخوي تكفي لتعويض كل الفترة التي قضيتها بعيداً عنهما، طلبت منهما التوقف عن البكاء حتى أستطيع الدخول إلى أمي، وقبل أن أدخل لاحظت عدم وجود أسوة فالتفت باحثاً عنها، وجدتتها تبكي بصمت كما حدث بالصباح، حقاً لم أكن أعلم سبب بكاءها بهذه الطريقة، أمن المعقول أن تتأثر ببكاء الآخرين هكذا! لاحظت حنان الاتجاه الذي أنظر إليه فذهبت إليها وعانقتها مطولاً وهي تشكرها على الوفاء بعهداها وفعلت سارة نفس الشيء أما خوخة كانت ترمقها طوال الوقت بنظرات حانقة.

دلفنا جميعاً إلى الداخل، كانت أمي تجلس على مقعدها وتشرب بعنفها وكأنها تنتظر قدومي بلهفة، ركضت إليها فجبثت على ركبتي واضعاً رأسي على قدمها وعانقت خصرها بيدي، لم أستطع التحكم بدمعاتي فور استنشاقني لعطرها ورؤية العبرات تتحجر بمقلتيها، دفنت وجهي بملابسها وأنا أتمتم بصوت خفيض:

__أعتذر أُمي لقد جلبت إليكم العار وحتى لو كان رَغماً عني كنت سببا في بكائكم لأسابيع، أعتذر آلاف المرات عن كل ما حدث، لكن أعدك أن الكل سيدفع ثمن أفعاله، هذا وعدي و زين أبو نجم لا يخلف وعده مطلقاً.

وضعت يدها المرتجفة على رأسي ومررتها بحنو فقالت بصوت باكي:

__انهض يا ابني لا تسقط ابداً لا تتحني نحن نقوى بك، أرجوك ابتعد عن هؤلاء الأوغاد، أدعو ربي أن لا تعود تلك الأيام مرة أخرى .

رفعت وجهي إليها لأطالعها ورأيت مزيج من السعادة والحزن والقلق بعينيها، فاحتضنت يدها بيدي وقبلتها وقلت:

__اشتقت إليك يا أم زين

ابتسمت قائلة:

__و أم زين اشتاقت لك.

عانقتها مرة أخرى وابتعدت لأفسح المجال للفتيات فركضتا إلينا وجلستا بجانبني أرضاً وبدأنا بعناق أسرى دام لعدة ثواني وسط متابعة أسوة و خوخة، ابتعدنا عن أُمي فوجدتها تفتح ذراعيها وتقول:

__تعال يا ذات الوجه الجميل لأشكرك على رد السعادة إلى عائلتنا.

توجهت أسوة إليها بخجل فأفسحت لها المجال لتعانق أُمي.
وبعد وقت كنا نجلس جميعاً حول المائدة نتناول ما لذ وطاب،
وفور انتهاءنا انهالت علينا خوخة بالحلوى والعصائر، فقلت:
_“خوخة” كفى إلى هذا الحد، لا تحضري شيئاً آخر ستنفجر
معدتي، أريد فقط فنجائاً من القهوة.

التفت إلى أسوة وتابعت:

_أتريدين؟

اومأت برأسها وقالت:

_حسناً ولتكن سادة بلا سكر.

شهقت خوخة وقالت:

_بدون سكر، وهل تليق القهوة السادة بالفتيات؟

رمقتها أُمي بنظرات غاضبة، ووجهت أنظارها نحو أسوة فقالت:

_عزيزتي لا تحتاج السكر، جمالها يحلي كل شيء.

خجلت أسوة وطأطأت رأسها للأسفل وسط متابعة الفتيات .

تناولنا القهوة وتحدثنا عن مغامرات سارة بالجامعة وتوقف حنان
عن الرسم منذ غيابي، فبدأت بالتحدث عن حزنها وشوقها لي
وأنها أقسمت لن تمسك الفرشاة بيدها إلا بعد أن

أحصل على براءتي، وكالعادة تأثرت أسوة بحديثنا وبكت ولم يعلم أحد السبب، هبت واقفة فجأة واستأذنت لتذهب فطلبت منها أن تنتظر لدقائق حتى أبدل ملابسني كي أرافقها، لكنها رفضت معللة أنها طلبت من سائقها الحضور إلى هنا وهو ينتظرها بالأسفل فقلت:

_كنت سأقوم بإيصالك كما وعدت خالك.

_لا عليك، مؤكد تحتاج إلى الراحة فالمشفى قريب جداً من هنا.

تعجبت من أمر المشفى و تذكرت أن السيد طارق ذكر الأمر أمامي من قبل فقلت:

_أعذر لفجائتي وفضولي لكن خالك قال أنه سيقوم بتوصيلك إلى مشفى ما منذ قليل وها أنت أيضاً تقولين أنك ستذهبين إلى هناك، لعل السبب خيراً؟.

اغرورقت عينيها بالدموع وتشنجت ملامحها فقالت:

_نعم هناك أحد أقربائي يرقد بالمشفى في غيبوبة منذ ثماني أشهر أذهب يومياً لأطمئن عليه.

أردت الاستفسار أكثر فقلت:

_هل هو والدك؟

حركت رأسها يميناً ويساراً وقالت:

_لا إنه أمير.

الفصل التاسع

****أسوة****

جف حلقي عندما نطق لساني باسم «أمير» وشعرت أني على وشك الانهيار، وإن حدث هذا كنت لن أستطيع كبح دمعاتي أو مقاومة حزني، لذلك كنت مضطرة أن أتماسك، فجاهدت لكي أخفي عنهم ما أشعر به، لكن قلق «حنان» كان الأسرع فاقتربت مني ووضعت يديها حول ذراعي وطالعتني بقلق، ثم قالت:

__ «أسوة» هل أنت بخير؟

أومأت برأسي دون أن أفه بشيء وبحثت عن هاتفني المحمول لكي أذهب حتى أهرب من نظرات القلق والحيرة بأعينهم، وأخيراً وجدته فأحنيت جذعي لألتقطه بيدي واستقمت مرة أخرى فتلاقت نظراتي بنظرات «زين» «أشحت بعيني بعيداً عنه واستأذنت منهم قائلة:

__ سأذهب لقد تأخر الوقت.

لم أغفل عن واجبي تجاه من دعنتني لتناول الطعام بمنزلها، فبعد

أن نويت الذهاب عدت أدراجي وخطوت عدة خطوات نحو السيدة «أنيسة» ورسمت بسمه مصطنعة على ثغري تقديرًا لها وقمت بشكرها قائلة:

ـ شكرًا لك سيدتي، الطعام كان لذيذًا للغاية وسعدت كثيرًا بقضاء هذا الوقت بينكم.

قالت وهي تطالعني بحنان وحب:

ـ على الرحب والسعة صغيرتي، أنرت البيت بوجودك.

رحلت متوجهة نحو الباب بصحبة «حنان» و «سارة» وسط متابعة «زين» دون أن ينبس ببنت شفة، قمت بتوديعهما بعد أن وعدتهما بتكرار الزيارة، توجهت نحو المصعد فتقابلت مع فتاة تخرج منه لكن للأسف هبط المصعد للأسفل فور غلقها للباب فاضطررت أن انتظر صعوده مرة أخرى، بعد عدة ثواني سمعت إحداهن تهدر بصوت مرتفع وتقول:

ـ «حنان» لا تجعليني أخرج عن شعوري، ” زين“ خرج من السجن اليوم وأسألك عنه فتقولين ليس هنا، كيف هذا!

التفت باتجاه الصوت لأجد تلك الفتاة التي قابلتني للتو تقف أمام باب منزل «زين» و «حنان» تمد ذراعيها بعرض الباب حتى تمنعها من الدخول، أصغيت باهتمام لحديثهما رغمًا عني، فلقد لفتت نظري طريقة الفتاة في التحدث وعلمت أن الأمور ستتفاقم بينهما، أجابتها «حنان» بتروي وهدوء:

ـ «تغريد» من فضلك لا تحدثي جلبة هنا، لا أنت ستدخلين المنزل

ولا زين سيقابلك، ببساطة ليس هنا، لم يعد بعد.

لم تكثرث الفتاة بطرد حنان الصريح لها وقالت بغضب جامح:

ولما لا أقبله، أنا خطيبته، أنسيت بأن لي الحق في الاطمئنان عليه بعد ما حدث له؟

مططت شفتي بعدم تصديق فاغرة فاهي، خطيبته! إذن لماذا لم تتواجد وقت المحاكمة؟ ولماذا لم يدعوها لتناول الطعام معنا اليوم؟ غريب أمر هذا الزين!

هب كالعاصفة من الداخل وانقض كالليث الجريح على الفتاة فقبض على ذراعها مانحاً إياها نظرات جامدة بوجه لا ينذر بالخير أبداً، وقبل أن يفه بشيء تلاقت نظراتنا وبنفس اللحظة أعلن المصعد عن وصوله، توحشت نظراته عندما وجدني أتابع الموقف فشعرت بالحرج منه؛ جذبت المقبض لأفتح الباب ورحلت دون أن أعلم سبب جدال الفتاة وحنان أو حتى سبب غضبه والانقضاض عليها بهذه الطريقة.

طوال الطريق كنت أبحث عن تفسير لما حدث ونهرت نفسي لأنني لم أتابع الموقف لآخره وأعلم سبب غضبهم من تلك الخطيبة هكذا، عندما وصلت إلى المشفى طردت تكهناتي من عقلي لمحاولاتي الوصول لسبب الجدل وطلبت من العم محمد أن يأتي غداً مبكراً ليقلني إلى المنزل، فأنا لي عتاب كبير مع أبي على عدم ثقته بي وتدخله بعلمي، وطريقته الغير معهودة بالتحدث مع خالي.

قضيت الليلة ما بين النوم والثرثرة بجانب أمير عما حدث
بالمحكمة، أستطيع القول أنني اغتبت الجميع بهذه الليلة، خالد
ووالده ومعاملته معي الفقيرة للذوق والأخلاق، زين صاحب
النظرات المتعجرفة والغامضة، ما حدث مع أبي صباحًا، وبالطبع
قمت بمدح غاليتيه رحمة أعلم جيدًا ما إن أتحدث عنها حتى يتغير
معدل نبضات قلبه وأشعر أنه يسمع ما أقوله، لم أخبركم من قبل
أنا وأمير نتبادل الحديث بكلماتي ونبضات قلبه أتحدث وأحصل
على إجابته من نبض قلبه، لذلك لدي الثقة الكاملة أنه يسمعي
ويعي لوجودي وسيعود لي ذات يوم وهذا هو الأمل الذي أكمل
حياتي لأجله.

كنت على يقين أن هذا المبتز سيرسل لي شيئًا أو يقوم بأفعاله
الجنونية تلك، ما يثير جنوني حقا هو المفارقة التي تحدث عندما
أقرأ الرسالة، كيف يمر الوقت؟ كيف أتفاجئ بعد ذلك أن الصباح
قد حل؟ كنت اتخيل أن بالرسائل تعويذة تجعلني أفقد الوعي
لبعض الوقت أو تجعل الوقت يمر بلحظة، انتظرت كثيرًا لعله
يقوم بحركة ما أو يرسل شيئًا لكن مرت الليلة مرور الكرام.

في الصباح استيقظت أبحث عن شيء يكون قد تركه ليلاً، لكني
بحثت دون جدوى فقررت الذهاب إلى المنزل، في طريقي أثناء
سيرتي بأحد أروقة المشفى تقابلت مع أبي، كان مقتضب الملامح
يشيح بنظراته بعيدًا عني، تجاهلني كأن لا وجود لي ومر من
جانبي غير مبالٍ بوجودي فخطوت عدة خطوات إليه ووضعت
يدي على كتفه وقلت:

_أبي ألا تراني؟ دعك من هذا، ألا تسمعي وأنا أهتف باسمك؟

زفر بضيق وتطلع بي بغضب وقال:

__ لم أسمع سوي طريقتك الغير مهذبة بالتحدث معي البارحة،
ورأيت فقط تجاهلك لي وذهابك مع خالك إلى المحكمة على الرغم
من مخاوفي وما أخبرتك به.

فهمت، أبي يعاتبني على ما حدث قبيل ذهابي إلى المحاكمة،
لقد فسر ذهابي لقضاء واجبي تجاه موكلي تجاهلاً من قبلي له،
وتغافل عن تدخله بعلمي وإصغائه لتهديدات «مهران الشهاوي»
فكان لابد من رد قوي وراذع مني حتى لا يستهين بقدراتي أو
ينصت لأمثال عائلة «الشهاوي» بعد الآن فقلت:

__ حاشا لله، لا أتحدث معك بطريقة غير مهذبة مطلقاً يا أبي ولا
أتجاهلك، كنت أريد القيام بواجبي تجاه موكلي فقط، ولأنني كنت
أثق من براءته؛ دافعت عنه، لكنني حقاً انزعجت لتحدثك مع عائلة
"الشهاوي" وإظهار ضعف موقفك أمامهم.

جذبني من ذراعي وهو يتلفت حوله، همهم قائلاً:

__ هل أصبت بالجنون، ألا تعلمين مع من تلعبين!

كان الخوف يملك منه وهذا ما دفعه لاصطحابي إلى غرفة مكتبه
كي نتحدث، أغلق الباب من خلفنا وترك ذراعي وقال:

__ هيا اجلسي لنتحدث هنا فالجدران لها أذان يا صغيرتي، وتلك
القضية اللعينة لن تمر على خير، أرجوك ابتعدي عن هذا
الصحفي، أموت رعباً عليك، لم يتبق لي سواك، وإلا أقسم أمنعك

من الخروج من المنزل.

اتسعت حدقتاي من طريقة تحدثه والخوف الظاهر بعينيهِ، شعرت بالمرارة تغزو حلقي تأثراً بدمعائه التي يكافح لمنعها من الهبوط فأردت معرفة سبب مخاوفه فسألته قائلة:

__لما كل هذا الخوف؟ لقد انتهت القضية.

تنهد بحزن فعانق كفيّ يدي بيده وقال:

__منذ متى وأنت تدافعين عن مذنب!

جذبت يدي من يده وتبدلت نبرتي إلى أخرى حائقة وقلت:

__ومن قال لك أنه مذنب! لقد حصل على حكم بالبراءة و جميع الأدلة تؤكد براءته.

ازدرد ريقه بصعوبة وعاود عناق يدي بيده مرة أخرى وقال:

__من أين لك كل هذه الثقة، كما أنك كنت تتحدثين بنفس الثقة البارحة.

__يا أبي كنت على علم بنتيجة الطب الشرعي كما أنني نجحت في إقناع حارس البناية بتغيير إفادته.

كنت لا أريد التطرق لأمر وجود مجرم آخر يريد تحميل زين مسؤولية القضية حتى لا يقلق بشأني أكثر، فتهربت منه قائلة:

__أبي أرجوك لا تقلق، القضية انتهت و "زين أبو نجم" بالنسبة لي ليس سوى موكل لن ألتقي به بعد الآن.

رمقني بنظرات متفحصة ثم تحدث بنبرة توحى بأنه لا يصدق ما أقوله فقال:

__متأكدة بأنك أنهيتِ علاقتك بتلك القضية؟

نهضت وانحنيت بجذعي نحوه فطبعت قبلة على وجنته ثم قلت بمرح طفولي مصطنع:

__قطعتها قطعتها، حتى أنني أعمل على قضية أخرى، سأذهب إلى المنزل، ألن تأتي؟

أجابني قائلاً:

__وصلت للتو.

مر يومان بين العمل والمشفى، لا يوجد أي خبر عن المبتز وانقطعت العلاقة بيني وبين «زين» حتى «حنان» لم تقم بالاتصال بي نهائياً عكس ما كانت تفعل أثناء تواجده بالسجن، إلى أن دخلت مساعدة خالي إلى مكثبي تخبرني بوجود شخص يود مقابلتي بالخارج يدعى «زين أبو نجم» فأخبرتها أن تدخله على الفور .

دلف إلى الغرفة بهدوء بملامحه الرجولية و وقاره، كان يسير بخطوات رزينة ببسمة هادئة ترسم على محياه فنهضت لأستقبله، مد يده لي وقال:

__صباح الخير أستاذة "أسوة".

مددت يدي إليه وأنا أبادله الابتسام وقلت:

__أستاذ "زين" سعيدة برؤيتك هنا.

حذق بي كأنه لا يصدق جرأتي بالحديث، فهممت لذاتي وأنا
أنهرها على تسرعها بالحديث «اللعة عليك يا أسوة، ينقصك أن
تلقي جسدك بين ذراعيه ، ما هذا الهراء! »

تداركت الموقف قائلة:

__أقصد سعيدة برؤيتك تتمتع بحريتك.

تنهد براحة وقال:

__وأنا سعيد جداً بذلك، ليس من السهل سجن صحفي بين أربع
جدران.

مد يده لي بظرف أبيض اللون وقال:

__تفضلني.

تعجبت من ماهية الظرف وقلت:

__ما هذا؟

أوما برأسه ليحثني على مد يدي وقال:

__هذا مالك مقابل دفاعك عني، كان من المفترض أن تتقاضيه من
قبل لكن علمت من "حنان" أنك رفضت ذلك.

دفاعي عنه لم يكن من أجل المال وإنما لحماية أغلى الأشخاص
على قلبي، فوضعت يدي على الظرف ثم دفعته إليه مرة أخرى

وقلت:

أخبرتكَ سابقاً أن أتعابي سأخذها عندما يكتب اسمي بالخط العريض على رأس أولى مقالاتك.

وضع الظرف على المكتب وقال:

إن انتظرتِ أولى مقالاتي فستنتظرين كثيراً، كما أن المال نقرة والمقال نقرة أخرى، مؤكد سأفعل بعد أن أكشف كل شيء وأقدم الحقيقة كاملة للجمهور، سيكون اسمك متواجداً لا تقلقي، لكن مقابل دفاعك عني ستأخذينه اليوم، تفضلي.

مرر الظرف نحوي فقامت برده له مرة أخرى وقلت:

قلت لك لن آخذ شيء، هذا عمل مشترك، نحن نعمل على كشف المبتز والقاتل، ولا تنسى، أنا دافعت عنك حتى أثبت براءتك لذنوب لم ترتكبه ولسبب آخر أيضاً، لكي أمنع هذا المبتز من تنفيذ تهديده.

وضع ساعده على المكتب ثم تطلع نحوي كأنه يقرأ ما بعيني وقال:

هذا هو ما يشغل عقلي منذ فترة، بما يهددك هذا المبتز؟ أي ما هو الأمر الذي يخيفك إلى هذا الحد؟ اعذريني لفظاظتي إن أزعجك تدخلني.

اغرورقت عيني بالعبرات فاخترق سكين الفراق قلبي ومزقه من الشوق، وقلت وأنا انظر لصورة موضوعه على مكتبي وقلت:

__هددني بقتل أحد أفراد عائلتي.

رفع حاجبه للأعلى بعدم تصديق وقال:

__وصدقتي أنه سيفعل!

كفكت دمعاتي وزفرت بحزن فمن يهددني به ليس شخصاً عادي
أو أحد أفراد أسرتي وحسب وإنما نصفي الآخر فقلت:

__برأي هو قادر على فعل كل شيء، الطريقة التي يرسلني بها
تدعو للخوف، تخيل الرسائل مكتوبة بدم لزوج وهذا مرعب للغاية،
وبمجرد قراءتي لها أكتشف أن ساعات قد مرت، وحين أبحث
عنها بعد ذلك لا أجدها وهذا يثير جنوني كأن بها تعويذة.

شرد لبعض الوقت ثم حك طرف ذقنه كأنه يفكر بشيء ما وقال:

__أين تجدین تلك الرسائل؟ .

__بالمشفى.

__اسمه "أمير" أعتقد؟

اتسعت حدقتاي وقلت:

__ماذا تعني؟

__أقصد الراقد بالمشفى اسمه "أمير"، واعتقد أن المبتز يقوم
بتهديك به.

شردت بصورتي أنا و «أمير» الموضوع على مكتبي إلى أن

انتشلني من ذكرياتي وقال

_ أسألك هل هو؟

قلت «نعم» وأنا ألتقط الصورة بيدي دون وعي مني وأمرر
أناملي على وجهه وملامحه وعينه التي اشتقت إلى نظراتهما،
وضعتها مكانها مرة أخرى فنظر إليها وقال بطريقة لبقة:

_ ليتم شفاه على خير ويحفظه ربي لشبابه.

_ أمين.

تطلع بي كأنه يود قول شيء لكنه يخشاني فقلت:

_ هيا أخرج ما بجعبتك.

_ برأي هناك علاقة تربطنا جميعاً بالمبتز، أنا وأنت والقتيلة
والقاتل، ولكي نتخلص منه لابد أن نجمع المعلومات عن "هند
الشهاوي".

_ هذا ما كنت أفكر به منذ الوهلة الأولى لكن الخوف يملكني، لا
يوجد معي أحد سوى خالي وإن علم أبي بتلك الأمور سيمنعني
من العمل.

تابع قائلاً:

_ ليكون بعلمك، من السهل معرفة ما يدور بالمشفى، سهل للغاية
اكتشاف ما يحدث وقت قراءتك للرسائل عن طريق كاميرات
المراقبة الخاصة بالمشفى.

تهللت أساري و نهضت وأنا أصفق بيدي بطريقة عفوية، فأكثر شيء كنت أريده هو معرفة هوية المبتز فقلت:

بالفعل كيف لم أفكر بالأمر، هيا لنفعل خاصة أن المشفى عائدة لأبي وقد قام بوضع كاميرات مراقبة بغرفة "أمير" حتى نراقب أفعاله إن استيقظ.

ابتسم لي وقال:

إن شاء الله سيستيقظ، وبما أن المشفى لوالدك سيكون الحصول على المشاهد أمر هين.

لم نهدر الوقت وتوجهنا إلى الأسفل في عجلة، كنت أسير بطريقة أقرب للركض بسبب فرحتي لمعرفة ما يحدث بغرفة «أمير».

أسفل البناية كان ينتظر سائقي توصيلي أينما أشاء، ولأنني لم أعتد على «زين» بعد طلبت أن أذهب بسيارتي وهو بسيارته أو يأتي رفقتي لكنه رفض معللاً ذلك لغضبه الشديد من رفضي مشاركته السيارة وكأن جزء بي سينقص، شعرت أنني جرحته بأفعالي فركبت معه السيارة وتوجهنا إلى المشفى.

فور وصولي طلبت من مدير الأمن أن أطلع على المشاهد التي سجلتها كاميرات المراقبة في الأوقات التي راسلني بها المبتز معللة ذلك بأن «أمير» قد أبدى ردة فعل حينها وأود إرسال المشاهد لأحد الأطباء خارج البلاد، فطلب مني أن أمهله بعض الوقت ليقوم بتجهيزها، استأذنت من زين لكي أطمئن على أمير وأعود إليه فوافق على الفور وأخبرني أنه سينتظرنني بالسيارة.

ذهبت إلى «أمير» فقبلت جبينه وجلست بجانبه قليلاً حتى يمر الوقت الذي طلبه مدير الأمن.

شعرت بالوهن فجأة وأيدي أحدهم تضغط على كتفي بقوة وسمعت صوت يهدر بأذني:

__ «أسوة».. «أستاذة» أسوة»، استيقظي ما بك؟ .

الثقل الذي كنت أشعر به برأسي جعلني لا أستطيع فتح عيني، استمر الهاتف باسمي مع مقاومتي لعيني التي تأبى الانصياع لإرادتي وأخيراً استطعت فتحها وحركت رأسي بتململ، فوجئت بـ «زين» يجلس بجانب «أمير» على الفراش يراقب حركة عيني بقلق وتقف خلفي إحدى الممرضات، ازدرد ريقه بصعوبة وقال:

__ ماذا حدث لك، هل انخفض ضغطك أم ماذا؟

لم تدعني الممرضة أجيب على سؤاله وقالت:

__ سأستدعي الطبيب «وأخبر دكتور «ناجي» بما حدث.

كنت أنظر إليهما بعدم فهم وتذكرت ما حدث قبل قليل وعندما تلفظت باسم أبي عدت لوعي ونهضت بفرع قائلة:

__ لا ليس هناك داعي، لم أنم جيداً البارحة فقط، لذا استغرقت بالنوم بجانب «أمير».

حدقت بعين «زين» لينظر لي بريبة وأنا أحاول منعها من استدعاء أحد ففهم على الفور وقال:

__ليس هناك داع، هيا لنذهب.

__لا لا سنبقى قليلاً بعد، اذهبي أنتِ إلى عملك شكراً لكِ.

وفور ذهابها اقتضبت ملامحه وعقد ما بين حاجبيه، فتعجبت من الأمر وقلت:

__ماذا جاء بك إلى هنا؟

__انتظرتك بالسيارة لما يقارب الساعة وعندما قلقت عليك طالبت من تلك الممرضة أن تخبرني بمكانك ورافقتني إلى هنا.

على الفور فهمت ما حدث، قست نظراتي والتفت بوجهي لأبحث عما كان يبدي دون أن أتحرك قيد أنملة مما دفعه لوضع قبضته على ذراعي فقال:

__عن ماذا تبحثين؟

نهضت وقلت:

__أخرجني من هنا بسرعة.

قام بمساعدتي وتوجهنا إلى خارج المشفى، جاء صوت أحدهم من الخلف يهتف باسمي، كان موظف الأمن الذي جهز المشاهد وأحضرها لنا، التقطها «زين» بيده بينما كنت أتعلق كالطفلة بذراعه الآخر، توجهنا بسرعة نحو سيارته.

استقرينا بالسيارة فتطلع بي بقلق نظراته كان توحى بخوف كبير وقال:

_ ماذا هناك؟

بدأ صدري يعلو ويهبط بسرعة وقلت:

_ لنشاهد الملفات أولاً وسأخبرك.

اقتضبت ملامحه مرة أخرى وقال:

_ انتظرتك لأكثر من ساعة هنا وعندما أبحث عنك أجذك مغشياً عليك، وتقولين المشاهد أولاً!

تعجبت مما يقوله، فأنا لم أمكث بالداخل كل هذا الوقت، من الواضح أن هذا المتعجرف لا يتحلى بالصبر أبداً، قمت بالاعتذار له وحثته على وضع كارت الذاكرة بهاتفه لنتابع المشاهد به، بالفعل قام بهذا وكنا نتابع المشاهد بتركيز شديد لعلنا نحصل على أي شيء يدلنا على المبتز لكن الغريب في الأمر لم نجد بالمشاهد شيء أكثر مما أعرفه، نفس الشيء أقرأ الرسالة، أبكى قليلاً، وفجأة يحل الصباح.

حدقت بـ«زين» بخيبة أمل فقد كنت أتمنى الوصول إلى المبتز عن طريق تلك المشاهد، ابتسم بعدم تصديق قائلاً:

_ اللعين حذف المشاهد.

_ أشعر أن هناك تعويذة بالرسائل.

ضحك قائلاً:

_ ما هذه الخرافات، من الواضح أن أحدهم قام بحذف المشاهد،

لكن لا عليك إلا ما يترك خلفه شيء يدلنا إليه.
شعرت بيده على ذراعي فانتفض جسدي والتفت إليه وقلت:
_ ماذا هناك؟

_ أخبريني ماذا حدث بالداخل.
انهمرت دمعاتي على وجنتي بغزارة وقلت:
_ وجدت رسالة أخرى لكنها كالعادة اختفت.
اتسعت حدقتاه ونظر لي فاغراً فاه وقال:
_ ماذا كان محتواها؟

كفكت دموعي وقلت بصوت مرتجف:
_ أراد تحذيرك بأنه من قام بمساعدتك لتخرج من السجن وأنه
قادر على إعادتك مرة أخرى، ولا يوجد داع للبحث عنه لأننا لن
نصل إليه أبداً، وكتب شيء آخر، لكي تحصل على براءتك رُهِقْتَ
روحان لا ذنب لهما.

قست نظراته نحوي وبدى كأن الكلمات تجمدت على طرف
لسانه، تحدث بصعوبة:

_ من أين علم أننا نبحت عنه؟ وعن أي روح يتحدث؟ مؤكداً أنه
يقوم بمراقبتنا.

ثم بدى وكأنه قد لمعت فكرة ما بعقله فتابع:

_ لا تذهبي إلى غرفة قريبك هذا بعد الآن.

_ لم أفهم ماذا تقصد؟

_ أقصد اجبري المبتز على مراسلتك بالآماكن التي نحددها نحن،
إن لم تتواجدي هنا فمن المؤكد سيضطر إلى مراسلتك بطريقة
أخرى لم تكن بحسبانها، ومؤكد سيخطئ بشيء يدلنا إليه.

أعجبتني الفكرة كثيراً فقلت:

_ سنحقق عمل رائع كوننا محامية وصحفي، هذا المبتز أوقع
ذاته بشر أعماله، برأي لا تعد للعمل فوراً حتى لا تشغل عن أمر
كشف المبتز.

شرد قليلاً وقال:

_ لا تقلقي بشأن العودة للعمل، مالك الجريدة كان ينتظر اليوم الذي
يتخلص مني به وها هو اليوم قد جاء.

_ لماذا، ألم تكن متفاهماً معه؟

مال برأسه نحوي وتحدث بطريقة مضحكة، لاحظت هذه المرة
مدى جاذبيته وقال:

_ كنت أثير المشاكل عزيزتي، تخيلي قمت بشن حملة على شركة
معلنة لدى الجريدة.

شهقت وأنا أضع يدي على فمي وقلت:

_ ألم يقوموا بفصلك عن العمل بعدها؟

تحدث بنبرة تقرب إلى السخرية وقال:

_خطيبي لم تسمح له، كانت ابنة رئيس التحرير.

تذكرت أمر خطيبيته ومعاملته السيئة لها، كنت سأسأله عنها لكن ما كان يشغلني وقتها هو أمر الأرواح التي زهقت ولا بد أن أفهم مقصد هذا اللعين فقررت الاتصال بخالي كي أستفسر منه عن الأمر،

التقطت حقيبي من على المقعد الخلفي وقمت بفتحها لأنفاجاً
بظرف أصفر اللون بداخلها، أخرجته ونظرنا إليه بريية فقال:

_ أهذا لك؟

_ لا لم يكن هنا.

_ إذن افتحيه.

قمت بفتح الظرف لأجد صورة بداخله فقبضت على ذراعه بشدة فور رؤيتي لما بداخلها، نظرت إليها والدموع تنهمر على وجهي بغزارة وأنظاري مصوبة على جثمان الحارس ومعه شخص آخر بوجه مشوه بالكاد تعرفت إليهما، وجسد كأن حيواناً ما قام بنهش ما بداخله، كان المنظر مروّعاً للغاية ومقزراً، شعرت بغشاوة على عيني وأن الرؤية لم تعد واضحة، وشيء ما يطبق على صدري ثم غبت عن الوعي .

الفصل العاشر

محرك الدمى

لم تتحمل أسوة هول ما رآته بالصور بسبب بشاعة منظر جثتي الحارس والطبيب الشرعي الذي أصدر تقرير الطب الشرعي الخاص بهند فمالت مغشياً عليها على كتف زين، كنت أعلم أنها لن تتحمل رؤية الصور، لذلك عاقبتها بوضعها لها بحقيبتها كعقاب لها.

كنت التقطها لأحتفظ بها بين مقتنياتي إلى أن يحين وقت استخدامها، لكن عبثها هي وهذا الصحفي معي أغضبني لذلك كان لابد من معاقبتها، ولأنني لا أمزح ولا أهدد وحسب تحركت على الفور ولقنتها درساً في نفس اللحظة التي سعت فيها لفك شفرة ما يحدث بعد قراءتها للرسائل، كان هذا تحدي من محرك الدمى لدميته الساذجة التي تعتقد أنها قادرة على كشفه، فها أنا راسلتها واختفت الرسالة مرة أخرى ووضعت ذكرى بحقيبتها دون وجود تفسير لما يحدث، تركتها تتخبط بين مخاوفها وليكن هذا درساً لها إن فكرت بالعبث معي مرة أخرى.

كان زين في حيرة من أمره يجاهد للاستقرار على رأي ما، هل يحمل أسوة بين يديه ويهرول بها إلى الداخل ليقوم الأطباء بإسعافها ويكتشف أبيها ما يدور بينهما، أم يتولى هو الأمر ويحاول افقتها هذا ما لاحظته من متابعتي لردة فعله وتحركاته المترددة داخل السيارة.

أراح رأسها على المقعد ثم بدأ يصفع وجنتيها برفق وهو يردد اسمها قائلاً:

__أسوة استيقظي، هيا افتحي عينيك حسناً لقد مر.

عاود صفعها لمرات عدة وهو ينثر المياه على وجهها بيده فبدأت أهدابها تتحرك وهي تهز رأسها يميناً ويساراً بتململ، فتحت عينيها فجأة وهي تحقق به محاولة استيعاب ما حدث، تطلعت به بريية غالباً لقربه الشديد منها ثم انتفض جسدها ووضعت إحدى يديها على فمها والأخرى على معدتها وتحدثت قائلة:

__من فضلك افتح هذا الباب.

تقيأت كثيراً وأفرغت ما بجوفها وبكيت حد الانهيار واستمرت حالتها تلك لبعض الوقت وهي تهذي مستنكرة قتل الحارس بعد الوعد الذي قطعه خالها له بحمايته، طلبت من زين أن يقوم بتوصيلها إلى المكتب مرة أخرى لتتحدث إلى خالها لكنه رفض قائلاً:

__عن أي مكتب تتحدثين بحالتك هذه! سأذهب بك إلى حنان لتتحسن حالتك وبعدها نفكر ماذا سنفعل.

مدت يدها لتلتقط الصورة لكنه جذبها ووضعها بجيب سترته ثم استقام بجلسته وبدأ في القيادة قاصداً منزله ولم يكثرث لرفضها الذهاب معه.

لم تكن هذه خطوتي الوحيدة التي قمت بها وحسب، وإنما تهور وتصرفات خالد الشهواني الغير مسئولة كان لابد من ردعها وتغيير مسار تفكيره والتلاعب قليلاً بعقله، وحال مهران الشهواني كحال ناجي العاصي بالضبط، كل منهما يخشى على سمعته ولا يفكر سوى بولده، لذلك قمت بإرسال نفس مشاهد الفيديو التي استخدمتها أسوة للضغط على الحارس إلى مهران الشهواني وفيديو آخر يضم مشاهد اعتداء ابنه على أسوة بالمحكمة تحت أنظار الجميع، وأخبرته أن يحتفظ بكليهما ولا يعطيها لابنه حتى لا يستخدمهما بتهور، وكان أمري له هو أن يكف عن ملاحقة أسوة والصحفي والسيطرة على أفعال ابنه، وذكرته بأمر معرفته بحمل ابنته قبل وفاتها وهذا كان بمثابة تهديد له، ونوهت أن كشف بعض الأمور سيغير مجرى القضية تماماً خاصة أن المتهم الحقيقي بعيد كل البعد عن مستوى الشبهات، وحتى لا يخسر ابنه وظيفته بذنب لم يقترفه.

قام مهران بالاتصال بابنه وأمره أن يأتي إلى المنزل لأمر عاجل، وبالفعل عاد الابن من العمل على وجه السرعة، بحث عن والده فأخبرته أمه أنه بغرفة شقيقته هند، صعد مسرعاً فنبرة صوت والده على الهاتف لم تنذر بالخير أبداً.

أثناء سيره بالرواق متجهاً إلى غرفة شقيقته سمع صوت شهقات والده المخترقة للجدران فسار مندفعاً نحو الباب، وضع يده على

المقبض وقبل أن يديره للأسفل التقطت أذانه ما يكنه والده بقلبه
والسر الذي كان يخفيه عن الجميع وسيقالب كل شيء رأساً على
عقب :

هند أتساءل كيف تفعلين بنا هذا؟ رحلتِ عن الحياة تاركة خلفك
حرب دائرة بين الجميع، موتك أصبح لغزاً لا يستطيع أحد فك
شفرته، حياتك وموتك كانا لعنة حلت فوق رؤوسنا جميعاً، حاولت
إخفاء وصمة العار التي وصمتينا بها طوال العمر لكن أخفقت
لضعف قلبي، حتى بعد وفاتك انكشف السر، كنتِ تستحقين ما
حدث لك، لكن ماذا عن أخيك؟ ماذا اقترف حتى تفعلين به هذا؟
حطمتِ كبريائه وكرامته ومؤكد إن استمر بتصرفاته الهوجاء تلك
سيخسر عمله أيضاً، ماذا فعلنا لك حتى تقومين بذبحنا هكذا؟ قلبي
ينزف دماً حزناً عليك، لكن ما حدث لك لم يكن لأحد ذنب به،
طريقك وقمتِ باختياره، وذنبك يدفعه الجميع ، أخبريني هل ما
نعيشه ثمن ما قدمته لك من حرية ورعاية واهتمام ودلال طوال
عمرك؟ هل هذا عقابي كوني أنجبتك إلى الدنيا يا صغيرتي؟
أسامحك على كل شيء، عن خطيئتك، عن تحديك لي، عن الذل
والكسرة التي قمتِ بزرعها للأبد بداخل عائلتك، لكن لن أسامحك
عن ما فعلتيه بشقيقك.

هربت الدماء من عروق خالد وانفجرت شفثيه أعتقد لدهشته من
الواقع الأليم الذي علمه، وغالباً الانهيار الذي حدث بداخله كان
سببه صورة والده التي اهتزت بعينه، عجز عن فهم و إدراك كل
ما التقطته أذناه فنكس رأسه خذياً وكأن كل شيء بداخله انهار،
التزم الصمت لثواني أعتقد في محاولة منه استجماع قوته

لمواجهة والده بكل ما سمعه، جمع الهواء داخل صدره وزفره بغضب ثم حرك مقبض الباب إلى الأسفل بعنف واندفع إلى الداخل فوجد والده يفترش الأرض معانقاً إحدى ملابس شقيقته وعينيه متورمتان من كثرة البكاء في حالة يرثى لها، تصلب جسده وهو يحرق بوالده ثم دار بعينه بالغرفة، قال بصوت مرتجف:

__ هل كان لديك علم بالعار الذي جلبته هند فوق رؤوسنا؟

اتسعت حدقتي مهران ونهض مندفعاً متخذاً طرف الفراش وسيلة ليتكأ عليه، من المؤكد أنه صدم لسماع خالد حديثه وانكشاف سره، استقام في وقفته فقال:

__ بني دعني أتحدث وأخبرك حقيقة الأمر.

هدر خالد عالياً:

__ لا يوجد حديث، هو سؤال واحد انتظر إجابته، هل كنت تعلم بأمر "هند"؟

نكس «مهران» رأسه للأسفل ففرت دمعته من عينه حسرة على ما سيرويه، واسترسل بالحديث قائلاً:

__ نعم كنت أعلم، لقد لاحظت والدتك أن بها خطب ما وعلى الفور أدركت الكارثة التي جلبتها هند فوق رؤوسنا فأخبرتني لأتصرف، وبالفعل أحضرت الطبيب إلى هنا وأكد حملها، خارت قواي ولم أستطع تحمل تلك المصيبة ففقدت أعصابي وانهلت عليها بالضرب إلى أن أنقذتها مني أمك بعد أن أوصلتها إلى حالة

مزرية، منعته من الخروج من المنزل حتى أفكر وأجد حلاً لتلك المصيبة، لكن عندما عدت من الخارج وقررت الذهاب إليها لأعلم من هو شريكها بهذه الجريمة وقمت بفتح الباب الذي أوصدته جيداً من الخارج قبل ذهابي لم أجدها، وبعد عدة ساعات جاء إلينا خبر وفاتها.

_هل هذا كل ما حدث؟ ألا تخفي عني شيئاً؟

_لو كان هناك شيئاً آخر لأخبرتكم.

ابتلع «خالد» ما كان سيقوله وسكت لبعض الوقت ثم قال:

_من هو؟

نظر له والده بعدم فهم وقال:

_من؟

_هذا الحيوان الذي سرق شرف عائلتي، مؤكد الصحفي هو من فعلها.

اندفع إليه «مهران» وقبض على ذراعه وهزه بشدة وبدى وكأنه كمن لدغته حية وقال:

_لا، أقسم لك ليس هو، لقد تأكدت بنفسي، ابتعد عن هذا الأمر أرجوك، نهايتك ستكون بسبب "هند"، الصحفي مظلوم، كف عن ملاحقه، دع العدالة تأخذ مجراها.

حرق «خالد» بوالده وكأنه يخطط لشيء ما ثم قال:

__ مؤكد سأترك العدالة تأخذ مجراها، وبخصوص براءة الصحفي سأؤكد منها شخصياً وسأكشف القاتل الحقيقي، وإن كان الصحفي برئ سأعذر له أما إن كان هو من فعل هذا بأختي فسأنتزع روحه بيدي.

ألقى «خالد» هذا الكلام دفعة واحدة كالقنبلة بوجه والده ثم رحل إلى خارج الغرفة، تقابل أثناء هبوطه الدرج الداخلي للقصر بأمه، فتطلع نحوها بعتاب وحزن ورحل، بينما ركض والده خلفه، لم يغادر «خالد» القصر وإنما توجه إلى غرفة المراقبة وطلب من القائم على كاميرات المراقبة ملفات الفيديو ليوم اختفاء «هند» وعند ملاحظته اقتراب والده قام بغلق الباب من الداخل، جلس يتابع المشاهد وسط ذهول الموظف وهتاف والده في الخارج، وبعد مرور بعض الوقت خرج ليجده مازال واقفاً ينتظر خروجه، تطلع به «مهران» بتوجس كأنه يخشى رد فعله وقال:

__ ماذا حدث؟ عن ماذا كنت تبحث؟

طأطأ خالد رأسه وشرد لثواني وبدأ كمن يحاول كبح غضبه الجامح وإخفاء شكوكه التي زرعتها بداخله ثم رفع وجهه مرة أخرى لتفر دمعته هاربة من عينه وقال:

__ لا شيء، فقط تأكدت من ظنوني.

__ إلى أين؟

__ سأؤكد من براءة الصحفي.

قال هذا دون أن يلتفت خلفه وركض إلى سيارته مسرعاً.

مؤكد كان خالد يبحث بسجلات كاميرا المراقبة لعله يحصل على إجابات لما يدور بداخل رأسه أو أدله تنفي أو تثبت شكوكه، لكن ويا لسخرية القدر، تسجيلات فيديو هذا اليوم أيضاً لم تكن موجودة حالها كحال تسجيلات المشفى والبناية التي سقطت جثة «هند» من أعلاها، ولا تسألوني كيف، هذا سر من أسرار محرك الدمى الدفينة و لن أخبركم عنها الآن، ربما أفعل لاحقاً.

كان «خالد» على علم بتحركات «زين» وكل جديد يطرأ على حياته، كما أنه قام بجمع المعلومات الكافية حول حياته الماضية، وبالطبع أنا كنت على علم بكل هذا من خلال أصدقائي الصغار المتواجدين معه طوال الوقت، توجه مسرعاً إلى منزل «زين» كالإعصار لمواجهة وهو يتأكد من وجوده بالمنزل.

وصل «زين» وبرفقته «أسوة» التي كان يظهر عليها الإعياء الشديد، كانت تتذمر طوال الطريق لإجباره لها على الذهاب إلى منزله لكنه رفض الانصياع إلى مطالبها وتوجه بها إلى شقيقته «حنان».

عندما مر إلى داخل المنزل كان يضع إحدى يديه حول خصرها و الأخرى يسند به ذراعها، أما هي فكان جسدها يرتجف بشدة ، تقابل مع «سارة» فور دخوله للمنزل فشهقت فور رؤيتهما على هذا الحال وقالت:

__«زين»! ماذا هناك؟ ماذا اصابها؟

__ليس وقت أسئلتك الآن يا «سارة» احضري كوباً من الماء بسرعة.

التفت العائلة بأكملها حولها وقاموا بالاهتمام بها ومواساتها، و بالأخص السيدة» أنيسة « التي أصرت على أن تضع رأسها في حجرها وقامت برقيتها الرقية الشرعية بينما كانت» أسوة» تهمهم بكلمات غير مفهومة فهم «زين» بعضًا منها، الحادثة، أمير، لا أريد رؤية دم بعد الآن، حاول استيعاب ما تقوله لكنها لم تكن سوى همهمات.

دوى بالمنزل صوت طرق شديد على الباب أصاب الفتيات بالفزع بينما احتضنت السيدة «أنيسة» أسوة» فصاحت الأخيرة:
_ سينتقم، سيقتلني، سيأخذه مني.

جلس» زين» بجانبها ووضع يدها على كتفها وربت عليه بحنو وقال:

_ لا تقلقي، لن يجرؤ أحد على أذيتك أو أذية من بالمنزل.

تركهم ورحل وهو يزفر بضيق ليقوم بفتح الباب، وإذا بلكمة قوية تسدد لأنفه، اتسعت حدقاته وقبل أن يبدى أي ردة فعل هاجمه «خالد» بأخرى في عينيه فسقط على الأرض، ركضتا شقيقتيه إليه وجلستا بجانبه، بينما تعلقت «أسوة» أكثر بوالدته التي بدأت في طلب العون من الجيران بالصراخ، عاد «خالد» أدراجة وأغلق الباب بعنف فهدر بهم قائلاً:

_ كفوا عن الصراخ واتركوني أنا وعديم الشرف، سارق أعراض الناس هذا.

ساد الصمت في الأجواء بعد ما تفوه به بينما تدلت شفتي «زين»

للأسفل من صدمته وهب من مكانه واقفاً، النفث برأسه نحو إخوته
كأنه يخشى تصديقهم لما يقوله وعاد مرة أخرى يحدق بأعين
«خالد» وقال:

_ عن أي عديم شرف تتحدث! هل فراق أختك أصابك بالجنون؟
قبض خالد على ياقة قميصه وقال:

_أتحدث عنك وعن شرفي الذي سرقته، هيا اعترف بخطيئتك،
أنت من سرق شرف أختي.

نظر له «زين» فاغراً فاه ثم قال:

_أنت حقاً جننت، أقول لكم لم أكن أعرف أختك، وتوفيت قبل
وصولي إلى البناية بساعات.

احمرت أعين خالد وأصبحت أقرب للاشتعال من كثرة الغضب
وصاح:

_أنت كنت على علاقة بها وعندما كشف أبي أمر حملها تخلصت
منها قبل أن تشي بك، سأقتلك بيدي، سأنتقم لشرفي منك، أنت
عشيقتها السري.

سدد «زين» له لكمة على وجهه أسقطته أرضاً وانقض عليه
كالأسد الثائر فاعتلاه وقيد حركة جسده ثم بدأ يتحدث دون توقف:

_أقول لك لم أكن أعرفها، أول مرة رأيته بحياتي كانت وأنا
استقل سيارة الشرطة وهي مستلقية على الأرض، ولا أعلم شيئاً
عنها ولا عن عشيقها، أنا خاطب وكنت أعشق خطيئتي، بالحقيقة

يتوجب عليك البحث عن من دبر المكيدة لي لأنه هو القاتل الحقيقي.

التفت نحو أسوة و أشار إليها بسبابته وتابع:

_يتوجب عليك مساعدة تلك المسكينة وليس مهاجمتها فهي تعاني بسبب شقيقتك منذ وقت، يتلاعب أحدهم بحياتها وحياة أحد أفراد عائلتها، كما أن هناك من فقد روحه عندما شهد بالحقيقة، عد لرشدك، أنت تبحث عن القاتل بالمكان الخطأ.

كان الخوف والهلع هو سيد الموقف، نهضت حنان وبدأت تجذب أخيها من فوق خالد الذي قارب على لفظ أنفاسه الأخيرة عندما بدأ زين بالقبض على عنقه، نجحت في تحرير عنق خالد من قبضته، فبدأ يسعل بشدة وتوجهت إليه سارة لتساعده على استنشاق الهواء، نظر خالد إلى زين وقام بتهديده قائلاً:

_ أقسم لك إن اتضح أن لك علاقة بأي شيء حدث لأختي سأمحوك من على هذه الدنيا.

نظر إليه شزراً وقال:

_ لأكرر مرة أخرى، لست عشيق أختك ولا قاتلها، أنا ضحية مكيدة قام بها القاتل الحقيقي، يتوجب عليك مساعدتنا بدلاً من هجومك الغير مبرر، حسناً سأخبرك بأمر سييرئني، حارس البناية قُتل وليس من الطبيعي أن أقتل من شهد لصالحه.

طلب زين من شقيقتيه وأمه مغادرة المكان وجلس رفقة

أسوة و خالد بغرفة استقبال الضيوف و قام بقص ما حدث معه هو و أسوة من ليلة الحادث إلى لحظة مواجهتهما، لم يصدق خالد في بادئ الأمر لكن زين أخرج صورة الحارس من جيب سترته فصدم فور رؤيته لها واقتنع تماماً بما رواه عليه.

نهزت أسوة زين بشدة لإفشاء سرها وهي تبكي قائلة:

— كيف فعلت هذا، كيف تفشي سر هذا اللعين؟ مؤكد أنه سينتقم منا، سيقتل أمير سينفذ تهديده، اللعنة عليكم جميعاً ما ذنبي أنا وأخي؟

فقامت بالتوسل إلى خالد كي لا يتحدث بالأمر مع أحد أو يدخل الشرطة بالأمر.

كان شاردًا طوال الوقت كأنه بعالم آخر، يفكر بشيء مختلف تمامًا عما يشغل بال الجميع، أفهمه جيدًا وأعي تمامًا شكوكه فأنا من زرعتها بداخله، نظر إلى زين بأسى وقال:

— اعتذر منك عما حدث، كل الأدلة تشير أنك لست القاتل، تسرعت بحكمي عليك، كنت أحد الأشخاص المشتبه بهم بعيني وتبرأت الآن كما تبرأت من القضاء.

تنفس زين الصعداء ونظر إلى أسوة التي كانت تبكي بشدة بسبب مخاوفها وعاود النظر إلى خالد فقال:

— ماذا ستفعل بكل ما أخبرناك به، إن تدخلت الشرطة سيغضب المبتز كثيرًا ومن الممكن أن يقوم بتنفيذ تهديده.

__أنا شرطي وقادر على توفير الحماية للجميع.

هدرت «أسوة» بصوت مرتفع بعد أن انسابت الدموع على وجهها أكثر:

__مستحيل أن تفعل، لديه قوة خارقة، إنه يسرق من عمري الساعات، لا أعلم كيف وصل إلى حقيبة يدي، إنه يقوم بمراسلتي بالدم.

حثها «زين» على الجلوس فقال:

__أرجوك اجلسي سنتفق على كل شيء.

التفت إلى «خالد» وتابع:

__سنعمل معاً خفية عن الجميع، لن يصل الأمر إلى الشرطة، سنقوم بالتحري عن الأمر وربط الخيوط ببعضها البعض، حتى أننا سنتلاعب على المبتز لنكشف كل شيء ونتخلص منه جميعاً.

كفكت «أسوة» دمعاتها وزفرت بهدوء وقالت:

__المبتز يريد كشف الحقيقة ومساعدتنا لكن بشرط عدم اعتراضنا على أوامره أو القيام بما يغضبه، حتى أنه من الممكن أن يكون على علم بلقائنا هذا.

يعجبني تفكير تلك «الأسوة» إنها ذكية للغاية على الرغم من ضعف شخصيتها، أنا بالفعل لدي علم بلقائهم وأنا من خطط له، كنت أثق أن «خالد» لن يفتنع بما يقوله والده وسوف يحاول العبث مع «زين» أو سيحاول التأكد من براءته، لكن لم أعلم

أن الأمر سيتم بهذه السرعة حتى أنني أصبت بالدهشة وأنا أسمع حديثه مع والده، ولا تسألوني كيف سمعت لأنني لن أخبركم الآن، كل شيء بوقته المحدد، فهناك وقت محدد لكشف الحقائق أطلقت عليه المشهد الأخير من المسرحية.

الحقيقة ليست كما تعتقد «أسوة» لن أغضب من لقاء ثلاثتهم بل على العكس أنا من رتب لهذا اللقاء، حتى وإن أتى أسرع مما اعتقدت.

فكر «خالد» بالأمر ملياً ثم نهض قائلاً:

حسناً لننفذ ما يريده، لن أدخل الشرطة بالأمر، سنتحرك معاً لكشفه وكشف القاتل الحقيقي، وسأقوم بحمايتكما لكن بشرط.

قالت «أسوة»:

ما هو شرطك؟

سنتحرك معاً ثلاثتنا، لن يقوم أي منا بشيء دون أخذ رأي البقية.

اتفق الجميع على رأي واحد واعتذر «خالد» من «أسوة» التي بدورها اعتذرت من «زين» على طريقتها في مهاجمته، كما طلب منه تبليغ والدته باعتذاره عن طريقته في مهاجمة المنزل واستأذن للانصراف فنهضت «أسوة» وقالت:

وأنا أيضاً سأذهب.

رفض «زين» ذهابها بمفردها وأخبرها أنه سيقوم بتوصيلها،

قامت بتوديع عائلته وانصرف الجميع باتجاه المفاجأة التي قمت بتحضيرها لهم في عجالة فأنا لم أكن أتخيل أن «خالد» سيتحرك بهذه السرعة.

استدعى «زين» المصعد الذي تأخر لدقيقتان على غير عادته، وعند وصوله للطابق الحادي عشر استقله ثلاثتهم، وفور إغلاق الباب لمحت «أسوة» ورقة تعرفها حق المعرفة، فهي رأتها ثلاث مرات من قبل، فهدرت قائلة:

__ إنه هنا، المبتز هنا.

التفت الاثنان حولهما بفزع وقبض زين على ذراعها وقال:

__ ماذا هناك؟

أشارت بسبابتها نحو الظرف وقالت:

__ رسالة جديدة منه أنظر.

أحنى «زين» جزعه والتقط الورقة فاستقام مرة أخرى وبدأ بقراءتها هو و«خالد» بنفس التوقيت وقد كتبت لهم (من الغباء الاستهانة بي أو تخيلكم أن هذا اللقاء تم رغماً عني، أنا من جمع ثلاثكم معاً كما أنني قادر على تفرقتكم بكلمة واحدة مني، وليكن بعلمكم، مؤكد ما حدث الآن له عقاب، لا يوجد تحرك دون رغبتى، ولا يستطيع أي منكم العبث معي، طلبي من ثلاثكم التحرك معاً لكن وفق أوامري وإلا «أسوة» فلتنسى أميرك، وأنت يا «زين» لا تنسى عائلتك أما أنت أيها الشرطي إياك أن تستهين بقدراتي)

نظر الجميع لبعضهم البعض غير مصدقين ما يحدث.

وبعد وقت فتح « خالد » عينيه فجأة ليكتشف أن سكان البناية يجتمعون حولهم، ومن بينهم عائلة « زين » ويحاولون افاقته هو و « أسوة » بعد أن عثر عليهم في حالة إغماء داخل المصعد.

الفصل الحادى عشر

زين

لم تعد «أسوة» فقط من تبحث عن توضيح لما يحدث معها بعد قراءة رسائل هذا المجنون، فبفضل ما حدث لثلاثتنا بالمصعد تحولت حياتنا إلى كومة من الألغاز، لم ير رجال الأمن بالبنائية أو أي من الجيران أحداً يخرج أو يدخل إليها، وكالمعتاد كانت تسجيلات المراقبة خالية تماماً من أي مشاهد يدل على وجوده، كأنه شبح لا نستطيع الإمساك به، ولم نجد للآن تفسيراً لفقدان ثلاثتنا الوعي بمجرد فتح الرسالة وقراءة محتواها.

أصبح العثور عليه بمثابة تحدي يقوم به «خالد» منذ ذلك اليوم، ازدادت مخاوف «أسوة» عن ذي قبل، وعندما انقطعت عن زيارة المشفى كما طلبت منها حتى نُحدث خلافاً بترتيبات المبتز ونجبره على مراسلتها بالأماكن التي نختارها نحن لعله يخطئ بشيء ما، فاجأنا هو برسالة موضوعة أسفل وسادتها يخبرها فيها بولادة شيء جديد بداخلها سيودي بها إلى الهاوية، فلجأت إلي في صباح اليوم التالي عندما استيقظت ولم تجد الرسالة، أعتقد أن هذا كان تحدياً منه لنا جميعاً وقد تعمد إخبارنا أنه يستطيع الوصول إلى أي مكان حتى أنه استطاع الوصول إلى سريرها.

كنت بلا عمل، تركته وتقدمت باستقالي من الجريدة فور خروجي من السجن بسبب تخلي الجميع عني بما فيهم «تغريد» خطيبي وحب حياتي، والمكيدة التي دبرها «معاذ» لي، حتى والدها رفض مقابلة «حنان» أثناء حبسي عندما طلبت منه العون، فأصبح الانتساب لجريدهم شيء لا يشرفني ولا يروق لي، لذلك قررت أن أعمل بصمت، سأبحث عن الحقيقة وسيكون انقطاعي عن العمل غياب مؤقت وعودتي ستكون عظيمة بعد أن أصل للحقيقة، فقط ما أحتاجه الآن هو مواجهة «معاذ» ومعرفة ما حدث ليلة الحادث، ولأنه يتهرب من مقابلتي حاولت التحدث معه بكل الطرق لكن لم يتم الأمر بأي حال من الأحوال، وبعد أن شهد بالنيابة بأن أحدهم تواصل معه بشأن خاطفي الأطفال وحدد موعد للقائنا به أعلى النيابة، وكان التواصل معهم عبر الرسائل الهاتفية وأضاف أنه لا يعلم شيء عن المتصل سوى اسمه وكان «بلال» ، وبرر غيابه أثناء صعودي لسطح النيابة قبل سقوط «هند» أنه تلقى مكالمة هاتفية من والدته، تأكدت النيابة من صدق ما يقوله بعد أن طلبت من مباحث الاتصالات تقريراً برسائله ومكالماته بالفترة السابقة ليوم الحادث والتي كان معظمها من حبيبته وأهله ومؤخراً هذا الرجل الذي تحدثت معه بصفته الدليل.

أصبح «خالد» داعماً قوياً لنا وقام بوضع رجال أمن لحمايتنا نحن وأسرتنا دون علم أحد، حتى أنه وضع أحدهم خلف «معاذ» ليقيم بمراقبته، وأصبحنا على تواصل مستمر به.

وذات يوم استيقظت وأنا أنوى مقابلة «معاذ» ومواجهته فقامت

بالاتصال بـ«خالد» لمعرفة مكان تواجده عن طريق الرجل الذي

وضعه خلفه ليراقبه فأخبرني أنه في طريقه إلى الجريدة، كان هذا ترتيب القدر لي، فتغريد لا تكف عن ملاحقتي ليلاً نهاراً ولم يكفها توبيخي وطردي لها عندما جاءت لزيارتي يوم خروجي من الحبس؛ لذلك عقدت النية سأذهب إلى الجريدة وأعكر الأجواء.

كنت أجتر ذكريات الماضي القريب وأنا أقود سيارتي متجهاً نحو الجريدة، ذكرياتي مع تغريد، حبي لها، محاولاتي المستميتة للوصول إلى مكانة مرموقة في عملي حتى أكون جديراً بحبها، معاذ وصادقتنا التي لم تكن وليدة السنوات الماضية وإنما منذ التحاقنا بالجامعة، وطعنة الغدر التي تركت جرحاً غائراً بظهري من المستحيل مداواته، انتشلني من شرودي صوت رنين هاتفي معلناً عن اتصال من أسوة، مررت بيدي على شاشة الهاتف لتبدأ المكالمة وقلت:

__ صباح الخير.

__ صباح النور أستاذ زين كيف حالك؟

__ بخير وأنت؟

__ لست بخير، البارحة قضيت الليل بأكمله بجانب أمير على أمل تواصل هذا المبتز معي لكن لم يحدث شيء.

__ وما السيئ بهذا؟ المفترض أن تكوني فرحة، فأنت تنهارين بشدة بعد تواصله معك.

تحدثت بصوت مختنق من البكاء فاستشعرت الألم والحزن بنبرتها:

أشعر أنه سيقوم بأذية أمير بصورة أو بأخرى، كما أنني لا أستطيع العيش بالقلق والخوف هكذا، لا بد أن نصل له ونعرف لما اختارني أنا خصيصاً للقيام بالدفاع عنك.

تألمت من الحزن الواضح من صوتها فوخزني قلبي عندما تخيلات أنها تزرف دموعها كعادتها بمفردها ولا يوجد أحد بجانبها يواسيها ويخفف عنها ويزيح تلك الأثقال من فوق صدرها؛ فقلت قاصداً التخفيف من معاناتها:

سنصل له وسنتلاعب به، أتعلمين شيئاً، هو يستضعفنا بسبب ضعفك وخوفك هذا أيتها البكاءة، مؤكد يعتقد أنني أبكي أنا و خالد مثلك أنتِ، شوهِتِ سمعتنا أيتها المحامية.

ارتخت نبرة صوتها، شعرت أنها تكبح ضحكتها وقالت:

لديك قدرة عجيبة على امتصاص خوفي وغضبي، اقصد... يعني... لديك قدرة على امتصاص غضب الآخرين.

خجلت قليلاً بعد ما تفوهت به وكانت تحاول تدارك الموقف فقلت:

أنا متجه إلى الجريدة سألتقي بتغريد وأواجه معاذ، لقد علمت من خالد أنه بالجريدة، سأقوم بحشره في الزاوية لعله يعترف لي بما حدث ليلة الحادث، ثم أمر عليك بالمكتب لنتحدث بعدها، ما رأيك؟

تبدلت نبرة صوتها وباتت أشبه للعراك وغلف الضيق كلماتها وقالت:

إن كنت ستأتي لتحسن من حالتي فأنا بخير لا تقلق، اقض الوقت مع خطيبتك أفضل، لا تهدر وقتك الثمين معي، هيا وداعاً.

أنهت المكالمة دون أن تنتظر ردي بعد أن ألقت كلماتها على مسامعي، كان واضحاً عليها الغضب والذي لم أفهم سببه مطلقاً فتساءلت لماذا تحولت إلى طفلة هكذا!

وصلت إلى الجريدة وأنا أتمسك بابتسامتي بينما أسير بتباهي وثقة وأوزع نظراتي على الجميع، كنت أعلم أن خبر وصولي سيشتت بكامل الجريدة، وإن ذهبت إلى تغريد أولاً سيعلم معاذ بوصولي ويتهرب كعادته، فاخترت أن أذهب أولاً إلى معاذ وليصل الخبر إلى تغريد لتأتيني هي .

كنت أسير بخطوات واثقة، هيئتي بدى عليها القوة والرزانة بينما أتمزق بداخلي لما كنت مقبل عليه بعد قليل، ها أنا سأواجه رفيق دربي بغيره لي، إنه لصعب جداً عودتي مرة أخرى إلى مكان عملي بعد كل ما حدث ورؤية نظرات الاتهام بأعين الجميع، لكنني بادلتها بالابتسام وأنا أطلعهم بثقة، وأخيراً وصلت إلى غرفة المكتب التي كنت أمكث بها أنا ومعاذ وبعض من زملاءنا، وقفت أمام بابها المفتوح أجول بنظراتي في أركان الغرفة أطلع الجميع بأسى وقهر وأنا أتذكر ضحكاتنا، مشاكساتنا، ركضنا خلف الحقائق، همساتنا أنا ومعاذ، وأسرارنا التي كنا نخفيها عن الجميع.

ببساطة تذكرت عمرا بأكمله ككله هذا الغادر بطعنة في ظهري.

ولجت إلى الداخل بهدوء ونظراتي متعلقة بمعاذ الجالس

خلف مكتبه يتابع عمله بشغف كأنه لم يقم بفعلته المشينة تلك،
انتفض كل من كان بالغرفة فور رؤيتهم لي، خطوات عدة
خطوات بهدوء باتجاه مكتب معاذ ووضعت يدي الاثنتين علي
المكتب وضغطت بقوة عليه، شعرت أنني أغرس أطافري بخشبه
من فرط غضبي من صاحبه، حرك رأسه إلى الأعلى وصوب
أنظاره نحو يدي لبرهة ثم رفع وجهه بفزع فتعلقت أنظاره بعيني
المتوهجة كأنها ستطلق شرارها لتحرق المكان بأكمله، طالعه
بعتاب وغضب جلي بينما كان يحدق بي بصدمة، وعلى الرغم
من حقيقته التي اكتشفتها إلا أنه مازال يتمسك بالصدق والبراءة
بعيني، نهض واقفاً وهو يركل مقعده بقدمه للخلف ثم قال:

__زين!

__نعم زين صديق عمرك ورفيق دربك الذي غدرت به وقمت
بزجه بالسجن دون وجه حق.

اتسعت حدقتيه بعد اللكمة التي سدتها له وأنا أحدثه فوضع يده
على أنفه غير مصدق ما قمت بفعله، فقال:

__ زين ماذا تفعل؟ هل جننت!

انقضت على عنقه بيدي بشراسة وضغطت عليه لدرجة شعرت
أن بؤبؤ عينه يكاد يخرج من مقلتيه، وبيدي الأخرى أشرت
لزملائنا الذين حاولوا تخليصه من بين يدي حتى يتوقفون ويبتعدوا
عنا وصحت بهم قائلاً:

__ابتعدوا لا يتدخل أحد بيننا.

صاح أحدهم بفزع :

__ زين سيختنق، ستقتله، ستدمر مستقبلك، عد لرشدك أتركه أرجوك.

نظرت بأعين معاذ وأنا أرى العبرات تتحجر بهما فهدرت به:

__ “معاذ” أقسم لك لن أتردد لحظة واحدة في قتلك، فأنت قتلتني بطعنك لي غدرًا، هيا اعترف بالحقيقة وإلا قتلتك.

دفعني زملائي إلى الخلف بعد أن قاموا بتخليص عنقه من قبضة يدي فارتد جسده نحو الحائط وسقط على الأرض واضعا يده حول عنقه وهو يسعل بشدة، شلت حركتي بسبب الآخرين وإحاطتهم لجسدي بقوة، استمررت بالتحديق به بغیظ وأنا أهدر:

__ أيها الجبان كيف لك أن تغدر بي؟ ماذا فعلت لك حتى تظلمني هكذا؟ كيف تخون عشرة كل تلك السنوات؟ استأمنتك على أسرارِي وحياتي، جعلتك أخ ورفیق درب لي، هيا انطق.. لما دبرت كل هذا؟ بماذا قاموا بشرائك، كم تقاضيت ثمنًا لخيانتك لي؟

كان يحاول النقاط أنفاسه وهو يهرب بنظراته بعيدا عني، لكن عندما انتهيت من قول جملتي الأخيرة هب مندفعاً واستقام بوقفته بوهن على إثر خنقي له، وقال بصوت متحشرج :

__ ثمن خيانتك لك كان حفاظي على حياة أغلى من لديك وشرف عائلة أبو نجم، هيا أغرب عن وجهي ولا تتقوه بحديث ستندم عليه لاحقا.

فغرت فاهي بعد أن التقطت أذني ما تفوه به، لم أفهم ما يقصده
بحديثه فقبضت على تلايبه مرة أخرى، وأنا أهدر به وقلت:

_وضح كلامك ماذا تقصد؟ ما علاقتك أنت بشرف عائلتي، وعلى
حياة من حافظت؟

دفعني بقوة ليرتد جسدي للخلف وكدت أهوي على الأرض من
شدة دفعته فصاح بي:

_ لن أوضح لك شيئاً، نعم قمت بخيانتك وها أنت حصلت على
براءتك، لا يوجد داع لتبريري لك، هيا ارحل من هنا وإلا
استدعيت الأمن لك.

أصابني الذهول من فجأته وحقارته، يعترف بذنبه ويلقي بكلمات
مبهمة ثم يرفض التوضيح، فتساءلت من هذا، لا أستطيع التعرف
عليه، هل هذا صديق العمر؟ أم وغد اكتشفت حقارته للتو!

شعرت بأحدهم يقبض على ذراعي ويجذبني إلى الخلف فالتفت
لأجد تغريد تحاول جذبي إليها والتحدث، لكني لم أسمع كلماتها
شعرت أنني مغيب من هول صدمتي بمعاذ، نفضت يدها بعنف من
على ذراعي وهدرت بها عالياً، وقلت:

_ابتعدي أنتِ الأخرى .

ربت بحنان لا أجد له مبرراً على كتفي وقالت:

_“زين” ما بك عزيزي؟ اهدأ الجميع يشاهد شجاركما.

دفعتها بحدة على كتفها وقلت بغضبٍ عارم:

__ لست عزيز أحد، وليشاهد من يشاهد، جميعكم بلاء فوق رأسي
ولا أريد رؤيتكم بحياتي،

التفت إلى معاذ لألقي عليه كلماتي كالسم القاتل:

__وأنت لم تتفذ بفعلتك بعد، حسبتك رجلاً وجئت أحدثك لكنك
تماديت بخطئك بحقي وتحجبت بأشياء لم أفهمها، لكن أعاهدك
أمام الجميع سأكشف سبب خيانتك لي وسأقوم بفضح قذارتك على
الملا.

قلت هذا وأنا أطلعه بغضب بينما ينظر لي بلا مبالاة كأنه لا يهتم
بما يحدث، شعرت أنني سأنقض عليه وأقم بغرس أظافري في
مقلتيه وإخراج بؤبؤ عينه وإلقائه على الأرض حتى لا يحرق بي
هكذا، وكى لا أرتكب جريمة وأجلب بلاء فوق رأسي هرولت
ذاهباً إلى الخارج وأنا أتوعد له بداخلي، وأقسمت أن ما بيننا لم
ينتهي بعد.

الفصل الثانى عشر

محرك الدمى

الغضب والارتباك كان على أشده بين الجميع، لقد حركت دماي باستمتاع وخلقت بينهم العديد من القصص والمواقف الموجهة بالتأكيد والتي نسجتها بخيالي قبل أن أنفذها على أرض الواقع وحسبت خطواتي بتأن حتى أحصل على النتيجة المرجوة بالنهاية، وهي تدميرهم جميعاً بشتى الطرق.

اعتقد لقد استيقظت الطفلة التي بداخل «أسوة» وجعلتها تخطو بعدم ثبات وبدأت تقودها إلى الهاوية، حتى وإن لم تلاحظ هذا لكني رأيت شعاع نور بعينيها، هذا الشعاع أنا من نسجته بالأساس ومؤكد سأستخدمه لصالحى لاحقاً، أما خلاف «زين» مع «معاذ» بالجريدة فقد أحدث خللاً بداخله وأصبح لا يشغل تفكيره شيء سوى الوصول إلى حقيقة ما حدث ليلة الحادث، ومعرفة السبب الحقيقي الذي أجبر صديقه على الغدر به، وحقيقة ما تفوه به، فقد تحدث بجمال مبهم ولم يعطه تفسيراً واحداً، فأشعل بداخله نار الشك وتركه يحترق بها، وما زاد الأمر تعقيداً هو اختفاء «أسوة» ليومين متتاليين فقام بزيارتها بالمكتب ولم يجدها، وحاول الاتصال بها مراراً لكن هاتفها كان مغلقاً طوال الوقت، زاد القلق

بداخله وخشي أن يكون قد أصابها أذى، أو تعرضت لمكروه فقرر الذهاب مساءً إلى المشفى بغرض الاطمئنان عليها.

رفض «خالد» الذهاب إلى منزله بعد المواجهة الأخيرة بينه هو ووالده فقرر المكوث بالاستراحة التابعة لعمله حتى أنه لم يجب على اتصالاته، كان يتحاشى مواجهته مرة أخرى، أعتقد أنه يتيقن أن ما توصل إليه لا ينذر بالخير أبداً، بدأ بالبحث والتحقيق للوصول إلى الجناة حتى لا تقتله الشكوك التي تنهش داخله، قام باستدعاء جميع العاملين بالقصر والتحقيق معهم بشكل سري بشأن ما حدث يوم مقتل «هند» حتى أنه عزل المشكوك بأمرهم جانباً وقام بمراقبتهم بعد التحقيق معهم، ولم يسفر هذا التحقيق عن شيء سوى شيئاً واحداً وهو اعتراف الحراس بشيء مثير للشكوك أصابهم جميعاً بعد مقتل «هند» بليتين، حيث فوجئ كل من كان يعمل على حراسة القصر بحالة إغماء أصابتهم جميعاً في آن واحد وفسروا ذلك بسبب الأرق وسهرهم لأكثر من ليلة بسبب الغزاء واستقبال المعزيين.

لكن خالد فسر ذلك بتفسير مختلف تماماً حيث قد مر بنفس الموقف عندما قرأ الرسالة بالمصعد وحالة الإغماء تلك لم يجد لها أحد تفسيراً ولن يجدوا إلا عندما أقرر هذا في المشهد الأخير من مسرحية «محرك الدمى»، استنتج «خالد» من هذا الموقف أن أثناء غياب الجميع عن الوعي قد حذفت مشاهد خروج «هند» من القصر من تسجيلات الكاميرا حتى لا يتوصل أحد إلى هويتي.

يعجبني هذا الشرطي، يعمل بصمت تام على الرغم من قلق والده بشأنه إلا أنه لم يبال وأهتم فقط بالوصول إلى الحقيقة، أكثر من

كان يثير ريبتى من بينهم جميعاً هو «خالد» لذكائه والعمل
بنفاني للوصول إلى الحقيقة، لكنه شأنه شأن الآخرين، مذب
وسيعاقب، حتى أنى بدأت بمعاقبته بالضغط على والده لكن هذا لا
يكفى، لابد من تشتيته وإفاده عقله، فهو دمية كأى دمية بحكايتنا
أنا محرکه ولن يتحرك إلا برغبتي.

أمر مقتل حارس البناية والطبيب الشرعي الذي أصدر تقرير
الطب الشرعي الخاص بمقتل «هند» أحدث بلبلة وجلبة حتى أنه
أربك التحقيقات لكنه وضعها بمسارها الصحيح وابتعدت اصابع
الاتهام عن «زين» تماماً ووجهت نحو متهم آخر لم يتوصل إليه
أحد، حتى وإن برأت المحكمة زين لكنه بنظري مذب مشترك
بالجريمة، لقد ساعدته بالخروج من السجن حتى تكتمل المسرحية
ليس إلا.

اختفت «أسوة» ولم تعد تظهر لكنى كنت أعلم ما يحدث معها،
لقد كانت تتأكل بداخلها بسبب الشعور بالذنب حيال الحارس،
فهي من أوقعته فريسة بين براثن الشيطان، لذلك قررت تعويض
أولاده عن حرمانهم منه وذهبت لزيارتهم بسيارة محملة بالكثير
من الألعاب، الملابس والأطعمة، فأخبرت زوجته أنها ستتكفل
بمصاريفهم ومتطلباتهم وأعطتها الكارت الخاص بها وطلبت
منها اللجوء إليها في أي أمر تحتاجه، خرجت بعد انتهاء لقائهم
و ملامحها يبدو عليها الراحة بعد الكثير من التعب، كنت أود
الركض إليها وصفعها على وجهها لاعتقادها أن القليل من الهدايا
والملابس وحفنة من الأموال ووعود زائفة قادرة على نسيان من
كانت سبباً في فقدانهم، لكن أجلت الأمر قليلاً لابد سأفعل لاحقاً.

ما كنت أسعى إليه وقتها هو الوصول إلى السبب الحقيقي الذي جعل «معاذ» يتخلى عن «زين» كنت طوال الفترة الماضية أعتقد أن الأمر يتعلق بالأموال لكن وبعد الجدل الذي دار بينهما تأكدت أن للأمر أبعاد أخرى ، ولا بد من الوصول إلى تلك الأسباب لأنني أثق تماماً أنه ليس شخصاً تستهويه المسائل المادية، فلا بد من سبب أقوى قام القاتل بالضغط به عليه، لذلك كان هناك طريق واحد لأسلكه وهو انتظار قيام معداتي وأجهزتي بإمدادي بما أحتاج إليه من معلومات وحقائق.

في أحد الأبنية الفاخرة القابعة بإحدى المدن السكنية الجديدة الخاصة بالطبقة المخملية وصفوة المجتمع، كان يجلس بالحديقة شاب طويل القامة ومفتول العضلات، بنيته قوية، حاد النظرات، وهادئ الطباع، لديه عقل ذري، أفكاره كالسم ما إن تخرج من فمه حتى يتسمم بها الآخرين، يتسم برزانة العقل والتحرك بتروي حتى يصل لمبتغاة، شعره بني اللون طويل إلى حد ما يقوم بجمعه للخلف بالربطة الخاصة بالشعر، لديه طباع خاصة به منظم إلى أبعد الحدود لا يستطيع أحد الإمساك بشيء يدينه، فهو يقوم بعمله منذ سنوات دون أن يترك خلفه ثغرة واحدة.

رن هاتفه ليعلن عن اتصال ما فانتفض واقفاً قبل أن يجيب، فعلى الرغم من قوة شخصيته وطباعه الحادة وكونه قاتل محترف إلا أنه يتخلى عن الشجاعة والقوة في حضرة رب عمله، مرر يده على شاشة الهاتف لتبدأ المكالمة، قال بنبرة مهذبة وصوت أجش:

— سيدي صباح الخير.

استمع بتركيز لما يمليه عليه الطرف الآخر، ثم أجاب:

_ لا تقلق سيدي تم التخلص منهما دون أن نترك دليل واحد خلفنا، لو اجتمع العالم بأكمله لن يستطيع الوصول إلى خيط واحد يدلهم إلينا، والصحفي لنتركه يلهو قليلاً، إن لم يتعقل لابد أن الآخرين سيشتاقون له لنرسله إليهم.

احتدت نظراته وهو يستمع إلى الحديث فتابع:

_ نراقبهم جميعاً أربع وعشرون ساعة ومواجهته مع صديقه تمت دون جدوى، حتى أنه لم يعد يلتقي بأي من أفراد مكتب "الجبالي"، اطمئن إن عادت العلاقات بينهما سأدخل لأنهي الأمر.

استمع إلى محادثه بتأني ثم قال:

_ أجلت أمر التخلص من هذا الثرثار لفترة لعنا نتخلص منه هو والصحفي بنفس طريقة تخلصنا من "هند"، وإن خابت المرة الماضية مؤكد ستصيب هذه المرة.

استرق السمع إلى المتحدث لبعض الوقت ثم هتف بسعادة قائلاً:

_ حسنا سيدي، سأدبر خطة محكمة مؤكد لن يستطيع أي منهم الإفلات منها ولن أخذك هذه المرة، لا أرجو شيئاً سوى رضاك عني.

أغلق الهاتف ثم نظر نحوه بسخرية وزفر قائلاً:

_ لم يخطئ من أطلق عليك العقرب، أنت بالفعل عقرب ومصير من تسممه بلدغتك هي القبر، تخلصت من بلاء عائلة "الشهاوي"

وكدت أن تتخلص من بلاء الصحفي لكن الحظ كان حليفه للآن،
لنرى كيف سينفذ مما نديره له.

«هشام المهدي» شاب قارب على تخطي الأربعين عاماً، يعمل
الذراع الأيمن لكبير المافيا ورجل العصابات الأول «العقرب» يثق
به العقرب كثيراً، فهو من يتولى أمر جميع أعماله الغير قانونية
العنانية والمخفية.

العقرب شخصية مبهمة خفية لم يستطع أحد التعرف إليه، يعمل
بصمت طوال سنوات، لم يظهر بأي من صفقاته فقط يوكل
«هشام» القيام بجميع الأمور بينما هو من يقوم بالتخطيط والتدبير
وتغطية جرائمهم بعلاقاته الواسعة والتي تصل إلى المراكز العليا
بالدولة والتي أهلته للتغطية على أمر مقتل «هند» إلى هذا الحد،
ولولا تدخله لكان «زين» الآن نفذ به حكماً بالإعدام، لكني
تدخلت باللحظة الأخيرة لأفسد مخططاته، حتى وإن كان تدخله
هذا بعد فوات الأوان لكن ليكن إن لم أستطع انقاذها فسأعاقبهم.

مسكين هذا العقرب على الرغم من أنه يعطي «هشام» الثقة
الكاملة إلا أن أول وأكبر طعنة كانت بظهره هي من فعل
«هشام» ذاته، وهذه ستكون أول صفة ستسقط مني على وجه
العقرب عدوي الأول وليس الأخير.

كانت «أسوة» قد انتهت من زيارة عائلة «مصطفى» حارس
البنية وتوجهت إلى المشفى للبقاء بجانب أميرها، أعتقد أنها قد
أصبحت مطمئنة بسبب انقطاعي عن ترك هداياي لها على فراشه
أو بحقيبتها، ترجلت من سيارتها وشكرت السائق ثم طلبت منه

أن يأتيها صباحاً ليقبها إلى المنزل كعادتها، تلفتت حولها بحثاً عن أي أحد يراقبها ثم تنهدت براحة وسارت بخطوات سريعة إلى الداخل، وصلت إلى غرفة «أمير» وجلست بجانبه ثم طبعت قبلة حانية على جبينه فعانقت يديه بكفي يدها ورفعتهما نحو شفتيها لتطبع عليهما قبلة أخرى بحنو بالغ وهي تبسم له بحب قائلة:

__ «أمير» أميري ألم يكفي كل هذا الفراق؟ ألم يحن وقت اجتماعنا بعد؟ اشتقت إليك، لصوتك، لضحككتك، اشتقت لأيامي الجميلة معك، سئمت الحياة بدونك يا حبيب القلب ورفيق الروح، هيا افتح عينيك أعد لي روعي أرجوك.

انسابت دمعاتها على وجنتيها بغزارة ثم انحنى بجذعها لتضع رأسها على كتف أمير الراقد أمامها موصول بالكثير من الأجهزة لا حول له ولا قوة، أحاطت جسده بذراعاها وأغضت عينيها باستسلام كأنه ملاذها، فالمكان الوحيد الذي تعثر به على الراحة والأمان هو صدره.

شعرت أنها ركضت إليه حتى تلقي بثقلها على أكتافه، لتشعر بالأمان بين أحضانه، كانت تمرر يدها على صدره براحة ولم تدرك من يقف يراقبها بصمت أمام باب الغرفة وكأنه لا يصدق، أ تلك هي «أسوة» المحامية التي تدافع عن الحق والحقوق، الفتاة التي تخجل من النظر بأعين الآخرين والبراءة تغلف محياها، نظر لها وبدا مصدوماً من حقيقتها، فتحدث بغضب قائلاً:

__ أقلق عليك منذ أيام، وأموت رعباً من التفكير إن كان حدث لك مكروه أم لا، بينما أنت تعيشين حبك مع أميرك كما تطلقين عليه،

اللعة على سذاجتي.

نهضت بفزع وهي تكفكف دمعاتها بصدمة غير مصدقة تواجهه
بالمكان، وقالت:

_أنت، ماذا أتى بك إلى هنا؟ وعن أي حب تتحدث!

تحدث وهو يسير باتجاهها ويطالعها بغضب غير مفسر وقال:

_جئت اطمئن عليك لأنني أثق بتواجدك هنا، والحب الذي أتحدث
عنه هو حبك ولمساتك لهذا الشخص الغريب.

كان الغضب جليًا على ملامحها وهي تتحرك صوبه رافعة
سبابتها محذرة إياه وهدرت بغضب:

_هل جننت، عن أي حب تتحدث؟

الفصل الثالث عشر

****أسوة****

كنت أود توبيخ زين بشدة على طريقته في التعامل معي وتدخله بشئوني، فتحركت صوبه وأنا أرفع سبابتي محذرة إياه في التماذي أكثر بتلك المعاملة، وخوفاً من ارتفاع نبرة صوته إلى الحد الذي من الممكن أن يزعج أمير، قلت:

_هيا أجبني عن أي حب تتحدث؟ وكيف لك أن تتحدث معي هكذا!

أشاح بيده وهو يحدق بي وقال:

_إن أغضبك أسلوبني بالحديث أعذر منك، كما أنني أعذر على تدخلني بشئونك، من أنا لأتدخل بأي شيء يخصك، لست سوى محامية لقضية انتهت.

وكانه تعمد تعقيد الأمر أكثر، وبدون تفكير واندفاع بالغ هدرت بصوت غاضب:

_صحيح لا تدخل بشئوني، من أنا لتهتم لشئونها، هيا اذهب لخطيبتك مؤكداً تنتظرك.

حدقت به وصوبت نظراتي الحائرة نحوه كما كان حالي في الفترة

الأخيرة؛ فرأيت بعينيه التعجب من الهراء الذي تفوهت به منذ قليل، فلعلت نفسي على تهوري، كيف لي أن أضع كلمة خطيبتك بكل جملة بيننا؟ ابتسم بسخرية وقال:

_لديك كل الحق، حسناً سأذهب إلى خطيبتي وأتركك على راحتك مع حبيبك.

اتسعت حدقتاي ونظرت إليه فاغرة فاهي من تصريحه الفج بأن الراقد بجانبني هو حبيبي، كنت سأخبره بهويته لكن شعرت بالغيط منه ولم أعلم سبب غضبي، رمقته بنظرات تحمل الكثير من التحدي والقوة المصطنعة، وقلت:

_تفعل خيراً، أنا وحبيبي نحتاج بعضاً من الخصوصية.

احمرت عيناه من شدة الغضب وشعرت أن الشرر سيتطاير منهما إلى الدرجة التي من الممكن أن يحرقني أنا وهو والمشفى بأكملها، فتجمعت الدماء بعروقه وأصبحت ظاهرة على جبينه تغلفها حبات العرق التي كانت تغرق وجهه.

ف«زين» عندما يغضب تبرز عروق وجهه وتنفر بشدة، اكتشفت هذا من المرات العديدة التي تملكه الغضب وأنا معه، نظر إلى الأسفل ثم رفع وجهه مرة أخرى ونظر لي بعتاب قائلاً:

_ليكن ذلك.

رحل من الغرفة على وجه السرعة وصفق الباب خلفه محدثاً صوتاً قوياً، كان الغضب يملكني منه ومن حالي، لقد تمادى حقاً بالحديث معي متخطياً كل الخطوط الحمراء، وأنا أيضاً لم أقصر،

حذرت من التدخل بشئوني بأسلوب فج لل غاية، جال بخاطري فجأة شيئاً فهممت بسخرية «حبيبي» التفت مسرعة نحو «أمير» وقلت وأنا اتوجه نحوه راسمة بسمة بغير وقتها على محياي «أجمل وأعلى حبيب بالدنيا أنت، دعك من هذا البغيض، ليحترق من غضبه الغير مبرر وأعش أنا حبي معك يا حبيب القلب»

جلست بجانبه أسترجع ما حدث قبل قليل فوضعت الكثير من التكهّنات، لكن صدقاً لم أجد مبرراً لما حدث.

في الصباح استيقظت بألم شديد بظهري بسبب نومي لشهور عدة بجانب «أمير» على المقعد أو على الأريكة التي وضعها أبي بالغرفة لكي أغفو عليها بعد أن فقد الأمل في ثنيي عن المبيت ليلاً بالمشفى، لكنني فضلت دوماً أن أغفو وأنا احتضن يده بيدي وأتوسد كتفه برأسي إن أمكن.

غادرت المشفى بعد أن قمت بالاتصال بأمي فعلمت منها أن أبي ينتظرني لنتناول الإفطار كعائلة.

كانت نظرات «زين» الغاضبة لا تفارقني طوال الطريق، وتساءلت لما كان غاضباً بهذا الشكل، إن كان قد قلق بشأني لما عاملني بجفاء هكذا؟ تنهدت بضيق وهممت لنفسي «دعك منه، لديك من الهموم ما يكفيك»

وصلت إلى المنزل وبمجرد مروري من الباب الرئيسي حتى استنشقت رائحة الفطائر التي تتفنن أُمِّي في إعدادها، سواء كانت تقوم بحشوها بالخضار، أو اللحم مع الجبن، أو حتى تعدّها كحلوى محشوة بالشوكولاتة والمكسرات، كان أبي يعشقها

من صنع يديها، أما هي فقد كانت لا تقوم بإعدادها إلا بحالتين
إما طلب أحد منا هذا، أو عندما يكون مزاجها معتدلاً، دلفت
إلى الداخل وبداخلي الكثير من المشاعر المتناقضة، من غضب
بسبب البارحة، أو اشتياق للماضي، سعادة تشبه سعادة الأطفال
لاجتماعي حول المائدة مع عائلتي، قادتني رائحة الفطائر الشهية
إلى المطبخ حيث تقف أمي والتي كانت قد انتهت من إعدادها
للتو، عانقتها بذراعي من الخلف وتوسدت أعلى ظهرها برأسي،
وقلت بصوت خفيض يحمل الكثير من الاشتياق :

_اشتقت إلى رائحة فطائرك يا أمي؟

التفتت إلي وهي متمسكة بابتسامتها فقالت :

_اشتقتِ إلى فطائري فقط أيتها المدللة!

اكتشفت الخطأ الفادح الذي وقعت به ودافعت عن ذاتي قائلة:

_أشتاق إليك وأنا إلى جانبك يا نبض قلبي، لكن اعذري ضعفي
فلم أتناول شيئاً منذ مساء البارحة.

رفعت يديها وعانقت وجهي بهما ثم نظرت لي بحب وحنان بالغ
قائلة:

_لما تفعلين هذا؟ "أسوة" حبيبتني أنت تقومين بقتل نفسك تدريجياً،
أتعلمين ذلك؟

ترقرقت الدموع بمقلتاي وخفضت رأسي إلى الأسفل كي لا تتألم
لبكائي فقلت:

__ قتلني "أمير" عندما أغمض عينيهِ ولن تعود روحي إلى هذا
الجسد إلا بعودته.

أزالت دموعي بأناملها ذات اللمسات الحانية، فوضعت يدها أسفل
ذقني ورفعته إلى الأعلى وتطلعت بي ببسمة تزين محياها قائلة:

__ إن كنتِ تقولين سيعود، إذن سيعود ولا بد أن يجدك مشرقة كما
كنتِ بحضوره، وإلا فإنه سيعاتبني على تقصيري في رعايتك،
هيا اصعدي إلى الأعلى وقومي بإيقاظ والدك، سنقضي وقتًا ممتعًا
كعائلة حول مائدة الإفطار.

التمست بنبرة صوتها الحزن والضيق ومحاولتها لسرق سويغات
قابلة من الدنيا نعيشها معاً بسعادة، فرسمت بسمة زائفة على
محياي وواريت ألمي خلفها وقلت:

__ إذن لأصعد إلى طبيبي الوسيم وننتظر معاً فطائر الشهيّة.

أومأت لي بالإيجاب والتفتت مرة أخرى لتكمل عملها وأثناء
مغادرتي لمحتها تكفّف دمعاتها بأناملها، فدعوت ربي أن ينتهي
كابوسنا ويعود «أمير» مرة أخرى سالمًا.

حول مائدتنا المستديرة وسط الخضرة والأشجار بجانب حوض
سباحة يتوسط حديقتنا، كنت أجلس أنا وأسرّتي الصغيرة نتبادل أنا
وأمي أطراف الحديث ونحن نلتهم فطائر الشهيّة وسط متابعة
أبي لنا بصمت، شعرت أنه يخفي شيئاً أو مستاء من شيء ما،
على الرغم أنني قمت بسؤاله عندما كنا بالأعلى عن سبب ضيقه
لكنه لم يجيبني وأخذ شعوره بالجوع حجة له لكي يتهرب من

الإجابة ، كنت أفهم والدي جيداً، علمت أنه غاضب من شيء ما ،فانتظرت معرفته، وكنت على يقين أنه سيظهر عاجلاً أم آجلاً.

وعلى حين غفلة مني مرر هاتفه ببطء على المائدة ليستقر أمام مرمى عيني، فوجئت بفيدوي لي أنا و «زين» نقف بغرفة «أمير» على شاشته، اتسعت حدقتاي وأصابني الدهول لوهلة فرفعت وجهي لأنظر إليه مستفهمة، كنت سأسأله عن سبب وجود ذلك الفيديو معه لكنه رفع يده بوجهي ليمنعني من التحدث، فابتلعت ما كنت سأقوله، رمقني بنظرات غاضبة وقال:

__ماذا كان يفعل هذا الصحفي بغرفة "أمير" ومعك ليلاً وبمفردكما؟

طالعه بصدمة ولم أجد ما أجيبه به، هربت الكلمات من على طرف لساني، فاحتدت نظراته وهدر بصوت مرتفع على غير عادته، فأبي يتسم بطيبة القلب والهدوء:

__"أسوة" أسألك فأجيبيني، ما هو توضيحك لما تشاهده على هذا الهاتف اللعين؟

تفاقم الوضع كثيراً واحتدت نظراته أكثر، فلا يوجد مبرر لتواجد «زين» معي بهذا المكان سوى المبرر الحقيقي والذي لا أستطيع مصارحة أبي به، فأصبحت غير قادرة على رفع عيني بعينه بسبب خجلي، لقد عاهدته أنني سأبتعد عن «زين»، وظل يسألني دوماً هل ما زلت ألتقي به أم لا لكنني كنت أؤكد له دوماً أن علاقتنا انتهت بانتهاء القضية، فلجأت إلى أُمي ونظرت إليها برجاء كي تخلصني من هذا الموقف لكنها رمقني بغضب،

وقالت:

__ “أسوء” ما الذي أتى به إليك؟ ألم يخبرك أبيك أنه لديه الكثير من المشاكل وتواجهه معك قد يعرضك للخطر؟

فكرت ملياً إلى أن أهداني ربي إلى حيلة سأستطيع بها الإفلات من غضبه، فوضعت الشوكة التي كانت بيدي بتروي وأنا أخفي توتري، حتى لا ينكشف كذبي ونظرت إليه برأس مرفوع وتحدثت بثقة قائلة:

__ لم أتقاضى المال مقابل دفاعي عنه في القضية، وعندما ذهب إلى المكتب لمرات عدة لم أكن متواجدة به فسأل زملائي وأخبروه أنني أذهب كل ليلة إلى المشفى لذلك جاء إلي.

نظر لي أبي لبرهة ثم حلق بداخل عيني، شعرت أن نظراته تنعتني بالكاذبة فقال:

__ يظهر في الفيديو كأنه يتحدث بغضب، بينما أنت تنهريه وبشدة، وسبابتك تجول هنا وهناك أمام وجهه ما توضيحك؟

ازدردت ريقي بصعوبة بالغة وأنا أبحث عن إجابة مقنعة وقلت:

__ كنت أوبخه على مجيئه إلى المشفى واختراقه لخصوصيتي أنا و “أمير” فدار بيننا جدال ثم غادر غاضباً.

تابع تحقيقه كأنني متهمة ثم قال:

__ وهل أعطاك مالك؟

كنت سأجيبه بنعم لكني تداركت خطأي في الوهلة الأخيرة حيث
مؤكد سيظهر في الفيديو عدم اعطائي المال، فقلت وأنا أنهض:

__ لا لم أخذه، غادر غاضباً كما قلت، حتى أنه أخبرني سيأتي إلى
المكتب وأعتذر ثم رحل.

اصطنعت الحزن كي يرق قلب أبي لي، فحدثته وكأني على وشك
البكاء:

__ لما أشعر أنني بتحقيق ما، ألا تثق بي يا أبي!

نهض ثم قبض على أكتافي بيده ونظر لي بحنو أبوي بالغ ثم
قال:

__ أثق بك لكن لا أثق بالآخرين، ألم أخبرك لسنا بقوة عائلة
”الشهاوي“، انظري لما حدث للشاهد بالقضية والطبيب الشرعي،
لقد تم التخلص منهما بأبشع الطرق، أموت رعباً عليك يا
صغيرتي.

جاءت أمي من الخلف وربتت على ظهري بحب فقالت:

__ “أسوة” لسنا مثلهم حبيبتي، طوال عمرنا لم نخطئ يوماً أو بدر
منا أي فعل خاطئ، أما هم فانظري، قتل، تهديد وتفريط بالشرف،
لن أتحمّل إن حدث لك مكروه، لم يتبقى لي سواك.

ذبحتني جملتها الأخيرة تلك، انقبضت روحي وشعرت أن أحدهم
يعتصر قلبي بيده، فانسابت دمعاتي على وجهي بغزارة، رفعت
سبابتي وحذرتها قائلة بصوت مرتجف:

__إياك أُمي إياك، هو لم يرحل، لم تفارق روحه جسده بعد، وإنما
أغمض عينيه قليلاً وسيعود إلي، سيعود، لن أسمح له بالذهاب.

ألقيت هذه الكلمات دفعة واحدة بوجهها ثم التقطت حقيبتني
وركضت إلى الخارج وأنا أكتُم شهقاتي بيدي، شعرت كأني مغيبة
لا أرى أو أسمع شيئاً سوى صورة «أمير» وهو غارق بدمائه
وسط المياه بذلك المسيح اللعين، جلست بالمقعد الخلفي بالسيارة
بعد أن طلبت من سائقي العم محمد اصطحابي إلى المكتب،
انهرت باكياً وأنا أخفي وجهي بيدي فأوقف السيارة جانباً وتحدث
بصوت خفيض قائلاً:

__لا تبكي بنيتي، ما ضاقت إلا لتفرج، رحمة ربك واسعة، سيأتي
يوماً ويجتمع المفارق بأحبته.

لامست كلماته قلبي فنظرت إليه وقلت بنفاد صبر:

__متى يأتي هذا اليوم؟ نفذت طاقتي وقدرتي على التحمل تلاشت .

مد يده لي بقنينة مياه وتطلع نحوي بنظرة مطمئنة بث لي من
خلالها الراحة فقال:

__اطلبي العون من ربك ولا تكفي عن قول يا رب.

التقطت القنينة من يده وابتسمت قائلة «يا رب»

بعد وقت تذكرت شيئاً، لقد أخبرت أبي أن زين سيأتي إلى المكتب
لإعطائي المال، وحينها راودني شعور أنه سيحاول التأكد من
صدق كلامي ، لذا كان لابد من أخذ الحيلة حتى أبعد شكوكه

عني، وأدركت ضرورة حضور «زين» إلى المكتب لكن كيف يحدث هذا بعد جدالنا البارحة وذهابه غاضباً، قررت التحجج لأبي بأي شيء على أن أتوسل إلى ذلك البغيض كي نلتقي بمكتبي.

وصلت إلى المكتب وعقلي مشوش للغاية، فأموري البارحة مساءً وصباح اليوم لم تسر على ما يرام إطلاقاً، تنهدت بحزن واستغفرت ربي وشرعت بالبده في العمل، وإذا بمساعدتي تطرق الباب بخفوت فأذنت لها بالدخول، طالعنتي بتوجس لبعض الوقت وبدى عليها الارتباك ولم أفهم سبب قلقها، أومأت لها كي أحثها على التحدث فزفرت بهدوء وهذا ما أكد قلقي ثم قالت:

— هل لديك مواعيد اليوم سيدتي أو سيأتي أحد لزيارتك؟

كنت سأجيبها بـ«لا» لكن ليس من عاداتها استجابي خاصة أن جميع المواعيد تكون من ترتيبها هي، تعجبت من حالتها تلك وأدركت أن «فتون» هي الواشية الخاصة بأبي بالمكتب، لذلك اصطنعت اللامبالاة ورسمت بسمه على محياي وقلت:

— نعم لدي موعد مع السيد «زين» سيأتي إلى هنا ليعطيني أمواله مقابل الدفاع عنه.

أومأت برأسها للأسفل ثم استأذنت لترحل، ابتسمت بسخرية من خلفها لمدى سذاجتها، نحن نعمل معاً منذ سنوات ولم تكتشف بعد أنني أتواصل مع الآخرين بلغة أجسادهم قبل حديثهم، وأصدق أعينهم قبل أفواههم، لكن التمسيت لها العذر، مؤكداً تساعد أبي بسبب قلقه علي، فبعد الحادثة الأخيرة أصبح يقلق علي بشكل

مرضي.

كنت بمأزق بالفعل، زيارة «زين» لي أصبحت مهمة للغاية لذلك كان يتوجب علي طلب هذا من الصقر الغاضب، ولكن كرامتي لا تسمح لي فأصبحت في مأزق بين التخلي عن كرامتي والاتصال به، وبين ثقة أبي التي سأخسرهما إن لم يأت لزيارتي، كما أنه مؤكد سيعرقل العمل الذي أقوم به مع «زين» و «خالد» وبعد تفكير طويل حسمت قرارى فأنا لن أضحي بثقة أبي أو شعوره بالاطمئنان من أجل مظهري أمام هذا البغيض، وجاء دوره في رد جميله لي، لذا اتخذت قرارى سأتصل به.

حاولت الاتصال به عدة مرات لكنه لم يجيب، وأرسلت له العديد من الرسائل فتجاهلني.

قمت بسبه بداخلي بأبشع الشتائم وندمت للغاية على تسرعى وإقحامى بهذا المأزق مع أبي، شعرت بالضيق حزناً عليه فهو لا يريد سوى الاطمئنان علي، حتى هذا الشيء لم أستطع تقديمه له، انتشلني من شرودي هتاف أحدهم باسمي فوجهت أنظاري إليها وقلت:

__جاءت الثرثرة.

جلست بمقابلي وهي تضع قدم فوق الأخرى وقالت:

__بما تشردين يا جميلة الجميلات ؟

تنهدت بضيق وقلت:

__ لا يوجد شيء.

__ بالطبع يوجد أشياء وليس شيئاً واحداً، هيا افرغي ما بجعبتك يا ذات العينين الخضراوتين.

وضعت يدي على وجهي لأخفيه خجلاً من حماقتي، فهدرت بصوت محتقن:

__ أنا غبية وبغبائي وضعت نفسي بمأزق.

جذبت يدي من على وجهي وهي تتفحص قسماط وجهي ثم قالت:

__ ماذا فعلتي أيتها البلهاء؟

قصصت عليها ما حدث بيني وأنا وأبي وكذبي عليه بشأن انقطاع علاقتي بزين لكنها سألتني مستفهمة:

__ ولما لا يجيب على اتصالاتك؟

نظرت إليها نظرة تعلمها جيداً عندما تحشرنني بالزاوية فتابعت:

__ لقد سئمت منك حقاً، تعطيني المعلومات كأني أتسول منك.

سئمت بالفعل من ثرثرتها لذلك قررت الافصاح عن كل شيء حدث مع زين، فأخبرتها بما دار بيننا ، وبعد الانتهاء من حديثي نهضت وهي تصفق بيديها وكانت هناك بسملة عريضة تزين محياها، وهتفت:

__ إنها الغيرة يا ابنة عمتي.

__ عن أي غيرة تتحدثين أيتها البلهاء!

جلست مرة أخرى ووضعت ساعديها على المكتب ومازالت متمسكة ببسمتها وعينيها تكسوها اللمة فقالت:

__ غيرتك على زين من تلك البغيضة، وغيرته عليك من أمير، بسيطة يا ذات العيون الخضراء.

أشحت بنظراتي بعيدا عنها ثم همهمت قائلة:

__ تلك البغيضة هي خطيبته.

ثم تابعت بصوت جهور:

__ هو بغيض وكرهه ليس إلا، لا تخلقى أشياء ليس لها وجود.

__ أسوة لا تتكري غضبك من ذهابه إلى خطيبته، أما هو فقد قال لأتركك مع حبيبك، وإن دل هذا على شيء دل على غيرته الصريحة.

جمعت الخيوط وبدأت أتذكر نظراته الحانقة تجاه أمير وغضبه الغير مبرر فابتسمت ببلاهة رغماً عني، وكأن هناك فراشات كانت تتراقص بقلبي، فتابعنتي وهتفت قائلة:

__ لقد أمسكت بك بالجرم المشهود.

غضبت حقاً من حديثها المستفز فقلت:

__ اصمتي أيتها البلهاء، عن أي جرم تتحدثين؟

__أتحدث عن تلك الابتسامة، مؤكد تذكرتيه، لا تنكري هذا.

كنت سأدافع عن ذاتي لكن أوقفني صوت طرق على الباب فأذنت للطارق بالدخول، كانت فتون التي فاجأنتي بتواجد زين بالخارج يطلب لقائي، ألجمتني المفاجأة ولم انبس ببنت شفة ونهضت كالبلهاء أنظر إليها بذهول، وهي تعيد سؤالها مرة أخرى هل أسمح له بالدخول أم لا؟

كل ما كان يشغل تفكيري وقتها السبب الذي أتى به إلى هنا؟
لذلك تدخلت الثرثرة رحمة بالحديث فقالت:

__حسناً ليتفضل يا فتون.

لحظات ووجدته يدلف إلى داخل الغرفة بوجه مكفهر والغضب واضح على محياه، تبادلنا النظرات لبرهة، نظرات تحمل التعجب والحيرة والكثير من العتاب والغضب، قطع لحظة صمتنا صوت رحمة وهي تمد يدها لترحب به، قائلة:

__أستاذ زين مرحبا بك تفضل.

ظل ينظر لي ثم تحدث بتعالى:

__ليس هناك داع، جنّت تنفيذاً لرغبة الأستاذة أسوة كي لا أضعها بموقف محرج مع والدها بعد أن قرأت الرسالة التي أرسلتها على هاتفي.

أخرج ظرفاً أبيض اللون ثم وضعه على المكتب قائلاً:

__تفضلي أموالك، لا يوجد داع للكذب، أنتِ فعلا لم تتقاضي شيئا مقابل عملك.

و أخيراً اطلقت العنان لكلماتي وقلت والعبرات تترقرق بعيني:

__لكننا اتفقنا من قبل أنني لن أخذ شيئا منك؟

التفت ليذهب وقبل أن يخطو أولى خطواته باتجاه الباب، قال:

__ كل اتفاقاتنا السابقة لاغية منذ البارحة.

كانت نظراته قبل ذهابه مؤلمة أكثر من كلماته، اغرورقت عيني بالدموع أكثر وألمني قلبي ولم أعلم السبب، فالتفتت رحمة وغمرت بعينيها بمكر، علمت أنها تتوي فعل شيئا فقالت:

__ حسناً يا أسوة سأذهب أنا الأخرى إلى عملي وأتركك تتجزيين أعمالك حتى تذهبين إلى شقيقك أمير مساءً.

اتسعت حدقتا عيني بعد ما قالتها غير مصدقة ما تفعله تلك اللئيمة، بينما التفت زين مرة أخرى وقد لمعت عيناه فقال:

__شقيقك!

أردت محاربته بنفس كلماته فقلت:

__ نعم شقيقي، حبيبي الذي تركتني على راحتى معه البارحة.

الفصل الرابع عشر

****زين****

فور سماعي لكلمة «شقيقي» انتابنتي حالة لا أستطيع تفسيرها، حالة من التناقض، فمئذ لقائي «بأسوة» في المشفى وهناك أثقال موضوعة فوق صدري، تجعلني أشعر بالاختناق وتضغط على قلبي فتؤلمه، ولكن جاءت «رحمة» لتزيل تلك الأثقال بكلمة شقيقي؛ فشعرت برجفة تسري بكامل جسدي وألم يجعلني أشعر بعدم الارتياح بمعدتي أما عن قلبي فأصبح يقوم بعمله بسرعة جنونية، وعيناى أعتقد افتضح أمرهما أمام «أسوة» حيث رحلت أنظر لها دون أن أدرك أنها تقرأ الأشخاص من أعينهم، وكالأبله خانتني أفعالي ولاحت شبه ابتسامة على ثغري، انتشلني من حالة العبث التي اغرقنتي بها «أسوة» صوت صديقتها وهي تقول :

__ سأذهب لأتركك على راحتك.

وباندفاع غير محسوم نتأجه قلت:

__ أنا من سيرحل لأترك الجميع على راحته.

هربت من ضعفي نحوها إلى الخارج، كان جسدي وعقلي يركض باتجاه المصعد بينما قلبي يعود أدراجه إلى الخلف، إلى تلك

العنود التي بات انجذابي لها واضحاً وضوح الشمس، لم أكن اضغط على زر المصعد و إنما كنت احطمه بيدي لمرات متتالية بسرعة فائقة، تماشت مع سرعة نبضات خافقي و اخيراً وصل وفور أن فتح الباب ولجت إلى الداخل بسرعة كأني أهرب من ذاتي، خوفاً من ضعفي وعودتي إليها مرة أخرى وحدث ما لا يحمد عقباه، وفور انغلاق باب المصعد فوجئت بورقة بظرف أصفر اللون، كنت أعرفه جيداً ورأيتة سابقاً وبمصعد أيضاً كان ملتصق على الباب بلاصق بطريقة تسهل علي رؤيتها، خشيت أن تكون «أسوة» بخطر لذلك وبدون أدني تفكير أو أخذ حذري مما سيحدث فور قراءة الرسالة، التقطتها بيدي وقمت بفك طيتها وفوجئت بما مكتوب بها بالدم اللزج كالعادة «سأقدم لك سر خيانة معاذ على طبق من ذهب لكن مقابل ذلك ستقوم بتنفيذ ما أمليه عليك»

هذا الوقح دوماً ما يحب أن يكون هو المدبر لكل شيء، وكأننا أطفال ويتلاعب بنا بتلذذ، تسارعت نبضات قلبي وشعرت أن أنفاسي ستنتقطع عندما غلفت عيني غشاوة تحجب الرؤية عنها.

شعرت بثقل ما يحارب جفوني كي لا أفتحها وأيدي أحدهم تربت على وجهي، جاهدت مراراً كي أفتح عيني وبعد وقت تغلبت على شعوري بالوهن وفتحت عيني لأجد نفسي خارج المصعد أستلقي على الأرض، تلفت يميناً ويساراً برأسي حتى أعود إلى رشدي، كنت أشعر أنني مغيب تماماً، فقط اسمع وأرى ولكن لا أعني شيئاً مما يحدث، رحت ارفع رأسي فشعرت بأنامل رقيقة تمنعني من التحرك وصوت انثوي ناعم أعرف صاحبتة جيداً يتخلل كلماته البكاء والشهقات:

_ لا تنهض أرجوك ما زلت متعبًا.

صوبت أنظاري على صاحبة الصوت لأجدها هي العنود ذات العينين الزيتونيتين، تتحدث وهي تذرف لؤلؤها بغزارة، رأيت بعينها ما لم أره من قبل، أو دعونا نقول رأيت عينها كما لم أرها من قبل، غابة خضراء اللون مليئة بالأشجار، حتى خيل لي أنني أجلس أسفل إحداهم، وأستند برأسي على جذعها، أهرب من قهر الزمان تحت ظلها، وهي تعانفني بحنانها وبراءتها التي لم أجد لها مثيل من قبل، نظرت إليها كالمغيب وكأني وقعت أسير لعيناها و أهدابها السوداء الطويلة، غصت بنظراتي بأعماق غابتها لأقرأ بها خوفها علي، تمردها على كل ما هو حولها، وعدم تفكيرها بعواقب ما كانت تفعله إن علم أباهما بما يجري، انتشلني من متاهة عينها صوتها عندما تابعت:

_ زين أأقصد أستاذ زين هل أنت بخير؟ خفت كثيراً أن يكون أصابك شيء.

تلقت حولي لأدرك اننا لسنا بمفردنا وحولنا الكثير، بعض العاملين بالمكتب وساكني البناية، وخالها وابنته الذي قال:

_ بني هل أنت بخير؟ لا تقلق طلبت عربة الاسعاف وهي بالطريق.

أشرت له بيدي وأنا احاول النهوض، فجلست واستندت على الحائط بظهري وقلت:

_ ليس هناك داع مؤكد انخفض ضغط دمي، لقد اصبحت بخير.

قاطعتني أسوة وهي تومئ برأسها يمينا ويسارا وقالت:

_ لا لست بخير، لابد أن تذهب ويعاينك الطبيب.

كنت أعلم أن هذا المعتوه بالقرب منا ولا بد أن انهض حتى لا ينكشف أمرنا ولا يوجد من يساعدني سواها، فنظرت إليها نظرة ذات معني كي أساعدها لإدراك ما سأقوله، وقلت:

_ أنا بخير فقط حدث معي كما حدث بالمصعد أثناء مغادرتنا لمنزلي مع صديقي، هل تذكرين ذلك اليوم؟

حدقت بي لبرهة كأنها تقرأ مقصدي من الحديث من خلال عيني، فلمعت عينيها واكتست غابتها بالعبرات، لمحت صدرها يعلو ويهبط بسرعة تزامنا مع رجفة جسدها، وحركة أهدابها الغير منتظمة، فعلمت أنها أدركت أن ما يحدث معي هو من فعل هذا اللعين، تطلعت بي برجاء كأنها تتوسل لي أن لا اتركها، فرسمت بسمه على محياي لأجعلها تطمئن بها، وقلت:

_ سأكون بخير .

رفعت رأسي واعتذرت من الجميع قائلاً:

_ اعتذر منكم جميعا لقد انخفض ضغط دمي ليس إلا.

نهضت وهممت بالذهاب، فصوبت انظاري نحوها لألمح دمعاتها مازالت تسري بطريقها على وجهها، كنت سأحدث لكن ابتلعت كلماتي عندما تحدث خالها وقال:

_ هيا بني لندخل إلى مكتبي إلى أن تتحسن حالتك.

في بادئ الأمر رفضت لكن إصراره ونظرات أسوة كطفلة
تترجاني بالبقاء بجانبها وقتل مخاوفها، جعلوني أراجع و وافقت
وبعد أن جلست التقط أنفاسي لبعض الوقت قصصت عليهم ما
حدث بالمصعد، وسط نظرات أسوة القلقة نحوي، فهمت أن الأمر
بات مزعجاً بالنسبة إلي خالها، وراح يقنعنا بالتوجه إلى أقرب
مركز شرطة، واللجوء إليهم و إخبارهم بكل ما يحدث معنا، وما
يفعله هذا المبتز بنا لكن أسوة منعتة عندما قالت:

_شرطة لا، قلت لكم سابقاً وسأقول شرطة لا، لن ندخل الشرطة
بهذا الأمر، لن أضحي بتوأمي سيقته، سيعاقبني به، إن كان
سيؤذيه ليقتلني أفضل، لكن ليتركه لا أستطيع العيش بدونه، أنا
حالياً جسد بلا روح لمجرد رقوده بغيوبة، فما بالك بموته هذا
شيء فوق قدرة احتمالي.

وبدأت في نوبة بكاء، حاولت رحمه و أبيها تهدئتها لكن لم تجدي
كلماتهم المطمئنة نفعاً، فتدخلت بالحديث و ربّنت على كنفها بحنو
وتسرع دون أخذ وجود خالها بجانبنا بعين الاعتبار، وابتسمت لها
قائلاً:

_لا تقلقي لن تتدخل الشرطة بالأمر، أنا أعمل على كشف كل
شيء وخالد أيضاً، كما أنه يقوم بحماية الجميع دون لفت الانتباه
قلت لك سابقاً لن أسمح لأحد بأذيتنا.

اختفت شهقاتها وهذأت قليلاً لكن وجهها مازال عابساً بينما رأيت
الأزهار المتواجدة بالغابة التي بعينها تنفتح فعلت أني وصلت
إلى مرادي، لاحظت نظرات خالها الغاضبة من تقاربنا البادي
علينا، فوجهت انظاري نحوه ورجوته أن يترك الأمر لي و

أخبرته عن خالد و أمر اتفاهه معنا و حمايته لنا جميعا رفض في بادئ الأمر خوفاً على أسوة لكنها تمسكت بقرارها وهو الانصياع إلى أوامر هذا المبتز اللعين لحماية لشقيقها.

وبعد وقت خمد الحريق الذي كان قد نشب فور صعودي بالمصعد وهذا الجميع واستأذنتهم للذهاب وبالفعل ذهبت، ومشاعر لم اعتدها يوماً تمتلك كياني أما عن أسوة تركتني أذهب بعد أن أملت علي الوصايا العشر، إن لم تكن بخير اذهب إلى المشفى ولأخذ الحيلة اجعل سارة تقم بقياس ضغطك من وقت لآخر، اتصل بخالد واحكي له كل ما حدث، لا تذهب إلى معاذ دع المبتز يقوم هو بالخطوة التالية واتصل بي إن حدث شيء و أخيراً اغرورقت عينيها بالعبرات وقالت كن بخير و إلا أحزن منك

أصبح العثور على ما يدلنا إلى طريق المبتز أمر مستحيل حدوثه فانتظرنا ما سيمليه علي مر يومين علم خالد بما حدث بمكتب الجبالي وتم أخذ الحيلة أكثر على الرغم أنه يتحرك بجانبنا كالشبح المستحيل الإمساك به، كنت أنا و أسوة نتحدث لمرات عدة عبر الهاتف المحمول لنطمئن على بعضنا البعض، نبرتها تغيرت بعض الشيء و أصبحت أكثر خوفاً وتحمل الكثير من الحيلة بينما كنت أشعر أن مشاعري تجرفني إلى أماكن لم أكن أضعها بالحسبان.

وذات ليلة كنت أستلقي على فراشي غارق بغابة ذات العين الزيتونية، فهي كانت تشغل تفكيري في الآونة الأخيرة، وكأني أصبحت أسيرها، أشعر أن هناك ما يشغل تفكيرها هي الأخرى

أو أمر جديد يخصني طراً عليها، لكنها تبتعد و تكابر لذلك تركتها على راحتها، رن هاتفي المحمول ليعلن عن وصول مكالمة من صديقي الخائن معاذ، زفرت بضيق وكنت أنوي عدم الاجابة لكن تذكرت الكلمات المكتوبة برسالة المبتز فقررت الرد عليه لعل الأمر له علاقة بسر خيانتة لي، مررت يدي على الشاشة لتبدأ المكالمة وقلت:

__ماذا تريد؟

رد بصوت مختنق يدل أن أحدهم قام بالقبض على عنقه:

__نلتقي أريد أن اتحدث معك بأمر ما.

__لا أريد لا يوجد ما نتحدث به.

__بلا يوجد ألا تريد معرفة سر خيانتني لك، حسناً سأفصح لك عن السر.

إذاً صدق المبتز سأصل إلى السر، تهللت أساري رغي شعوري أن مع معرفتي لهذه الحقيقة سيتغير كل شيء أو به ما سيزعجني، فقلت:

__أين نلتقي؟

__بمكاننا المعتاد.

بعد حوالي الساعة كنت أقف بالقرب من إحدى المراسي على ضفاف النيل، في انتظار وصول معاذ، فهذا هو مكاننا المعتاد منذ تعرفنا على بعضنا البعض، متى أردنا الاختلاء بأنفسنا قليلاً

وقضاء وقت ممتع معاً كنا نستقل هذا القارب، و كان صاحبه على معرفة قديمة بوالده رحمة الله عليه، وتورث هو هذه الصداقة والتي انتقلت إلي و أصبحت علاقتي بصاحب القارب جيدة أكثر مما كانت عليه معه.

لمحت أسوة تأتي نحوي فجأة وعلامات الخوف والفرع ظاهرة على ملامحها، ركضت إليها وفعلت هي الأخرى ذلك وعندما اقتربت منها فوجئت بها تقبض على ذراعي بشده، أمتني لقد كانت تغرز اظافرها بذراعي، وقالت :

_ أنت هنا!

_ نعم هنا، لكن ماذا جاء بك إلى هذا المكان؟

ازدردت ريقها بصعوبة وقالت:

_ لا أعلم وجدت رسالة لعينة بجانب أمير يطالبني فيها بالمجيء إلى هنا و إلا ينفذ تهديده.

_ و أنت كالعادة خفتِ وهرولتِ تنفيذين كل ما أملاه عليك.

أومات بالإيجاب وهي تطالعني كالطفلة ثم قالت:

_ و أنت ماذا جاء بك الى هنا؟

ابتسمت بسخرية وقلت:

_ طلب مني معاذ أن نلتقي هنا.

اتسعت حدقتيها وقبضت على ذراعي أكثر، بينما أدركت سبب

حالتها تلك فتحدثنا سويا بنفس التوقيت:

هل المبتز هو معاذ ؟

الفصل الخامس عشر

محرك الدمى

كنت متأكداً أن «زين» لن يصمد كثيراً وسيسقط ضحية جمال وبراءة «أسوة» اللامثيل لهما في امرأة سواها، وضعفه أمام هذا الجمال الأخاذ كان مسألة وقت ليس إلا، أيوجد رجل على هذه الأرض لن يتمنى احتضان تلك المسكينة كثيرة البكاء وصاحبة الحظ العسر، وممارسة قوته ورجولته وإظهار شهامته في الدفاع عنها؟ الن يحلم يوماً بإزالة دمعاتها وتقيل عينيها اعتذاراً لما فعله القدر بها؟ إلى أي مدى سيتحمل أحدهم نظرات تلك الأعين الجميلة التي تخفي الكثير من الحقائق بداخلها؟ ولن يرضخ لها ولسحرها مؤكداً لا يوجد على الأرض من لا يعجب بتلك الانثى صارخة الجمال، عداي أنا فإن كنت وضعت عيني على شيء بها فهو قلبها الذي سأنتزعه بيدي من موضعه وأدهسه أسفل قدمي.

تم المراد وسقط «زين» في عشق محاميته وأصبح لديه بدل الثغرة عشرة لكي اضغط عليه وسواء رحل «زين» أولاً أو «أسوة» مؤكداً سيتألم الآخر وهكذا ضمننت العذاب لأحدهم وإن كنت اتمني أن يتمزق قلب كل منهم على خليله لكن أن يشهد كل منهم على رحيل الآخر معادلة صعبة لن أستطيع تحقيقها، هكذا أول صفقة لـ «أسوة» ستكون خلاف حاد بينها وبين أبيها عند اقتضاح أمرها مع «زين» لكن لا بد وأن أضعها بقبضتي

بالجرم المشهود حينها فقط سأنتقم من أجل «هند» سأقوم بالتشهير بها كما شهرت بها في قاعات المحاكم وإلى هذا اليوم سأستمر بمخططاتي.

المرحلة التالية بخطتي كانت كشف سر خيانة «معاذ» لصديقه حاولت كثيراً لكن صدقاً لم أجد مبرر لما فعله خاصة أن «معاذ» بعيد كل البعد عن أعمال العقب وهذا ما تأكدت به بنفسي لذا كان يتوجب علي الانتظار معتمداً على أصدقائي الإلكترونيين المتواجدين بجانب «معاذ» طوال الوقت لنقل جميع تحركاته وما يطرأ على حياته حاله كحال الجميع.

صوبت كل تركيزي نحوه، كرست حياتي لعدة أيام لكشف سره فحدسي كان يخبرني أن سره مؤلم جداً لـ «زين» وقد صدق، فسر «معاذ» هو خنجر بقلب «زين» ثقل على أكتافه لن يتخلص منه مطلقاً صحيح لن يقتله لكنه سيجعله يسير مطأطأ الرأس طوال العمر.

السر الذي أجبر «زين» على التخلي عن صديقه هو خوفاً عليه وعلى حياته وشرفه أيضاً لذلك لن أتردد لحظة في كشفه والتلاعب بهم جميعاً وكما أرسلت تلك الرسالة إلى الصحفي بالمصعد وضعت أخرى بمنزل «معاذ» وكالعادة اختفت فور قراءته لها، وكان محتواها أن يتصل بـ «زين» ويطلب مقابلته ويكشف له الحقيقة الكاملة و إلا أنشر على صفحات التواصل الاجتماعي ما يدينه هو وحبيبته الادانة الكاملة مما سيجعل «زين» و«معاذ» في موقف حرج، رضخ الأخير لتهديداتي بالنهاية وذهب مطأطأ الرأس ليواجه صديقه بخيانتته له.

كانت «أسوة» تقف قبالة «زين» غارقة في بحر مخاوفها بينما كان يحاول تجميع الخيوط للتأكد مما اكتشفاه سوياً بشأن «معاذ» الذي وصل إلى المكان، كان يبدو علي ملامحه مزيج من الغضب، الخوف والارتباك وقف قبالة «زين» وهو يتحاشى النظر إليه تعجب في بادئ الأمر من وجود «أسوة» لكن وعلى حين غفلة منه قبض «زين» على تلايبب قميصه وانقض كالأسد الجريح ليقبض على عنقه وهو يحدق به بعينين يتطاير الشرر منهما، هدر «زين» بصوت مرتفع بعد أن فقد السيطرة على أفعاله:

_من أنت؟ لم أعد أستطيع التعرف عليك هل أنت بهذه الحقارة هل اتضح انك المبتز الحقيقي!

_عن أي مبتز تتحدث "زين" هل جننت!

احتدت نبرة صوت «زين» أكثر وسدد له لكمة شديدة لأنفه سألت دماؤه على اثرها ثم هدر مرة أخرى:

_أنت المبتز الذي يرسل لنا الرسائل المكتوبة بدمائه، أنت الذي يهدد تلك المسكينة بأخيها وتقوم بتهديدي بأخوتي، أخوتي يا "معاذ" من استأمنتك عليهما كيف لك أن تكون بهذه القذارة؟

تحول موقف «معاذ» من المدافع إلى المهاجم فدفع «زين» بقوة على صدره ليرتد إلى الخلف كاد سيسقط أرضاً لولا مساندة «أسوة» له، نظر «معاذ» إلى الأرض كأنه يحاول استجماع قوته لمواجهة صديقه له بوابل من الخيانات التي قام بها في حقه وما أصعب خيانة الصديق، رفع «معاذ» وجهه ففرت دمعة هاربة من عينيه وعض على شفاة السفلية تزامنا مع صدره الذي بات يعلو

ويهبط بسرعة نظر يميناً ويساراً كأنه يتهرب من التحدث وبعد
برهة جمع الهواء ب صدره و زفره بغضب فقال:

__ لم يقم أحد بحمايتك أنت وعائلتك مثلي أنا حتى أنني ما زلت
أفعل.

قلص زين المسافات بينهم وقال:

__ تحدث بوضوح ماذا تقصد يا عديم الشرف؟

ابتسم معاذ بنهكم و تابع:

__ صحيح أنا عديم الشرف صدقت لقد وضعت عيني على شقيقة
صديق عمري لكن أقسم كنت أنوي الخير لولا تهديد هذه الجماعة
لي.

الموقف أصبح خارج السيطرة فكانت أسوة تنظر تارة إلى معاذ
وتارة أخرى إلى زين وكأنها تستشف منه رد فعله القادم فعاود
الاقتراب من معاذ و قبض على عنقه وهذه المرة الغضب كان
جلي أكثر على ملامحه وقال:

__ عن أي شقيقة تتحدث معاذ لا تجعلني أفقد أعصابي وأقتلك هنا؟

أزال معاذ أيدي زين بعنف و التفت و أدار جسده ليصبح ظهره
بمقابله واسترسل بالحديث ليقص عليه الحقيقة الكاملة التي أجبرته
على كشفها:

__ بدأ الأمر فور تعرفي عليك أعجبت بها من حديثك عنها صدقها،

حنانها النابع من اسمها، عشقها للرسم محاولتها في التقرب من الجميع وتخفيف عنهم مشكلاتهم، وصفك لابتسامتها الكفيلة بإزالة كل الهموم من فوق صدرك، روحها الطيبة وعقلها وحكمتها وقد صدقت يا صديقي فيما كنت تصف، كان فقط مجرد إعجاب بتلك الجوهرة اللامثيل لها لكن ما زاد الأمر تعقيداً هو رؤيتي لها أمام المصعد ذات مرة أثناء ذهابي لزيارتك سحرتني أصبحت أسيرها دون أن أعلم هويتها أقسم لك يا زين لم أكن أعلم أنها شقيقتك، رحت أبحث عنها دون وعي مني وسألت حارس بنايتكم إلى أن علمت أنها شقيقتك أنت، شقيقة زين أبو نجم صديق عمري حاولت مراراً اخراجها من قلبي قبل عقلي لكن لم أستطع ووضعها القدر أمامي مرة أخرى فضغفت أمام هذا الملاك، وهكذا بدأت حكايتنا حاولنا كثيراً أن نمنع انفسنا من الاقتراب أكثر لكن لم نستطع إلى أن بات الامر مستحيلاً، أصبحت حنان هي النفس الذي أنفسه مصدر الحياة لي ، مصدر الأمان هي كلماتها الحنونة التي تهمس بها لي.

قطع وابل اعترافاته تلك ركلة بقدم زين في منتصف فخذة فسقط على إثرها أرضاً وانكب على وجهه فهجم عليه وسدد له الكثير من الضربات بقدمه في أنحاء متفرقة من جسده دون أدنى مقاومة منه كانت أسوة تتابعهم وهي تذرف دمعاتها وتكمم فمها بيديها وبعد أن شعرت أن زين أصبح خارج عن السيطرة كان لابد من تدخلها فركضت نحوه وبدأت تدفعه إلى الخلف وهي تتوسل إليه لكي يتوقف لكن ما علمه وقتها كان فوق قدرة استيعابه فكيف لرجل أن يتقبل خيانة صديقه له واكتشاف أن شقيقته تواعد أقرب صديق له، كان لابد من ردع زين وإلحاقاً كانت ستقع جريمة قتل هناك لذلك تحلت بالشجاعة وقامت بلف ذراعيها حول خصره

وهي تترجاه قائلة:

__ “زين” أرجوك لا تفعل هذا ، لا تقحم نفسك بمصيبة لن أستطيع
أخراجك منها ، لا أستطيع تحمل خسارتك أنت الآخر من أجلي أنا
اهداً.

كانت كلماتها كالسحر عليه وبدأ يهدأ وهو غارق في عيناها
الخضراء التي تصيب كل من ينظر إليها برعشة كالرعشة
التي تصيبنا عندما نتذوق نكهة النعناع بكوب الشاي ، هام قليلاً
بنظراتها وكلماتها التي فاجأته بها وبدى عليه الضعف على إثر
لمساتها ودموعها فأزال يديها من حول جسده وقال:

__ هذا الأمر بيني أنا وهو لا تتدخل.

__ لكن أرجوك اهدأ ليكمل حديثه.

التفتت إلى معاذ وتابعت:

__ وأنت هيا قل ما جئت لأجله.

اعتدل معاذ في جلسته ثم اثنى ركبتيه و أحاطهم بذراعيه وهو
يحدق بزين الذي كانت تجبره أسوة على الوقوف بعيداً عنه وهي
تقبض على ذراعيه فتابع سلسلة اعترافاته مرة أخرى:

__ اقسم لك الأمر لم يتخطى المكالمات الهاتفية واللقاءات المحدودة،
لقد حافظت عليها من نظراتي قبل نظرات الآخرين، راعيت الله
فيك قبلها يا صديقي ،وكننت أنوي التقدم رسمياً لخطبتها لكن

مشاكلك مع عائلتك دومًا ما كانت تكن حائلًا في اتمام الأمر، وبعد أن هذأ الوضع قررت مصارحتك بمكنونات قلبي حتى أني أخبرتك برغبتي في التحدث بأمر هام أنتذكر؟

صاح به زين وهو يشير بسبابته متجاهلاً توسلات أسوة وقال:

__ستدفع ثمن غدرك بي غالياً اياك أن يخيل لك عقلك القذر هذا أن خيانتك لي في أمر القضية كوضع عينك علي أختي، في عرفنا نحن عقاب هذا يكون بالدم يا ابن القاهرة.

__إن كنت تتحدث عن الشرف أنا من حفظ شرفك سابقا وأفعل الآن، ليلة الحادث أرسل لي احدهم فيديو تظهر فيه حنان وهي تنهي عملها بورشة الرسم الخاصة بها بمفردها الساعة السابعة مساءً وهذا كان وقت عودتها إلى المنزل، تعجبت من الأمر لكن تلى الفيديو مكالمة هاتفية قاموا فيها بوضع اختيار صعب للغاية أمامي وهو إما أضحكك إلى عنوان ما سيقومون بإرساله لي أو استغلال تواجد حنان بمفردها هناك والاعتداء عليها والنيل من شرفها ثم تصويرها عارية وقتلها بعد ذلك .

نهض مرة أخرى وانسابت دمعاته كالشلال تغرق وجهه وهو يصيح:

__لو كنت مكاني ماذا كنت تفعل؟ ها أخبرني يقيم أحدهم بتخييرك إما تغدر بصديق عمرك أو تخسر حبيبتك ويتم التشهير بها على العلن حبيبتك يا زين و أنت أكثر من يفهمني، أكثر من يهتم لأمر الشرف، أنا قمت بالمحافظة على شرفك وحافظت على

حياة شقيقتك لو كنت مكاني لتحملت الجريمة كاملة على أن تتأذي شعرة منها.

لم يتحمل زين أكثر فسقط على الأرض وجلس وهو يضع يديه على جانبي رأسه وهو يهز رأسه يمينا ويسارا و يبدو عليه عدم التصديق فجلست أسوة بجانبه وهي تقول:

_ انظر الأمر أصبح واضحاً هو أيضا ضحية لعملية الابتزاز التي نمر بها منذ فترة، لقد قام بحماية أختك.

نهض وهو يتوعد إلى معاذ بنظراته وقال:

_ لكن هذا لن يغفر خيانتة لي عندما وضع عينيه على شقيقتي.

دافع معاذ عن نفسه وقال:

_ محق يا صديقي الخطأ خطأي أنا ودفعت الثمن غالياً، لكن أنت حقاً تمر بأزمة ولا بد أن نساندك جميعاً وبعدها إن أردت اقتلني، بالمناسبة ترك أحدهم هذا الملف بمنزلي ووجدت بجانبه رسالة لعينه اختفت فور قراءتي لها.

ثم مد يده بمظروف كبير الحجم نحو زين مكتوب عليه يسلم إلى زين صالح أبو نجم فأخذه منه وهو يتفحصه جيداً ثم فتحه وأخرج منه ملف مكتوب عليه الطريق الى العقرب.

تبادل ثلاثتهم النظرات فقالت أسوة:

_ من العقرب ؟

أجابها زين:

_مؤكد لعنة أخرى ستحل بنا.

كنت اقف بعيداً اراقبهم بصمت لأتأكد من إتمام مواجهتهم بالطريقة التي رتبت

لها، لكن فجأة اكتشفت أنني لست بمفردي من يقيم بمهمة مراقبتهم و إنما هناك أعين أخرى أكثر شراسة تفعل هذا.

كان هشام يجلس بسيارته ويراقبهم هو الآخر ثم قام بالاتصال برب عمله، ودار بينهم الحديث الاتي:

_سيدي اسمح لي أن انهي أمر معاذ هنا لن نجد فرصة مماثلة.

_قلت لك ليس الآن كيف تفكر بهذا الأمر! الظروف لا تسمح بإطلاق النار أيها الغبي، هما ليسا بمفردهما بالمكان.

_سأتوخى الحذر.

_لن يحدث أمر إنهاء الصحفي وصديقه بات محتم الحدوث لكن ليس الآن.

انتهت المكالمة والوضع أصبح أكثر خطورة بالنسبة لي أنا و أسوة و الأصدقاء جميعنا يحاربنا العقرب لذلك كان من الجيد بدء الحرب ضده وأولي خطوات هذه الحرب هي افتضاح أمره على الملأ عن طريق الملف الذي أرسلته إلى الصحفي لنرى هل سيقوم بعمله جيداً ام سينشغل بأمر شقيقته.

الفصل السادس عشر

****أسوة****

كان رد فعل زين عنيف جداً حيث عاود مهاجمة معاذ مرة أخرى وتوعد له بالانتقام وطلب منه الابتعاد عنه وعن عائلته، أما عن حنان أقسم له أنه لن يترك لهما فرصة لرؤية بعضهم البعض، كان معاذ قلقاً جداً بشأن المبتز أصابه الذعر عندما قال له زين مبارك لك لقد حانت عليك لعنة المبتز بجانب لعنتي، أعتقد جنونه وعقابي لك هم الطريق إلى نهاية حياتك

رحلت رفقة زين تاركين معاذ يحترق بداخله ويكي دماً على ما فعله بصديقه ، افترقنا عنه بعد محاولات عدة مني في فك اشتباكهم، وسرنا سوياً و لم ينطق بكلمة واحدة فقط كان الشرر يتطاير من عينيه، ويقبض على المظروف بشدة، فكاد يتمزق على إثر قبضته، وعندما وصلنا إلى المكان الذي ترك به سيارته حيث ينتظرني العم محمد داخل السيارة، عدت إلى تهوري وقبضت على ذراعه بشدة لأمنعه من الذهاب وقلت:

__ زين ماذا سنفعل؟

أجابني باقتضاب وهو ينظر إلى الجهة الاخرى كأنه لا يريد التحدث معي:

__ بماذا؟

__ بهذا الملف الذي بيدك، بالمبتز اللعين، حتى أريد أن أسألك ماذا ستفعل مع معاذ و حنان؟

التفت نحوي وهو يرفع سبابته أمام وجهي والعبرات تكسو عينيه، فقال بشفاه مرتجفة:

__ إياك أن يخيّل لك عقلك الصغير هذا أنك ستقومين بمنعي من الانتقام من عديم الشرف.

استهانته بي جعلتني أغضب منه، وأردت تلقينه درسًا بشأن عقلي الصغير فقلت بعد أن خانتني دمعاتي، وفرت هاربة من عيني:

__ لأذكرك عقلي الصغير هذا هو من جعلك تحصل على براءتك أيها الصحفي.

شعرت أنه تأثر بدموعي لكنه تدارك ذاته لاحقاً، وتحكم به كبريائه فقال:

__ لأذكرك أنا حصلت على براءتي بمساعدة المبتز اللعين، لست سوى محامية مبتدئة كان من الممكن أن يفعل ما فعلته أي محامي آخر.

زفرت بغضب وقلت قبل أن ألتفت وأذهب:

__ لما عليك أن تكون فظ هكذا! كان الله بعون خطيبتك.

جذبني من ذراعي وزفر بنفاذ صبر وقال:

__ دوّمًا ما تقولين خطيبتي، خطيبتي، افترقنا منذ زمن ليكن لديك

خبر.

وبعد ذلك اتجه صوب سيارته تاركاً إياي أتخبط بمشاعري وأحاول استجماع حالي بعد مفاجئته تلك، ترك خطيبته إذن لما لم يخبرني بهذا سابقاً، تفوهت بشأنها بالكثير في الفترة الأخيرة لكنه كان يتهرب بالحديث فور ذكر سيرتها، ثور، فظ وغلظ القلب، لكن به شيء يجذبني إليه، زفرت بضيق وتلفت حولي لأجده يذهب سريعاً بسيارته فتذكرت أمر حنان وخشيت أن يؤذيها لذلك توجهت مسرعة إلى السيارة كي ألحق به قبل أن يفعل شيء جنوني يندم عليه لاحقاً، أكثر ما كان يقلقني هو تسرعه وعدم تحكمه في انفعالاته وقت غضبه، لذلك خشيت كثيراً منه على حنان.

وصل إلى منزله قبل أن أصل بلحظات، وقبل أن أترجل من السيارة أمرت «العم محمد» أن يذهب ولا يعود إلا في الصباح ليقلني من المشفى إلى المنزل، ثم ركضت مسرعة إلى الأعلى كي أمنع هذا الثور من ارتكاب جريمة ما.

على الرغم من رهبتي في الفترة الماضية من استقلال المصاعد خوفاً من أي مفاجئة قد يتركها هذا المبتز اللعين لي بداخله، إلا أنني تحاملت على ذاتي واستخدمته لأصعد مسرعة إلى الأعلى؛ لكي انقذ «حنان» من براثن «زين» الغاضب.

وأخيراً لحقت به كان على وشك أن يدلف إلى الشقة، فصحت به قائلة:

_ انتظر أرجوك.

__ «زين» ماذا يحدث لك كيف ترفع يدك عليها هكذا!

دفع «سارة» بعيداً بحدة ثم صاح بها:

__ سأرفع يدي عليها و عليك إن تطلب الأمر، من الواضح أنني داللتكما كثيراً.

ثم صوب أنظاره الغاضبة نحو «حنان» التي كانت تبكي بصمت، كأنها تعلم أنها مخطئة ولا تستطيع الدفاع عن نفسها :

__ وأنت هيا أخبريني كيف تقومين بإنشاء علاقة مع صديقي، أخبريني يا ابنة «صالح أبو نجم» كيف لك أن تُحني رأس أخيك هكذا؟

صمتت «سارة» ولم تعد تدافع عن شقيقتها فتطلع بهم «زين» بصدمة وكأنه أدرك أنها كانت على علم بالأمر منذ البداية، اختنق وجهه بالدماء ثم دفع «حنان» بعيداً عنه وهدر قائلاً:

__ أنتِ أيضاً كنتِ على علم بالأمر، هل أعمل بجهد وكد السنوات الماضية، هل عادت الجميع، وعائلتنا بأكملها من أجلكم، لكي آتي بكما إلى هنا، كي تنشئا علاقات مع أصدقائي، وأنتِ أيها الطيبية على من وضعت عينك أنتِ الأخرى؟

طأطأت «سارة» رأسها بينما وارت «حنان» وجهها خلف يديها وهي تنتحب دون أن يفها بشيء فقالت :

__ أرجوك لنتحدث معهما بهدوء.

حجج بي بغضب فقال بعد أن اغرورقت عينيه بالدموع:

__ لا شأن لك بالأمر هيا عودي إلى منزلك، أو إلى أخيك.

كنت لا أستطيع تركه بهذه الحالة والذهاب، لقد تملك الغضب منه ؛ فقلت:

__ لا أستطيع الذهاب وترككم بهذا الحال.

زفر بضيق ثم تهاوى جسده على أقرب مقعد إليه، شعرت أنه فقد قواه ولم تعد قدمه تحمله، عانقت «سارة» جسد أختها و قبلت رأسها بحنو وهي تذرف دموعها، بينما حاوط «زين» رأسه بكفي يده وهو مطأطأ رأسه إلى الأسفل، جلست بجانبه و توسلت إليه كي يفكر بعقلانية، لم ينبس ببنت شفة لبعض الوقت، فدفعته للتروي أكثر وقلت:

__ أعلم أنك كنت تعشق خطيبتك السابقة عشق جنون، من يعشق لا يقف ضد العشق مطلقاً، لا تحارب شيء أنت تؤمن به، لا تستبيح العشق لك وتحرمه على غيرك.

__ نظر لي شزراً ثم قال بصوت خفيض يتخلله الأسى :

__ أنا عشقت فدخلت البيوت من أبوابها، ما لا أرضاه على أختي لا أرضاه على غيرها.

وأخيراً فك لجام لسان «حنان» وقالت بصوت مرتجف باكي يحمل الكثير من الآلام:

__ لقد حاول "معاذ" كثيراً أن يتقدم لطربي لكن مشاكل عائلتنا كانت

تمنعه دوماً، حتى أنه كان سيحدثك ليلة الحادث وعندما أجبر على

أذيتك ليلتها جاء إلى هنا لكي.....

نهض «زين» متوجها إليها ورفع يده مرة أخرى قاصداً صفعها، لكن دوى صدى اسمه بالمنزل عندما صاحت به والدته، فالتفت الجميع نحوها وهي تتجه صوبنا بكرسيها المتحرك فتابعت:

__ جاء إلى هنا وأخبرني بالأمر بأكمله، حتى أنه اعترف بما فعله بك، وعلاقته «بحنان» اعتذر آلاف المرات عن غدره بك فيما يخص الحادث، لكنه رفض أن يعتذر عن عشقه لها وقال أن نيته كانت خيراً منذ البداية، ولو جاء أحدهم وقال لي إما تقومين بزوج ابنك الوحيد فلذة كبذك خلف القضبان، على أن يمس أحدهم شرف ابنتك لقدمتك بيدي إلى السجن، إنه الشرف يا «زين» حتى وإن اخطأنا بعلاقتهم لكن «معاذ» فعل الشيء الصحيح بحماية أختك لم يكن أمامه خياراً آخر.

اتسعت حدقتا عيني بعد أن فوجئت بمعرفة الجميع بالحقيقة التي يسعى «زين» خلفها منذ مغادرته السجن، وعلى الرغم أن كل حرف تفوهت به والدته صحيح إلا أنني شعرت بالأسى حياله، ساد الصمت للحظات قبل أن يقطعه «زين»:

__ إذن الجميع يعلم بالقذارة التي قامت بها أختي المصون، حتى أنك أن خفيتن الأمر عن رجل المنزل، وتعاملتن معي كأني طفل صغير، ولم تكفين بهذا بل كنتن تعلمن سر خيانتة لي، ووقفتن تشاهدوني وأنا أبحث طوال الوقت عنه.

سكت للحظة فتابع:

__ إن كان وجودي لا يفرق إلى هذا الحد إذاً من اليوم أنتن

أحرار، ليفعل كل منا ما يحلو له.

توجه نحو الباب وسط صدمة الجميع و التفت نحوي وقال:

_إن كان سائقك بالأسفل هيا لا تضيعين وقتك.

قلت:

_رحل عندما أوصلني.

_إذن تعالي كي أقم بإيصالك، لا أتحمل كارثة أخرى في آخر الليل.

توجهت نحو شقيقتيه وودعتهن، وطبعت قبلة على جبين أمه وقلت «لا تقلقي سأحدث معه ثارت ثائرتة فقط من الصدمة، لكنه سيتفهم الوضع أكيد» وركضت خلفه وجدته يجلس على الدرج مطأطأ الرأس فقلت:

_ألن نذهب؟

أجابني وهو مازال على وضعيته:

_متى سينتهي هذا الكابوس؟

جلست بجانبه وقلت:

_مؤكد سينتهي يوماً، المهم أن نبقى على حالتنا ولا نتغير، لا تجعل تلك الأحداث تبدلك إلى شخص لا يشبهك.

تحدث بمرارة قائلاً:

_ الجميع قام بخيانتني.

_ من أجل الحفاظ على شرف و حياة أختك.

زفر بضيق ففرت دمعة من عينه، فأزالها على الفور و قال:

_ عديمة الأخلاق .

_ لا تظلمها "زين" ليس على العشق سلطان وأنت تعلم هذا.

تنهد بضيق فقال:

_ "أسوة" لا تجعليني، أجن كيف لك أن تقنعي رجل بعشق شقيقته
لصديقه!

اتسعت حدقتاه بارتباك، ففهمت سبب صدمته ،وهو تحدثنا
لبعضنا البعض بأسمائنا المجردة دون ألقاب فأردت التخفيف عنه
وقلت مازحة، بعد أن لكزت كتفه برفق :

_ لا عليك يا صديقي أنا أيضا أحادثك "زين" بدلاً من أستاذ
"زين"، من تبقى به عقل بعد ما حدث، لنبسط الأمور حتى لا
نشعر بالضيق.

ارتسمت ابتسامة صغيرة على محياه، فتطلع بي بطريقة لم
أعتدها منه من قبل، وقال:

_ ماذا أتى بك إلى حياتي يا فتاة !

أجبتة وأنا أبادله الابتسامة.

__ أرسلني إليك المبتز اللعين.

نهض على حين غفلة مني، وقال وهو يمد يده لي:

__ إذن توجب علي شكره لوجودك بحياتي.

ارتجفت أوصالي وشعرت أن قلبي سيخرج من موضعه على إثر كلماته، وتصريحه المباشر لي أنه سعيد بتواجدي في حياته، و نظرت إلى يده الممدودة لي بتعجب، فقال:

__ هيا لنذهب تأخر الوقت.

نهضت ومازحته قائلة:

__ سيذبحني "أمير" إن ذهبت إليه بوقت متأخر.

رحلت رففته إلى المشفى بعد أن تأكدت أنه أصبح بحال أفضل ووعدني أنه سيعود إلى المنزل على الفور، قام بتوصيلي ثم استأذن بالرحيل بعد أن عاهدني أن لا يسيء إلى «حنان» قط ، كان لدي الكثير لأثرثر لـ«أمير» به عن «زين» وعلاقته بصديقه، وإخفاء عائلته عنه الأمر، شكيت له مخاوفي من المبتز، و رجوته أن يستيقظ كي يقف بجانبني في تلك المحنة، تذكرت طريقة «زين» الجديدة في تعامله معي ونظراته وخفقان قلبي فور رؤيته، أو ذكر اسمه، التي توحى بشيء جديد ينبت بداخلنا، انهمرت العبرات على وجنتي وقلت:

__ "أمير" أحتاجك بجانبني هناك حدس بداخلي يخبرني أن أبي لن

يسمح بشيء كهذا يحدث بيننا، ولا بد وأن تستيقظ يا أخي، إن كنت

تسمعني وتتفاعل معي لما ترفض العودة الى الحياة؟ أهنالك ما يغضبك، هل تخاف من أمر ما؟ هيا أجبني لا تتركني أنا بحاجتك.

جلست بجانبه لبعض الوقت أرثوا إليه حالي، وتذكرت فجأة أمر الملف فأرسلت إلى «زين» رسالة نصية أسأله عنه، فرد علي برسالة أخرى يطمئنني أنه معه وطلب مني أن ألتقي به في الصباح الباكر في أحد الأماكن العامة لأمر هام.

علمت أن الأمر هام وما بداخل المظروف معلومات بغاية الخطورة؛ لذلك قررت أن أغفو حتى أستيقظ نشيطة، لكن دلف أبي إلى الغرفة فجأة، ووجهه يوحى بكارثة حدثت نهضت فزعة وقلت:

__ أبي ماذا هناك، هل أمي بخير هل حدث شيء ما؟

أكفهر وجهه وظهر الغضب عليه وهو قليل الغضب والعصبية، في حالته العادية إنه يتسم بالهدوء والتحرك بعقلانية، قبض على ذراعي بقوة فتألمت، رجوته بنظراتي أن يكف عن ذلك، فقال بنبرة غاضبة:

__ ألم أخبرك أن تتبعدين عم هذا الصحفي، متى تعلمت الكذب يا أسوة؟.

صدمت من طريقته في التعامل معي، فأبى لم يرفع يده علي يوماً أو عاملني بحدة، انسابت دمعاتي على وجهي، وهممت قائلة:

__ لم أكذب عليك وقتها لم أكن أتحدث معه حقاً.

__ إذا ماذا أتى به إلى هنا؟ ولماذا ذهبت إلى منزله بهذا الوقت، أو بالأحرى لما ما زلتى تلتقي به الى الآن؟

أغمضت عيني كأنى أبحث عن مبرر لمجيئه إلى هنا فتهربت قائلة:

__ أتراقبني يا أبي !

__ لا أفعل مطلقاً "العم محمد" من أخبرني، إن لم أثق بك سأمنعك من مغادرة المنزل ومداومة عملك، وها أنا جئت إليك أسألك ماذا يدور بينكم يا "أسوة" ؟

فهمت أنه علم بمقابلتي أنا و«زين» ب«معاذ» لذلك كان هذا اللقاء طوق نجاة وحجتي للفرار من شكوكه فقلت:

__ لا شيء بيننا صديقه هو الشاهد بالقضية حاولت معرفة لما شهد زوراً بالنيابة، وقال أن "زين" كان معه فدبرت بينهم هذا اللقاء.

اتسعت حدقتيه فقال:

__ وهل علمت سبب تلك الشهادة؟

__ لا لم نعلم أي شيء، أنكر لكن "زين" سيحاول معه مرة أخرى .

نظر أبي إلى الأسفل كأنه يستجمع قواه ثم قال:

__ "أسوة" اخوك كما تري يرقد منذ أشهر نتيجة اعتداء لم نصل

إلى مرتكبه بعد، نحن أضعف من أن نعادي هؤلاء المجرمين،
ابتعدي عنهم يا صغيرتي، لن أتحمل خسارتك أنتِ الأخرى.

عانفته بعد أن فرت الدموع من عينيه وهو يتحدث، وقلت:

_ لا تقلق يا أبي لن يحدث لي شيء، إن كنت تريد أن أبتعد عنهم
سأفعل يكفي أن لا تحزن .

كفكت دمعاته من على وجهه، ثم قبلت وجنتيه بحب، وقلت وأنا
أتأبط ذراعه:

_ حتى أني سأعود معك إلى المنزل، ليحترق الجميع ما شأننا
بهم.

نظر إلي وفهمت أنه لم يقتنع بكلماتي، لكن اتخذت قراراً لن
أتحرك علناً بعد اليوم ولن ألتقي «زين» في الأماكن العامة
حتى لا يقلق أبي، وسأعمل على بث الطمأنينة بداخل روحه مرة
أخرى، لن أحمله فوق طاقته يكفيه قلقه المستمر على «أمير» .

غيرت خطتي لهذه الليلة ورحلت مع أبي إلى المنزل كي يطمئن
علي، على الرغم أن نظراته كانت لا توحى بأي طمأنينة.

اتصل بي «زين» صباحاً ولم أجيبه لوجود أبي بجانبني،
فراسلني على أحد تطبيقات التواصل الاجتماعي ليطلب مني أن
أسرع حيث أنه اكتشف أن ما بالملف في غاية الخطورة، فأرسلت
إليه رسالة نصية أخبره بها بما حدث بيني أنا وأبي، وأناي لن
أستطيع الالتقاء به هو أو «خالد» و إلا اكتشف أبي الأمر.

أرسل لي رسالة أخرى يخبرني بها أن لا أقلق سيتدبر أمر لقاءاتنا وطلب مني أن أنتظر منه رسالة.

مر يومان على آخر حديث بيننا أعمل بهم نهاراً وأعود الى المنزل ليلاً وفي ساعات العمل باليوم الثالث فوجئت به يتصل على الهاتف المحمول، يخبرني أن أخرج إلى خارج المكتب، تعجبت بالبداية لكن امتثلت إلى طلبه والتقطت هاتفي وحقيبتني فخرجت المكتب بهدوء، و أنا مازلت أضع الهاتف المحمول على أذني، فوجدته يقول اصعدي الدرج إلى الطابق العلوي بسرعة قبل أن يلمحك أحد، ففعلت وصعدت الى الطابق الذي يعلو طابق مكتب خالي، و إذا به يطلب مني أن أدخل الى أول شقة على يمين الدرج وكان بابها مفتوحاً، رفضت بالبداية وقلت «زين هل جئنت ماذا سأفعل بالداخل» ؟ فجاءني صوت «خالد» يقول «هيا لا تضيعين الوقت ادخلي قبل أن يراك أحد» وتابع زين « لن أكلك أيتها المحامية هيا»

توجهت نحو الباب بصدمة ثم مررت إلى الداخل فانغلق الباب من خلفي التفت لأجد «خالد» يمد يده مازحاً ويقول :

_ أهلا بك بمقر اجتماعاتنا يا شريكتي.

تحدث « زين » وقال :

_أصمت أنت هي شريكتي أنا، محاميتي العزيزة أهلا بك بمعسكرنا السري

الفصل السابع عشر

محرك الدمى

وأخيراً تمكنت من معاصرة لقاء حصري بين العقرب وذراعه الأيمن هشام لقاء انتظرتة كثيراً فالعقرب توخى الحذر طوال الفترة الماضية ولم يظهر على العلن، أو رفقة هشام فقد تمسك بحلته الشريفة، كونه رجل من أشرف البلاد أما العقرب كبير المافيا توارى عن الأنظار واللقاء كان بمكتب العقرب على غير العادة.

كان هشام يجلس قبالة سيده بمكتبه بينما صديقتي الصغيرة الموضوعة بركن ما بالغرفة ترصد لي كل ما يدور بينهم، كنت أتابعهم عبر شاشة جهازي اللوحي، و وكان العقرب يجلس بثقة مسنداً رأسه على ظهر المقعد واضعاً رجل فوق الأخرى، يتطلع نحو هشام وهو يخترق أعماق عينيه بنظراته، كأنه يحثه على التحدث، وبعد أن جمع هشام الهواء بداخل صدره زفره بضيق و قال:

__ سيدي لا تقلق إنهاء حياة معاذ أمر لا بد منه ولا يوجد طريقة للتخلص من زين أبو نجم أفضل من زجه بالسجن بتهمة قتل صديقه، الذي علم بعلاقته المحرمة بشقيقته.

__ لا أريد جذب الأعين إلينا يكفي انفلات أمر قضية هند الشهراوي من بين أيدينا.

__ لم يكن خطئي اقسم لك يا سيدي، لكن لا تقلق سأتوخي الحذر هذه المرة كما أن هناك حلقة مفقودة من خلالها تم الضغط على الحارس لتغيير شهادته، وتبديل تقرير الطب الشرعي .

__ هذا ما ستعمل الفترة القادمة على كشفه، بجانب أمر التخلص من الصحفيين، لكن أخبرني ماذا عن خالد الشهراوي ؟

__ لم يعد يظهر في الساحة منذ فترة .

دار العقرب بالمقعد في علامة منه أن اللقاء قد انتهى إلى هذا الحد، قال وهو يوليه ظهره بعدم اهتمام:

__ حسناً يا هشام أمر إنهاء الصحفيان لك، لكن كن حذرا الأعمال متوقفة ، وهذا لا يرضي الكبار أبداً .

أوما هشام برأسه إيجابا في احترام بالغ على الرغم من تقليل سيده من شأنه وقال:

__ أنا في خدمتك سيدي قريبا ستسمع أخبار جيدة.

كنت قد أقسمت سابقاً أن الجميع سينال عقابه، وأقلهم ذنباً هو من سيرحل عن الحياة باكرا وإن نظرنا إلى جميع عرائس الماريونيت خاصتي فإن معاذ هو أقلهم ذنباً، وهذا هو الميعاد المناسب لتلقيه عقابه، فتوجب علي التركيز بدرجة بالغة حتى أتأكد من نيّله العقاب الذي يستحقه، ومساعدة زين كي لا

يسقط في مكيدة العقرب فمازالت بحاجة لبعض الوقت، حتى وإن كان سيلقى نفس مصير معاذ و هند.

كان من السهل علي معرفة مخطط زين و خالد بشأن لقاءاتهم بأسوة عن طريق أصدقائي المتلصصين صغار الحجم المتواجدين بمنازل، وأماكن عمل، وهواتف، وسيارات الجميع، لقد قلت لكم سابقاً جميعنا متواجدين بسفينة وأنا ربانها، وكى أقود السفينة جيداً كان لابد أن أكون على علم بما يدور بين ركابها، وهذه الأجهزة تمكنني من العيش مع الجميع ومعرفة أدق تفاصيل حياتهم.

بعد جدال زين وأسرته بشأن علاقة معاذ وحنان عاد إلى المنزل فور توصيله أسوة اتخذ جانباً، وقرر معاقبة الجميع بعدم التحدث معهم، وتجاهلهم، وراح يقرأ الملف الذي أرسلته له، فوجئ بكم هائل من المعلومات بداخله، فقد كانت تلك المعلومات هي بداية حربي العلنية على العقرب عن طريقه.

كان الملف يحتوى على صور لأطفال وهم يدخلون إلى غرفة العمليات أصحابهم ويخرجون منها جثث أجسادهم خالية من الأعضاء، وتسجيلات هاتفية بين موردي هؤلاء الأطفال وهشام كان صوته بالتسجيلات مبهم بحيث يستطيع المستمع تفسير الكلمات دون أن يميز صاحب الصوت، وصور أخرى لخاصة في الأطفال الذين يتعامل معهم بطريقة مباشرة، أثناء توريدهم للأطفال قبل أن يتم تفريغ أجسادهم بوحشية، حتى أنني أرسلت صور لحارس البناية الشاهد بالقضية والطبيب الشرعي وهم على طاولة العمليات ويقوم أحدهم باستئصال أعضاءهم، ومرفق

بكل هذا خطابان أحدهم طلبت من زين أن ينشره على العلن
والآخر كان أوامر أمليها عليه هو وفريقه.

هذا ما قام زين بتوضيحه لـ أسوة وهي تقف غير مصدقة كل هذا
الكم من الحقائق، ولم تتحمل بشاعة الصور فقامت بالبكاء فتمرد
عليها قولونها العصبي أكثر من مرة ، فشعرت بالآلام حادة به
،آه يا عزيزتي صاحبة القلب المرهف، كم أنت كثيرة البكاء دون
داع، قام زين البطل المغوار بتهديتها كما هي عادته في الآونة
الأخيرة وطلب من خالد أن يقرأ عليهما الخطابين وفعل وكان
نص الخطاب الأول:

مرحبا أصدقائي دماي الصغار أو كما أطلق عليكم أنا عرائس
الماريونيت خاصتي، هل أعجبكم لقبكم الجديد أم ماذا؟ على
الأقل عرائس الماريونيت حكايتهم تكون كذبة قام المؤلف بتأليفها
والجميع يعلم هذا، أما أنتم كل منكم لديه سر يخفيه عن الآخرين،
وحياتكم مجرد كذبة ولا تعترفون بهذا، دعونا من أمر انكشاف
حقيقتكم و الايقاع بينكم، مؤكد هذا سيحدث يوماً ما لكن لنركز
الآن في عملنا، الملف الذي أرسلته إليكم موثق بالتسجيلات
الصوتية والصور، وذكرت بعض أسماء خاطفي الاطفال بالأدلة
التي تدينهم، كل ما عليكم فعله هو التالي، زين سيذهب بالصور
والملف والخطاب الآخر إلى حبيبة القلب تغريد فاضل وهي
ستقوم بنشره على مسئوليته، بينما خالد ستتكلف بأمر البحث عن
هؤلاء الخاطفون وتقدمهم إلى العدالة، وصغیرتي كثيرة البكاء
ستتولى أمر الدفاع عن الجريدة عامة وزين خاصة إن قام أحدهم
برفع دعوى ما ضده، بالمناسبة سيكون هذا مكان لقاءاتنا

التي سأرتبها أنا ،وأذكركم من سيخل بالاتفاق سيخسر أغلى نقطة ضعف له، بالمناسبة يا زين مبارك عليك نقطة ضعفك الجديدة سأضغط عليك بها، هيا اعملوا بجد.

نظر الجميع في صدمة غير مصدقين ما قرأوه للتو، فنهضت أسوة وبدا عليها الخوف والقلق وهي تقول:

__ اللعنة نحن بقبضة مختل عقلياً كيف له أن يطلب منا هذا؟ أنا لا أستطيع الدفاع عنك والدي لن يسمح، ولن أسمح لك أن تلقي بروحك في التهلكة، لن تقوم بنشر هذه الصور والملفات على العلن.

قال زين وهو يلتفت حوله بدون وعي:

__ كيف له أن يعلم كل هذا؟ كيف التقط الصور؟ المعتوه يأمرني بالعودة إلى العمل، لا أصدق أنه وصل إلى تغريد هي الأخرى وحاول ابتزازها

قالت أسوة دون تفكير:

__ ولما أنت قلق بشأنها هكذا؟ جميعنا في قبضته منذ وقت، لما تتعجب لوصله إليها!

تطلع بها بحيرة وقال:

__ لأنها بالحقارة التي تمنعها من مساعدتنا، لا أتخيل كيف أقنعها بالأمر!

مال خالد نحو زين غير مكترث للوضع السيء الذي

وضعتهم به، وهمهم قائلاً:

_ أعتقد أن أسوة هي نقطة ضعفك الجديدة.

كتم زين ضحكته وقال:

_ اصمت الآن نحن حقاً بمأزق.

ارتفعت نبرة صوته وتابع:

_ يطلق على نفسه محرك الدمى.

قالت أسوة:

_ ونحن عرائس الماريونيت خاصته إنه لأمر جنوني، هذا المعتوه على علم بكل أحاديثنا وتحركاتنا، ويستهزأ بنا كأنا دمي .

شرد زين لبرهة في الفراغ أمامه وتطلع بهم بحيرة وقال:

_ لابد وأن نعلم ما علاقتنا جميعاً بالأمر، بنظري هناك علاقة تربطنا ببعضنا البعض، هناك حلقة وصل بيني وبينكم وبين هذا "محرك الدمى وهند رحمة الله عليها.

أكملت أسوة ما يفكر به وقالت:

_ برأيي كما قلت سابقاً أراد أحدهم التخلص منك أنت وهند أو أراد الانتقام من والدهما فدبر ما حدث ليلة الحادث ليتخلص من الجميع.

نهض خالد وبدأ يدور حول نفسه وهو يضع يديه في جيب

سرواله ويفكر فقال:

_لو كان يريد الانتقام من أبي لفعل شيء آخر غير قتل هند، برأي موتها هو السبب بكل هذا الأمر، الأكيد أنه كان أمر واقع، ولكي يتخلصون من الجريمة قاموا بتدبير أمر المكيدة، بدليل وفاتها قبل سقوطها من الأعلى بساعات، تفسير كل ما نمر به كان عن طريق من كان بداخل أحشاء ”هند“ .

تنهد بأسى ثم نظر إلى الأسفل ولم يستطع التطلع بهم ففي مجتمعنا هذا، أن تحمل الفتاة سفاكاً هو عار يلتصق بعائلتها طوال العمر، وحمل هند و ملابسات مقتلها تم تداوله على العلن، مما جعل خالد يشعر بالخجل، حاول زين تدارك الموقف فنهض ووقف بجانبه ثم قال وهو يربت على كتفه:

_تقول أن لمحرك الدمى علاقة بهند ؟

_لا للعقرب علاقة وطيدة بها هي وجنينها ومحرك الدمى ليس إلا عدو للعقرب ويتخذ قضية هند سبيل لتدميره وهو على الحق، نحن لسنا سوى عرائس ماريونيت يقوم بتحريكهم كما يحلو له، وكما يتناسب مع خطته للقضاء على العقرب.

تابعت أسوة حديثه وكأنهم بدءوا في حلقة تفكير جماعية وقالت:

_والدليل أنه من الوهلة الأولي على يقين من براءة زين ويعلم أنه ليس القاتل الحقيقي، وكل ما يسعى إليه هو تدمير العقرب فقط والعلاقة الوحيدة التي تربطك ب زين هي حادثة مقتل

هند وإن فكرنا فإن زين كان يشن حملة ضد خاطفي الأطفال ومن خلال الملف الذي أرسله محرك الدمى اتضح أن العقرب هو الأيدي الخفية في خطف الاطفال ويستغلهم في تجارة الاعضاء.

تابع خالد:

_وعلى هذا نفهم أن العقرب له يد بمقتل هند بطريقة أو بأخرى أو أنه القاتل، و أراد التخلص من زين فقام بترتيب الجريمة لتظهر على أن زين قام بقتلها.

قال زين:

_برأي هكذا توصلنا إلى حقيقة ما وقع ليلة الحادث، وإن أردنا كشف الحقيقة والوصول إلى لغز مقتل هند لابد وأن ننصاع لرغبات محرك الدمى وننفذ ما يمليه علينا فهو لا يريد شيء سوى تدمير العقرب.

نهضت أسوة وبدأت تدور حولهم كما يفعل خالد وقالت وهي تحك أسفل ذقنها:

_العقرب ليس إلا لقب يخفي القاتل الحقيقي ذاته خلفه، لكن ما يجعلني أشعر بالحيرة حقاً، ما علاقتي أنا بكل هذا الأمر.

لم يجد أي منهم تفسير لوجود أسوة داخل لعبتي، لكن وكعاداته الشرطي المجتهد والمتميز بعمله فاجئني وقال:

_قمت بالتحري عنك وعلمت أن أخيك تعرض لمحاولة قتل منذ

ما يقارب العام ولم تتوصل الشرطة للجناة بعد، مؤكد للعقرب صلة قوية بمحاولة الاعتداء تلك.

بمجرد أن نطق خالد بسيرة شقيقها حتى اغرورقت عينيها بالعبرات، وتجهم وجهها وقالت:

_ كان أخي صالحا ولم يكن له أي أعداء.

قال خالد وهي يعبث بالملف :

_ هذا ما سأحاول التحري عنه الفترة القادمة.

قلت سابقاً أكثر من أخشاه بين دماي هو ذلك الشرطي أنه ذكي جداً، و بجدال بسيط بينه وبين هؤلاء الأغبياء قد توصل لما يقارب السبعون بالمائة من الحقيقة كاملة، وأخشى أنه يسعى أكثر فيعرقل طريقي لذلك قررت أن أبعثر الأجواء قليلاً بالفترة القادمة وأجعل الدفة تتجه نحو مهران الشهاوي.

بدأ زين بقراءة الخطاب الثاني والذي كان عبارة عن رسالة مني إلى جمهوري الحبيب وكان محتواه (قرائي الأعزاء أعرفكم بنفسي أنا محرك الدمى الذي أقسم على نشر الحقيقة وتقديم المذنبين إلى العدالة بالأدلة، وهذه هي أولي حلقات تحقيقي الصحفي الذي عزمت على كشف جرائم العقرب من خلاله، وكل ما أعرضه عليكم هو حقيقي بالأدلة والصور، انتظروني في حلقتي الثانية بوقت لاحق بضحايا وقتلة جدد، تحية مني إلى العقرب، نهايتك على يدي يا سارق أعضاء أطفالنا).

دار بينهم حديث طويل و اتفاقات عدة تخللها نظرات متوعدة

من أسوة إلى زين لكن بالأخير اتفقوا على تنفيذ كل ما أُمليتهم عليه.

عاد زين إلى العمل بالجريدة بفضل تهديدي الصريح لـ تغريد ووالدها بكشف قذارتهم المخفية على العلن، كما أفعّل بالعقرب، تم الموافقة على دمج التحقيقات الصحفية التي قام بها زين قبل مقتل هند عن خاطفي الأطفال بالتحقيقات التي يقوم بها ضد العقرب .

في البداية لاحظت غضب أسوة من عودته إلى العمل وبدأت تتذمر كثيراً من قضائه ساعات طويلة بالجريدة ،لكنها لم تجد مبرراً لهذا الغضب فأخفته بداخلها فلا هي حبيبته أو زوجته أو أحد أفراد أسرته، أما عن زين كان ينفذ أوامري وهو يعلم جيداً قدرتي على تنفيذ تهديداتي، حاولت تغريد مراراً التقرب منه وجاهدت لتعود العلاقات بينهما إلى عهدهما السابق لكن قوبلت برفض تام منه، وأصيبت بالخيبة عندما أخبرها ذات يوم أنه سيتقدم لخطبة إحدى الفتيات ما إن تنتهي الحملة التي يشنها ضد العقرب.

حان اليوم المنتظر وقام زين بنشر المعلومات والصور مرفقة بالأدلة التي تدين خاطفي الاطفال، وبدأ تحقيق موسع فيما تم ذكره، كان من ضمن الأعضاء القائمين على التحقيق خالد الشهاوي.

وكانت أولى نتائج هذا التحقيق هو تغير في خطة التخلص من زين ومعاذ حيث علمت بأخر ساعة قبل التنفيذ أنهم

سيخلصون منهما معاً، وكان من السهل علي معرفة ما سيقومون به من خلال أجهزة التسجيل المزروعة بهاتف هشام.

طلبت حنان من معاذ أن يحاول التصالح مع شقيقها وتحسين العلاقة بينهم لعله يسامحها بعد القطيعة التي دامت لعشرة أيام كاملة، وبالفعل قام معاذ برجاء زين لكي يتحدثون سوياً واتفقا أن يلتقيا بعد انتهاء الدوام، ولكي أمنع زين من لقاءه، قررت مراسلته بطريقتي المعتادة وهي وضع رسالة في مصعد تختفي فور قراءتها، لكن من حظي العسر لم يستقل المصعد بالهبوط ولكن استخدم الدرج نتيجة لتواجد تغريد بالمصعد أعتقد كان يتحاشى التواجد معها خوفاً من زرع الأمل بداخلها .

غضبت بشدة عندما لم تتم أموري كما اخطط لها، وأيقنت أن هناك كارثة على وشك الحدوث، فركضت مسرعاً نحو الأسفل لكي أتتبعه و أعلم الى أين سيذهب لكن وفور خروجه من المبنى هتفت تغريد باسمه فعلمت أنها لم تلاحظ وجود الرسالة التي أخذتها من المصعد فور خروجها منه، ذهب إليها مجبراً ووقف يتحدث معها لبعض الوقت، فوجدت معاذ هو الآخر يخرج من المبنى دعوت ربي بداخلي أن لا يموت زين قبل أن تتم خطتي، افترق ثلاثتهم بعد أن تحدثا الصحفيان لدقيقة على الأغلب اتفقا على مكان اللقاء، وعلى حين غفلة من الجميع وجدت تغريد تهدر بصوت عالٍ باسم زين وهي تركض نحوه، فتلفت حولي أبحت عن سبب صياحها، وفوجئت بأحدهم يتخذ أعلى إحدى البنايات سكن له، وهو يصوب سلاحه نحو زين وفي خلال ثوان كان هناك وابل من الأعيرة النارية تسقط فوق

رؤوس الجميع، والدماء تغرق المكان.

الفصل الثامن عشر

****أسوة****

كنت بعيدة كل البعد عن تلك الأحداث، وكنت أعيش بأمان طوال حياتي، استمتع بأوقاتي التي أقضيها بسعادة رفقة «أمير» أثناء انشغال والدينا بعملهم بالمشافي، حتى بعد أن كبرنا ووصلنا إلى مرحلة الشباب، كنا مازلنا نحظى بالمرح بداخل أنفسنا، وظللنا متمسكين بطفولتنا بداخلنا، نمرح وقت المرح، نبكي متى غضبنا، حتى أننا كنا نركض بالشوارع تحت المطر ما إن سنحت لنا الفرصة، وإن اختفينا عن الأنظار كانوا يبحثون عنا بالقرب من حوض السباحة فيجدونا نسبح بداخله ونترشق بالمياه وصوت ضحكاتنا يغلف المكان، كنا نتفق كفريق ضد أبي إن تطلب الأمر ذلك، كالذهاب إلى رحلة خارج البلاد أو المبيت عند خالي أو توسلنا إلى أمي كي نستضيف رحمة لتبقى بمنزلنا، أو سيارة جديدة يحلم أي منا باقتنائها، وكان أجمل ما في الأمر هو وجود «رحمة» معنا دائماً، «رحمة» تلك الفتاة الشقية صاحبة الروح المرحية والقلب الذي لم يدق يوماً إلا بحب «أمير» نعم «رحمة» هي حبيبة أخي منذ كنا أطفال، ومازالت فإن أردت تحسين مزاجه أثناء غفوته الطويلة تلك أتحدث عن رحمة، وأذكره بمواقفنا المرحية في طفولتنا، فتظهر الراحة على محياه، ويتغير معدل

نبض قلبه، والذي تعلمت قراءته على شاشة جهاز قياس نبض القلب المتصل بجسده ، حتى وإن كانت تدعي الاستسلام للقدر وتؤمن أن «أمير» ليس إلا قلب ينبض وسيتوقف عن العمل في يوم ما ويرحل عنا، إلا أنني كنت متأكدة أنها تدعي كل يوم أن يخيب ربي ظننها، و يستيقظ وتحقق حلمها في الاجتماع به .

دلفت «رحمة» إلى غرفة مكتبي مكفهرة الوجه مقتضبة الملامح، أقلت هاتفها بلا مبالاة على مكتبي الخشبي، فجلست بعد أن زفرت بضيق ولم تنبس ببنت شفة، فعلمت أن الأمر جدي، قلما تغضب «رحمة» إلى هذا الحد ولا يحدث إلا إن كان للأمر علاقة بـ«أمير» حاولت التبسم في وجهها وأنا اعقد ذراعي وأستند بهم على المكتب فقلت:

__ ما بها ابنة خالي البلهاء؟

تطلعت نحوي وفرت دمعة هاربة من عينيها، فرأيت بهما الحزن وقلة الحيلة، ومرارة سرقة حلمها بأن تكون عروسه ذات يوم ، شعرت أن تلك الدمعة تحمل معها صرخة قوية باسم «أمير» دمعة تحمل بطياتها الكثير من الشوق إليه، والخوف من الحياة بعده، دمعة أمتني كأنها نار تكوي القلوب ،قالت بشفاه مرتجفة:

__ إلى متى سيستمر هذا الحال؟

__ أي حال؟

__ متى سيستيقظ "أمير" ؟ لم أعد أتحمل الحياة في غيابه.

شاركتها البكاء أنا الأخرى وقلت:

_ وأنا كذلك، لكن سيعود مهما طالت نومته سيستيقظ.

حاولت تهدئتها بشتى الطرق لكن فشلت لقد تمكن الشوق منها؛ لذلك قررت أن أشاركها همومها لتفضي لي ما بداخلها حتى ترتاح، تحدثنا كثيراً، استرجعنا طفولتنا إلى أن قطع حديثنا صوت هاتفى المحمول ليعلن عن اتصال من حنان، أشرت إلى رحمة بيدي لتصمت، ومررت يدي على شاشته لتبدأ المكالمة فقلت:

_ حنان كيف حالك؟

جاء على مسامعي صوت بكاءها الممتزج بشهقاتها:

_ أسوة.. زين لقد قتلوه هو ومعاذ.

سمعت أيضاً صراخ سارة وهي تردد لم يمت بعد ،لم يمت نهضت فزعة وأنا لا أشعر بشيء، سوى بألم قوي بخافقي، وكأن طير حاد المخالب حط عليه فاعتصره بمخالبه؛ وأحدث بداخله الكثير من الجراح، لم أدرك أي من أحاديثهما أو صراخهما، صرت مغيبة لا أدرك شيء سوى أنني سأخسره قبل أن أعيش معه ما حلمت به وقبل أن أعترف له بمكنونات قلبي، التقط هاتفى وحقيبتى وركضت إلى المشفى التي دلتني حنان على عنوانها أثناء بكاها، كنت أركض ولا أفكر بشيء سوى بنظراتها، وأدعو ربي أن لا يغلق الصقر عينيه أبداً ويبقى بجانبى، بينما كانت رحمة تركض خلفي وهي تبكي معتقدة أن المكالمة كانت بخصوص أمير ولم تكف عن سؤالي عنه وفور وصولنا إلى

أسفل البناية حدثت بها ونهرتها بصراخ وقلت:

_ ليس أمير إنه زين سيفعلها القدر مرة أخرى يا رحمة.

رأيت الارتياح بعينيها وكأنها حمدت ربها أن أمير بخير، زفرت بهدوء وقالت:

_ حمداً لله أنه بخير، ظننت حدث له مكروه .

على الرغم من سعادتها أن أمير بخير إلا أنني غضبت منها جداً، فإن كان هو توأمي وروحي فزين حتى وإن أنكرت هذا يحتل حيز كبير من قلبي، فصرخت بها:

_ أقول لك سأخسره، حاولوا قتله، لن أعيش ألمه هو الآخر لما أقدر يصير أن يختبرني بأحبتني.

تطلعت بي بأسف وكأنها تعتذر عن إظهار مشاعرها إلى هذا الحد، وطلبت أن تقوم بتوصيلي إلى المشفى بسيارتها ووافقت، كنت أدعوا ربي طوال الطريق أن يحفظه من كل سوء، وحين وصلت اكتشفت أن حال الجميع لا يقل سوءاً عن حالي، سارة كانت تبكي وتدعوا ربها أن يحفظه لها بينما نظرات حنان كانت معلقة على باب غرفة العمليات دون أن تفه بشيء، فقط تذرف دموعها بغزارة في صمت، ولما لا والراقدان بالداخل هما حبيبها وشقيقها، وأكثر من يفهمها أنا، كانت هناك سيدة أخرى تجلس على مقربة منهما تبكي بألم، علمت لاحقاً أنها والددة معاذ غابت السيدة أنيسة على الموقف نظراً لإخفاء الفتيات الأمر عنها، خوفاً من تدهور حالتها الصحية إن علمت بالأمر .

شاركتهم أنا ورحمة خوفهم وقلقهم لساعات، كنا نتضرع إلى الله كي يخرجنا من الداخل سالمان، انضم إلينا خالد عندما علم بالأمر وبعده خالي وأصدقائهم، وتحول الوضع بالمشفى لشيء من الهرج والمرج وأصبحت تعج بأفراد الشرطة، الصحفيين ومراسلي القنوات الفضائية، كان خالد يعتقد أن للأمر علاقة بمحرك الدمى والعقرب؛ لذلك قام بتجهيز غرف لنبقى بها جميعاً، وعندما أخبرني أنه يخشى أن يصيبني مكروه؛ امتثلت لطلبه وأفنت الجميع أيضاً بهذا، مرت الساعات ببطء، ثقيلة على قلوب الجميع عامة وقلبي خاصة، الذي اعتصر ألماً عندما انهارت حنان وبدأت تهذي لن يحدث لهما شيء سيخرجان من هذا الباب اللعين، لن أسمح لهما بالذهاب، لن يرحل أي منهما إن لم يعودا معاً سأرحل عن هذه الحياة، لن أقبل إلا بكليهما فسقطت سارة مغشي عليها، لقد كنا فتيات ولا نقوى على فعل شيء لذلك طلبت من خالد أن يتولى أمرها وبالفعل حملها ليضعها على الفراش، وطلب من أحد الأطباء أن يقوم بمعاینتها فأخبرنا أنها تعرضت لانهايار عصبى نتيجة الضغوطات التي مررنا بها، تم حقنها بالمواد المهدئة التي جعلتها تغفو لبعض الوقت، فتمنيت أن يحقنوني بنفس الأدوية ولا أستيقظ إلا بعد أن يخرج زين من غرفة العمليات.

ساعة بعد أخرى إلا أن وصل عدد مكوث زين بغرفة العمليات خمس ساعات، بعدها خرج الجراح وجاء إلينا ليخبرنا بما مزق قلوبنا وهو أن حالة زين حرجة لكن هناك أمل كبير في التعافي، حيث إن مرت الأربع وعشرون ساعة التالية للجراحة على خير سيكون على ما يرام، فلم تصيبه سوى رصاصة واحدة تضرر على إثرها الطحال وقاموا باستئصاله،

وتلك الرصاصة كانت نافذة من جسد معاذ إلى جسده بينما حالة معاذ حرجة والأمل بنجاته يكاد يكون معدوماً، حيث تلقى عدة رصاصات نافذة بظهره أصابت أماكن عدة بجسده والأمل في عودته لوعيه ليست سوى معجزة من رب العالمين .

لم يكن باستطاعتي الفرح بسبب الأمل في نجاة زين بينما هناك قلوب تعتصر ألماً على معاذ تمسكت والدته بالأمل بالله وقررت أن تدعوه لينجي لها ولدها، بينما رفضت حنان فكرة فقدانه وتولت رحمة أمر تهدئتها، رحل خالي تاركاً رحمة معنا حاله كحال أقرباء العائلتان، بينما خرجت أنا وخالد إلى الردهة لنتحدث قليلاً ، وهناك أخبرني أن هذا الأمر هو من فعل العقرب عقاباً على نشر الملفات والصور و هناك خوف كبير أن يكمل الجناة ما بدءوه؛ لذلك تم تعيين حراسة مشددة على غرفة العناية المركزة وتكثيف الحراسة التي كان قد وضعها لنا جميعاً بالخفاء من قبل .

مكثت بالمشفى لعدة ساعات لعلي أسمع ما يطمئنني على زين لكن لم يطرأ أي جديد، زادت حالة الهرج والمرج بالمشفى مرة أخرى لأسمع أحد العاملين يقول:

__ جاء الجراح العظيم

وقبل أن يتم جملة فهمت أن أبي قد وصل فلا يوجد جراح عظيم في البلاد مثله، سقطت في بحر أفكار وتكهناتي ولم أصل لسبب زيارته لكنني رجحت أنه جاء ليصطحبني إلى المنزل، و أخيراً التقت أعيننا وهو يقدم نحوي فشعرت أن الشرر سيتطاير من عيني، متخلياً عن أجمل صفاته وهي الهدوء التام، فور وصوله

إلى قبض على ذراعي أمام الجميع وجذبني إلى أحد الغرف
التابعة لكبير الأطباء ،دفعني إلى الداخل بحدة وهدر بصوت
مرتفع :

__ ماذا تفعلين هنا؟

تألمت من طريقه جذبه لي وصدمت من تعامله معي بهذه الطريقة
التي لم يسبق أنه عاملني بها من قبل؛ فقلت:

__ أبي ما بك لما تجرني هكذا أمام الجميع !

__ حذرتكِ أكثر من مرة ألا تقتربين من هؤلاء المجرمين، لكنكِ
تماديت في كذبكِ وأنا كنت أصدقكِ، إلى أن شاهدت صورتكِ
كالأغراب عبر الصحف الإلكترونية.

غضبت منه فقلت:

__ تتحدث وكأنكِ رأيت صور مهينة لي أو شيء من هذا القبيل، أنا
أتواجد كالجميع هنا.

__ “أسوة” بنيتي هيا بنا لنعد إلى منزلنا.

زاد غضبي من طريقته الأمرة لي؛ فأردت إخباره أنني ناضجة بما
يكفي للحد الذي أستطيع اتخاذ قراراتي بمفردي فقلت:

__ لن أذهب إلى أي مكان وأترك الجميع بهذا الحال .

قبض على ذراعي و نهمني بعنف وقال :

__من “ زين” ومن إخوته ؟و ما علاقته بنا؟ لا تجعليني أفقد

أعصابي لن أخسرك لن أقدمك بيدي للقاتل، هيا بنا.
عدت عدة خطوات إلى الخلف بعد أن انسابت العبرات على وجهي وقلت:

_لن أذهب إلى أي مكان قبل أن أطمئن على الجميع.
حق بي وكأنه غير مصدق جرأتي بالحديث فأشار لي بسبابته محذراً إياي وقال:

_لن أسمح لك بتنفيذ ما يجول بخاطرك، هذا أولاً، وثانياً لن تكوني أنتِ الضحية الثالثة بعد ابنة الشهواني والصحفية.
عقدت حاجبي وقلت مستفهمة:

_ عن أي صحفية تتحدث؟

_في الاعتداء الذي تعرض له الصحفيان كانت هناك صحفية مارة بجانبهم وهي ابنة "إبراهيم فاضل" إن سمعتي عنه قد قتلت.
فغرت فاهي من صدمتي وكأن أحدهم ألقى دلو ماء مثلج على رأسي فقلت:

_ "تغريد!" هل ماتت "تغريد"؟

_نعم وهيا بنا من هنا.

نفضت يده وقلت:

_لست طفلة لن أذهب قبل أن اطمئن على الجميع ولا تقلق بشأني

خالد الشهاوي يقوم بحمايتي لن ألقى مصير الصحفية، كما أنني معتادة على المبيت بغرف المشافي أنسيت! أنا ابقي منذ أشهر بمشفاك، وبسبب اعتداء مجهول المصدر أيضاً.

قلما يعلو صوت أبي وإن حدث كان يكون بسبب خطأ أو إهمال طبي من الأطباء والعاملين بالمشفى، لكن في حياتنا اليومية لم يحدث هذا قط، فأبي كان رب أسرة يتسم بالتفاهم والحنان، لكنه حدث عندما هدر بي وقال:

__ لا تعاندينني يا أسوة وهيا بنا قبل أن أفعل ما يحزنك.

تحليت بالشجاعة وقلت:

هيا يا أبي هذا المشفى ملئ بالموتى والمصابين والمشكلات، وأنت لا تريد أن تقحم نفسك مع هؤلاء المجرمين، فأنت جراح القلب العظيم لكني أريد، واقسم لك لن أذهب قبل أن اطمئن عليهم، اقسم لك بحياة «أمير» لن أفعل.

نظر نحو موضع قدمه وبدأ يحك ذقنه وكأنه يفكر بشيء ما فرفع وجهه وتطلع بي بتوعد فقال:

__ على راحتك، لكن لن أسمح لك بتنفيذ ما تنويه يا ابنه "ناجي العاصي".

رحل أبي ولم أهتم كثيراً بما دار بيننا فكل ما كان يشغل ذهني وقتها هو الاطمئنان على زين وبعدها سأعتذر من أبي، كنت على يقين أنه سيتفهم موقعي؛ فقلبه رحيم للغاية ولا يرضى أن نترك محتاج بلا مساعدة، تعجبت من هذا الشعور الذي تولد

بداخلي حيث كانت لدي رغبة شديدة بالصياح في الجميع و
إخبارهم بما أسره في قلبي.

توسلت إلى موظفي المشفى ورجال الشرطة أن أرى زين ولو
لدقائق فلم يسمحوا لي، فاستخدمت سلطة خالد و اسم والذي
وأخيراً تمكنت من الدخول إليه، غرفته كانت بنفس الرواق
المتواجدة به غرفة معاذ فمررت إليه أولاً ودعوت ربي أن يخيب
ظن الأطباء ويعود إلى والدته وحنان بخير، ووعدته أن يتحسن
كل شيء فور استيقاظه، تركته وتوجهت إلى غرفة زين.

غرفة باهته، بجدران رمادية اللون وأرضية لها نفس لون
الجدران ورائحة أبغضها كثيراً ومعتادة عليها؛ بسبب تواجدي
بجانب أمير أغلب الوقت، أصوات الأجهزة الطبية الموصولة
بجسده كادت تخترق أذني، أصابت القشعريرة جسدي عندما رأيته
يرقد طريح الفراش وجسده بالكامل موصول بالأجهزة، أعين
مغمضة وجسد موصول بجهاز التنفس الصناعي، خراطيم تخرج
من فمه وأنفه، عدة أسلاك لقياس نبضه وضغط دمه متصلة
بصدره، ملاءه ببيضاء اللون تغطي الجزء السفلي من جسده، هيئته
تلك ذكرتني بهيئة أمير فاخترت قلبي و انسابت الدموع من عيني
بغزارة خوفاً أن أعيش معه نفس العذاب، توجهت إليه بخطوات
واهنة ووقفت بجانبه فاقتربت بيدي المرتجفة لأزيل حبات العرق
المتجمعة على جبينه فشعرت برجفة تجتاح جسدي، انحنيت
بجزعي فجلست على ركبتاي ووجهي قريب من وجهه إلى حد

كبير، مررت يدي بحنو على عينيه فأنفه إلى أن وصلت إلى شفاهه، فعادت أناملِي أدراجها إلي عينيه وقلت وأنا أمررها بحذر فوق حاجبه:

_ أخبرتني ذات مرة أنك لن تسمح أن يصيبني مكروه ، من فضلك أوفي بوعدك لي ولا ترحل، تركك لي هو أكبر مكروه من الممكن أن يصيبني يا ”زين“ كرحيل ”أمير“ تماماً إياك أن تفعل هذا، أنا لأشهر أقاتل مخاوفي وأدعو ربي أن يحمي لي أخي و لم يعد لي طاقة لأتحمل فقدان أحد، خاصة أنت يا ”زين“ مازال لدينا الكثير لنعيشه معاً، هناك الكثير والكثير لم أخبرك به، لم أبوح لك بمكنونات قلبي بعد ،سألتني منذ عدة أيام عن سبب اللوعة التي تكتسي بها عيني وتهربت من الإجابة حينها، هيا افتح عينيك لأخبرك أنك سببها، يا نبض قلبي يا أول من هتف خافقي باسمه، هيا افتح عينيك لأصرخ ويدوى صدا صوتي بالأرجاء وأنا أقول أحبك يا « زين » أحبك منذ أن تلاقى نظراتي بنظرات الصقر الحادة فاخترقت قلبي وأصبحت تحتل كياني، انهض طوال حياتي يغدقني أبي بالأموال والهدايا وكل ما أحтаجه لكنه كان منشغل معظم الوقت بعمله هو و أمي وكان «أمير» هو أبي وأمي وأخي وصديقي وكل شيء ومنذ أن أغمض عينيه وأنا وحيدة للغاية، حتى وإن خفف وجود «رحمة» بعض الشيء من أحزاني إلا أن عندما تعرفت عليك تغير كل شيء شعرت أنني جزء منك، أنتمي إليك بصورة أو أخرى»

انهرت باكية أكثر و وضعت يدي فوق يدها و ضغطت عليهم بشدة ثم تابعت :

__ "زين" انهض لا تتركني بين براثن الشيطان لا أستطيع مجابهة
"العقرب" او هذا المختل "محرك الدمى" ، حتى أبي لأول مرة
أتعامل معه هكذا وأقف بوجهه، افتح عينك القلب متهالك ولا
يتحمل المزيد من الدموع على الراقدين بأسرة المشافي، لا
تتركني أرجوك أشعر بالخوف الشديد.

كنت أتحدث وأنا أضع جبيني على طرف الفراش فاقدة كل الأمل
أن يأتيني منه ردة فعل شعرت به يضغط على يدي؛ فرفعت
وجهي وأنا أحرق به بذهول ففوجئت به يحاول تحريك جفنيه
وانفرجت شفتيه بوهن وسمعت صوته يقول:

__ لا تخافي لن أتركك يوماً.

الفصل التاسع عشر

محرك الدمى

هذه هي المرة الأولى التي تسير بها الأمور عكس ما أريد وخالفت نتيجة أفعالي توقعاتي، يبدو أنني لم أحسب ردة فعل «العقرب» جيداً بعد هجوم «زين» عليه، على الرغم أنه بعيد كل البعد عن الشبهات وذكر لقب «العقرب» لن يؤذيه بشيء فما هو إلا ستار يتوارى خلفه، وإن سعى الجميع لكشفه لن يحدث إلا عندما أريد هذا إلا أنه غضب للدرجة التي تجعله يقتل «زين» ولولا صديقه وتحذير «تغريد»، لكان في عداد الموتى حيث كان هو المقصود بالقتل بسبب هجومه على «العقرب» ونشر الملفات بالجريدة، تحرك «معاذ» فور شعوره بالخطر واندفع نحوه فسقطا الاثنان معاً على الأرض، فاعتلاه و طوقه بجسده ليحميه ويتلقى هو الرصاصات جميعها، ولولا الحظ السيئ لكان «زين» بخير، فتلك الرصاصة خرجت من جسد «معاذ» لتستقر بطحال «زين».

طوال الفترة الماضية لم أمارس على «العقرب» أو «هشام» أي من الضغوطات على الرغم أن ذنبيهما الأكبر من بين الجميع، لكن تركتهما على راحتهما لبعض الوقت و انشغلت بالصغار لأنني

أعلم أن معاقبة الدمى الصغيرة هو أكبر عقاب للعقرب ، لكن جاء الوقت للعبث بحياتهما وتحويلها إلى جحيم.

وأول عقاب كان من نصيب العقرب لأنه يعرقل خططي بشكل ملحوظ ومن نواحي عدة، لدي الكثير من وسائل الضغط والتهديد والتدمير أيضاً لجميع الدمى، لذلك أمر ترويضهم كان سهل للغاية .

للعقرب مئات الأدلة التي تدينه لكني اخترت أقلهم وأضعفهم وهو تسجيل صوتي بينه وبين «هشام» يأمره فيه بقتل الطبيب الشرعي، كان من الممكن أن أستخدم التسجيل الخاص بأمره لقتل «زين» و«معاذ» لكن هذا سيكشف معداتي الصغيرة المزروعة بمكتبه ومؤكد سيتم التخلص منها وأنا كنت لا أسمح بهذا مطلقاً.

تركت على مكتبه ظرف يحتوي على كارت ذاكرة به التسجيل الصوتي، مرفق معه رسالة ذات طابع خاص «تختفي فور قراءتها»

وانتظرت بالقرب من جهازي اللوحى المتصل بكاميرات المراقبة وجهاز التسجيل بغرفة التحكم خاصتي لأرى الخوف الظاهر عليه فور قراءته للرسالة التي كان مكتوب بها مرحبا يا صديقي العزيز «العقرب» لأعرفك بنفسى أولاً، أنا قائدك ومروضك حالك كحال الجميع «محرك الدمى» وأنت لست سوى دمىة صغيرة أحركك كما أريد وعندما أنهيك وأكشفك على الملاء سأخلص منك بالطريقة التي تليق بك ، أنت وغيرك قمتم بسرقة حلمي وحياتي وسأفعل بكم ما فعلتموه بي وأكثر، منذ لمسك لرسالتي بدأت حكايتي معك لن تتحرك إلا برغبتى وستنفذ

كل ما أمليه عليك وإلا تعاقب عقاب سيؤذيك كثيراً أنا لا أهدد وإنما أخبرك بما سيحدث لاحقاً، وأمرني لك أن تباعد تماماً عن «زين» و«خالد الشهاوي» و«أسوة العاصي» و«معاذ» أيضاً وإلا أقدم إلى الشرطة ما يدينك بخصوص مقتل الحارس، الطبيب الشرعي و«تغريد فاضل والكثير» معهم، أعتقد أن هذا لن يروق لك، أحذرك من الاقتراب منهم أو أذيتهم أو جعلهم يفعلون ما لا يريدونه، هذا فقط ما أريده منك الآن أما لاحقاً يؤكد سأملئ عليك الكثير من الأوامر، تركت لك أصغر هدية من الممكن أن أقدمها لك، استمع إليها جيداً وفكر إن كنت تنوي خسارتي أو ستنتصاع لأوامري كجميع الدمى{

لا أستطيع وصف حال «العقرب»، لقد أصابه الجنون، فقد حدث له ما يحدث للجميع فور قراءتهم للرسالة، غاب عن الوعي لبعض الوقت وعندما استيقظ لم يجدها بين يده، فراح يبحث عن كارت الذاكرة وقام بوضعه في هاتفه المحمول، ليستمع إلى التسجيل وفور انتهائه بدأ يركل المقاعد فانهار جسده على المقعد وبدأ يلهث كأنه كان يركض لأميال، قام بالاتصال بـ«هشام» وطلب منه أن يأتيه على وجه السرعة، وفي غضون النصف ساعة كان يقف أمامه مطأطأ الرأس وجفونه ترتجف من فرط التوتر، نتيجة لحالة العصبية التي كان يمر بها «العقرب» أثناء سرد ما حدث معه وتهديدي له، تعتمد السكوت لبعض الوقت فرفع عينه التي تكسوها الحمرة وتنساب عليها حبات العرق التي تهبط من أعلى جبينه فتصيبه بالانزعاج، كأن ما به لا يكفيه قال وهو يتفحص «هشام» وكأنه لم يعد يثق بقدراته :

__ كنا نتحدث في هذا اليوم بمطعم عام، كيف حصل هذا اللعين

على التسجيل؟

أجابه هشام بارتباك وقال:

_ أنت قلت يا سيدي مكان عام، من الممكن أن يكون جالساً بجانبنا أو وضع جهاز تسجيل بمكان ما قريب منا.

هدر به قائلاً:

_ "هشام" لا تصيبني بالجنون، منذ متى و يتم اختراق جلستاتي ويقوم أحدهم بتهديدي؟ لقد قال عني دمية يروضها، لقد هددني أنه سيكشفني للجميع، أتعني ما يحدث لقد اختفت الرسالة اللعينة فور قراءتي لها وكانت الساعة في حوالي العاشرة، انظر الساعة الآن الثالثة فجراً أين ذهب كل هذا الوقت!

نهض فانقض على عنقه بقبضة يده وتابع:

_ احضر لي هذا اللعين وإلا دمرتك .

دفعه ليرتد جسده عدة خطوات إلى الخلف، تحسس موضع قبضته على عنقه بوجهه متجههم فقال:

_ سيدي اهدأ أرجوك، سنصل إليه لن أتركه يقوم بتدميرنا، لكن لا بد أن نأخذ الحيطة.

سأله بسخرية:

_ وكيف سنأخذ الحيطة يا سيد "هشام"؟

_ بينما سأبحث أنا عن هويته سننفذ له رغباته ومن ثم سأتي به

إليك راکعاً أسفل قدميك.

نهض العقرب مرة أخرى وصاح به:

هشام ألا تفهم يطلب مني أن لا أقرب من الصحفيان، وخالد وأسوة، وهذا أمر مستحيل كيف سيحدث هذا!

أفهم ذلك، سننفذ طلبه ونتركهم يتحركون كما يحلو لهم ونفاجئه نحن بكشف سره ونتخلص منه مؤكداً لديه ما سينفعنا.

وماذا سيكون لديه هذا اللعين سوى أدلة ضدنا.

غمز له بعينه وتطلع به بنظرة ذات معنى وقال:

مؤكد بجسده أعضاء سنساعد بها غيره وننقذ حياة الكثيرين.

هشام لنتوقف جميع أعمالنا حتى نتخلص من بلاء الصحفي وهذا المعتوه الذي أرسل لي التسجيل، أمامك أسبوع واحد لتفعل بعدها ستنال عقابك عن تقصيرك في أمر هذ الشهاوي وأمرهما .

انتهى لقائهم بإعطاء العقرب هشام مهلة أسبوع حتى يتخلص مني أنا و زين وهذا هو الحلم الذي لن يستطيع تحقيقه ابداً لا هو أو غيره.

وهكذا تمكنت من حماية الجميع وردع العقرب عن ما كان ينتوي فعله وحررتهم من قبضته، المضحك بالأمر أنني أساعد جماعة زين في الوقت الذي أعمل على تدميرهم جميعاً لكن موت زين أو فك الترابط بينهم سيعرقل خطة انتقامي، لذلك

سأقوم بحمايتهم إلى الوقت الذي اقرر إنهائهم فيه.

كان لابد أن يتعافى زين ويعود إلى عمله بأقصى سرعة وإلا ستتعدد الأمور أكثر فهو أداه الضغط الرئيسية على العقرب من كل الجهات العلنية والعائلية، حيث إصابته تلك كانت بمثابة حاجز بمنتصف طريقي لكنه بنفس الوقت كان سببا ببداية انتقام آخر، هو انتقام لشرف هند و التشهير بها بين جدران المحاكم، حيث ضعف أسوة وقلقها عليه كان دافعا لتعترف لذاتها بحبه وله أيضا ويبدو أنها لن تصمد كثيراً أمام عشقها له وستسقط ضحية لهذا العشق .

الفصل العشرون

****أسوة****

بسبب غياب حنان وسارة عن منزلهم و الأخبار التي تداولت عبر الصحف الالكترونية وتلتها النسخ الورقية المطبوعة باليوم التالي؛ علمت السيدة أنيسة بأمر إصابة ولدها تزامناً مع وقت خروجه من غرفة العمليات؛ فانهارت بشدة مما دفع خالد أن يذهب مع ابنتيها لإحضارها إلى المشفى بعد أن اصرت على أن تراه وتطمئن على حالته، لم يستطع أحد منعها فهي أم والأم لا تتحمل أن تصيب ابنها وخزّه إبرة، فما الحال إن كانت رصاصاً.

عاد زين إلى وعيه وغادر العناية المشددة فعادت الحياة تسري بشراييني و دبت الروح بجسدي مرة أخرى، بعد أن فارقته فور سماعي لخبر إصابته، فقلبي لا يتحمل الوقوف بتلف أمام غرف المشافي بانتظار أحبائي، دلفت السيدة أنيسة رفقة ابنتيها إلى الغرفة ومعهم خالد الذي اثبت أنه صديق وفي، و عصبيته وسوء تعامله معنا ببداية تعارفنا لم يكن سوى غضب لما حدث لشقيقته، لم يترك المشفى لحظة واهتم بأسرة زين كما لو كان موجوداً و وفر لي الحماية الكاملة ، لم أستطع مرافقتهم والدخول

إلى غرفته بسبب خجلي منه لما حدث عندما عاد له وعيه فيدي كانت ممسكة بيده وأنهال عليه باعترافاتي، شعرت برجفة تحتاح جسدي عندما تذكرت نظرته في اللحظة التي فتح بها عينيه ونظر لي بحب وهمهم بصوت واهن ومجهد بسبب حالته وقال:

_ لا تخافي لن أتركك يوما.

حينها تيبس جسدي ولم أستطع الوقوف أو الركض لأنادي على أحدهم ليعاينه، فقط انسابت دمعاتي على وجهي وشعرت كأني طفلة يتيمة يعود والدها إلى الحياة بعد أن جربت مرارة فقدانه، نظرت إليه بعتاب للساعات التي جعلني أشعر بها بالخوف عليه فنقوست شفقتي إلى الأسفل وقلت:

_ لا تغمض عينيك مرة أخرى أرجوك.

لاحظت شبه ابتسامة على ثغره وقال بصوت خفيض:

_ إن كنت سأحلم حلم جميل كالذي حلمته الآن، سأغمض عيني بالتأكيد لأسمع أجمل همس بأروع الكلمات التي سمعتها بحياتي.

للوهلة الأولى لم أستطع استيعاب ما يقوله ، لكن عندما تطلع بي بحب وكأنه سمع اعترافاتي أيقنت أنه خيل له أن ما سمعه أثناء غيبوبته ليس سوى حلم جميل ، وأثناء تبادلنا النظرات لاحظت تغير معدل نبض قلبه على الجهاز بجانبه فأنا على علم بتلك الأمور؛ بسبب تواجدي المستمر بجانب أمير، انحنيت بجزعي نحوه و اقتربت من وجهه فقلت:

_ زين سأذهب لأنادي الطبيب، إياك أن تغمض عينيك فأنا لم

أعد أتحمل المزيد من الدموع على الراقدين بأسرة المشافي .
حقد بي كأني قلت شيء أثار انتباهه فابتسم وقال وهو يسعل:
_ لم يكن حلمًا.

قلقي عليه كان أكبر من خجلي فركضت مسرعة إلى خارج
الغرفة وطلبت من الطبيب معاينته فركض بدوره إلى الداخل
وخلفه ممرضتان وبعد وقت غادروا الغرفة وطمانونا على حالته،
وهنا تنفست الصعداء وحمدت ربي وشكرته لأنه أعاده لي، بكيت
من شدة فرحتي والفتيات شاركوني البكاء، بينما وقفت والدّة
«معاذ» وأحد أقاربه بعيد عنا يتطلعون بنا بحسرة.

انتشلني من شرودي صوت «سارة» وهي تربت على كتفي
بحنان وتقول:

_ «أسوة» لما تقفين هنا؟ هيا تعالي «زين» سأل عنك و يود
رؤيتك.

ارتبكت قليلاً فأكثر ما أتمناه الآن هو الاطمئنان عليه، لكن بنفس
التوقيت آخر ما أريده هو التطلع بعينيهِ والخجل بسبب ما تفوهت
به أثناء غيبوبته بعد تأكدي إنه استمع إلي ، تحليت بالشجاعة
كي لا أثير شكوك المتواجدين بالداخل بسبب رفضي الدخول
والاطمئنان عليه.

دلفت إلى داخل الغرفة وأكاد أجزم أن جميع من بالغرفة يسمعون
نبضات خافقي فأطرقت رأسي وأن أفرك كفي يدي بعضهم
البعض، وقفت بالقرب من فراشه فرفعت وجهي وأنا أطلع بكل

شيء سوى عينيه وقلت:

__حمداً لله على سلامتك .

قال وهو يحاول كبح ابتسامته:

__ أهذا فقط!

__ماذا؟

__ بعد أن شرفت على الموت تقولين حمداً لله على سلامتك.

اتسعت حدقتا عيني وتطلعت به ببلاهة غير مصدقة جرأته
بالحديث أمام الجميع، لم أفه بشيء، تربط لساني بسبب خجلي منه
فلكرتني «سارة» بذراعي وهممت بالقرب من أذني قائلة:

__أشتم رائحة حب تنتثر بالأجواء .

رفعت وجهي وقد تجمعت حبات العرق على جبيني و نظرت
إليها فاغرة فاهي وقلت:

__ها !

ارتسمت بسمه على محياها وقالت:

__ حسنا اهدني ما بك وكأن أحدهم ألقى عليك دلو من الماء.

من وقتٍ لآخر كان «زين» يطالعني مبتسماً و عندما التفت
نحوه أجده شارداً بوجهي ويكون مازال متمسكاً بابتسامته على
الرغم من مرضه.

غادرنا غرفته بعد أن طلب الطبيب هذا ليرتاح ، ونظراً لتأخر الوقت طلب خالد منا الرحيل على أنه يبقى كمرافق لـ«زين» لكن «سارة» رفضت وكانت حجتها أنها بكلية الطب وأفضل من يعتني به، بينما أصرت «حنان» على البقاء بجانب والدته «معاذ» وافقت والدتها بعد أن لاحظنا جميعاً قلقها المفرط عليه وسوء حالة والدته .

قام «خالد» بتوصيلي إلى مشفانا الخاص والسيدة «أنيسة» إلى منزلها ، كنت مجهدة للغاية وتمنيت لو ذهبت إلى المنزل وقمت بالاستحمام واسترخيت على سريري، لكن لم أكن بحالة تسمح لأواجه أبي فاخترت أن أذهب إلى «أمير» لأخرج له ما بقلبي وما حدث على مدار اليوم والأيام السابقة.

قبلت جبينه ثم جررت المقعد الموضوع بالقرب منه لأجلس بجانبه وأنا أعيد خصلات شعره المتناثرة إلى مكانها مرة أخرى ، التقطت يده وعانقتها بيدي وأنا أربت عليها بحنان فقلت :

__ «أمير» كم تمنيت أن تكون بجانبني اليوم، وقت خوفي وقلقي، وقت جدالي مع أبي، وقت سعادتي بعودة «زين» إلى وعيه، عندما أخبرنا الطبيب أن الخطر قد زال تمنيت وجودك، تمنيت أن أعانقك وأبكي من السعادة على كتفك، تمنيت كثيراً أن أسمع تلك الكلمات من طبيبك أنت.

انهمرت العبرات على وجنتي بغزارة فارتجفت شفتاي بسبب بكائي وقلت:

__ عندما رأيت سعادة «سارة» بنجاة شقيقها وعودته إليها واللحمة

التي اكتست بها عينيها؛ رحت اتخيل أنني أقف أمام باب غرفتك والطبيب يخرج منها وهناك ابتسامة عريضة على وجهه ويقول "مبارك لكم وحمداً لله على سلامته، لقد عاد له وعيه"

تنهدت بحزن وكففت دمعاتي وقلت:

— أه كم هو رائع إحساس المرء أن يخبرك أحدهم بخبر كهذا، كم هو مؤلم أن تترقد أمامي هكذا وأنا أحدثك دون أي تجاوب منك، سوى نبضات قلبك التي يحدث بها خلل أفسره أنه تفاعل منك معي، «أمير» حسمت الأمر وكفى، ستعود لي وتنهض من غفوتك تلك، ستكون عودتك هي اعتذارك عن غيابك المؤلم، لن أقبل بغير ذلك، كما أن هناك سبب آخر لاستيقاظك، هناك من يهدد عرشك يا أميري ويزاحمك على قلبي، أعلم ستغضب الآن وتتحكم بك رجولتك و تتملك منك الغيرة، لكن يبدو أن قلبي خفق باسم أحدهم، هيا استيقظ حتى أعرفك عليه وتقول رأيك وتحاول منعه من الاقتراب مني كما كنت تفعل، إنه «زين» من أخبرتك عنه سابقاً الصحفي البريء الشهم، الرجل الذي يمتلك كل الصفات التي تخوله أن يشاركك بقلبي، على الرغم من اختلاف شخصيتكما إلا أن به شيء يذكرني بك، نظراته تشبه نظرات الصقر، لكن عندما يتطلع بي أرى خوفك علي واهتمامك بي بعيني، وعندما يتأخر الوقت يصبر على توصيلي كما كنت تفعل ، هيا افتح عينيك وعد لي أنا بأمس الحاجة إليك، الجميع ضدي أبي، أمي حتى خالي بدأ يحذرنني من خطورة قربي من «زين» ، العقرب ومحرك الدمى هم الخطر الحقيقي، انهض يا «أمير» لا تترك شقيقتك خائفة بين الذئاب، قل لي متي ستمتثل لرجائي وتفتح عينيك؟ اقسم لك لن أفقد أُملي منك، حتى ولو بعد مائة عام

سأظل كل يوم أترجلك لتفعل .

كنت أقول هذا الكلام وأنا ابكي بمرارة وحزن و ألم شديد يعتصر

قلبي، بسبب شوقي إليه وتأثري بعودة «زين» لوعيه، فرويته
بخير هكذا خلقت بداخلي رغبة عارمة أن أرى «أمير» مستيقظ،
تمنيت عيش سعادة «سارة» و«حنان» اليوم، حدث فجأة ما لم
يحدث من قبل، حدث ما تمنيته دوماً لكن لم أتخيل أنه سيحدث
بهذه الليلة بالتحديد، لقد شعرت بأيدي «أمير» تتشنج وتقبض على
أصابعي بعد أن كانت عضلات جسده ارتخت وأصبحت ضعيفة
للاغاية بسبب عدم الحركة، في البداية لم أصدق وشعرت أنني
بعالم آخر من هول المفاجأة أو أن خيل لي ذلك.

أدركت الموقف واستوعبت أن «أمير» قد تحرك بالفعل عندما قام
بالضغط على يدي مرة أخرى، نهضت بفرع ودرت حول الفراش
وأنا لا أصدق ما حدث فاقتربت مرة أخرى وجلست بالقرب منه
وامسكت يده وقلت :

«أمير» هل تسمعني هل قمت بالضغط على يدي كي تخبرني
أنك معي!

بكيت بشدة وتابعت بصوت مرتجف :

«أمير» هيا افعلها مجدداً هيا أخبرني أنك معي وأنا لست
بمفردى، افعلها يا أميري هيا يا توأمي لا تترك نصفك الآخر.

قبض على يدي هذه المرة لكن بضعف، بكيت، ضحكت، صرخت
ودرت بالمكان ثم جلست بجانبه ونهضت وأنا اقفز كالأطفال

كدت أصاب بالجنون و اخيرا فعلها لقد تجاوب معي، كنت على يقين أنه سيستيقظ قريباً جداً فبقيت طوال الليل بجانبه أتحدث وهو يقبض على يدي، لكن عندما كنت أطلب منه أن يفتح عينه أو يحرك قدمه لم يكن يفعل فقط أصابعه ما كانت تتحرك بجسده بأكمله، حتى وإن كانت أصابعه أنا راضية للغاية يكفي أن يكون هناك أمل.

وعلى مدار ثلاثة أيام كنت بالنهار بالمكتب او أقوم بزيارة زين وفي غروب الشمس اركض إلى المشفى واجلس لساعات اتحدث مع أمير وهو يقبض على يدي، لكن الغريب بالأمر أنه لا يفعل هذا أمام أحد فقط عندما نكون بمفردنا، بعد أن أخبرت أبي بأمر تجاوبه معي أحضر أفضل فريق طبي بالبلاد وقام بعمل فحوصات كاملة له ولم نتوصل لشيء سوى وجود خلايا ما زالت حية بالحبل الشوكي وهي السبب في تجاوبه معي وإدراكه لكل شيء.

لكن لم يخبرونا بإمكانية استيقاظه يوماً فقط طلبوا منا أن نتفاعل معه قدر المستطاع، ولا نكف عن الدعاء له حاله كحال معاذ الذي لم يطرأ على حالته أي جديد فكان مازال بغيوبته، رفضت والدته مغادرة أمام باب غرفة العناية المركزة، وحنان أيضاً عكفت على المكوث بجانبها معظم الوقت بينما كانت ظروف السيدة أنيسة حائلاً في الذهاب لزيارة ابنها بسبب صعوبة تنقلها فرافقت سارة أخيها على مدار الأربع وعشرون ساعة، مما كان سبباً في التقارب الواضح بينها وبين خالد الرجل الشهم الصديق الصدوق الذي لم يتركنا لحظة، إما يعمل على كشف القضية أو يهتم بالجميع، عندما كنت أذهب لزيارة زين

كنت أبقي معظم الوقت بجانب والدتي «معاذ» و «حنان» وأذهب إلى غرفتي لأطمئن عليه بحذر شديد دون الاقتراب منه أو إعطائه فرصة للتمادي معي في معاملته التي تغيرت تماماً، كانت «سارة» تلاحظ نظراته لي وهمسه المستمر ما إن اقترب منه كان يهمس " لم يكن حليماً ما سمعته كان حقيقة" كنت أخجل جداً بعدها وأغادر ووجهي يكاد يحترق من كثرة الحمرة.

سألتني «سارة» ذات مرة عن سبب ارتبائك من «زين» فأجبتها بغضب {نفس سبب ارتباكك من «خالد» مؤخراً}

وهنا تدخلت «حنان» بالحديث وقالت {لأطمئن على «معاذ» وبعدها سأستجوبكم أنتم الاثنان}

وهكذا مرت الأيام بمحاولات عديدة مني في الهرب من «زين» وكانت تبوء معظمها بالفشل بسبب «سارة» التي كانت تساعدني في التقرب مني على الرغم أنه لم يعلن هذا لكني رأيت العشق بعينه.

كان لابد من مواجهة أبي وحسم الأمر معه وطمأنته أن علاقتي بـ «زين» لن تؤذي مطلقاً حتى لا أزيد من قلقه يكفي ما أحدثته حالة «أمير» الصحية في نفوس الجميع.

ولأنني أعلم أنني لن أستطيع مجابهة أبي أو التأثير عليه بمفردي كان لابد من أخذ الدعم من أكثر الأشخاص قرباً له وهي أمي وبالفعل قمت بزيارتها بمكتبها وتحدثت معها عن «زين» وأسرته وعلاقتي الوطيدة بشقيقتي وحسن أخلاقهم وأن تواجدي بجانبهم هو دافع إنساني بحت، حدثتها عن صفاته وشهامته

وأني أنشغل الآن بوضع «أمير» الجديد لكن توتر علاقتي بأبي يزعجني، غلبني البكاء بسبب الضغوطات التي كنت أمر بها في الأونة الأخيرة فضعفت هي نحوي كأبي أم لا تتحمل دموع ابنتها وعانقتني وأخبرتني أنها ستتحدث مع أبي وستصلح الأمور بيننا.

وذات مساء قررت المرور أولاً للمشفى المتواجد به «زين» و الاطمئنان على حالته قبل الذهاب إلى «أمير» وكان كان مقدر لي البقاء معظم أوقاتي بالمشافي، طرقت على الباب عدة مرات فأذنت لي «سارة» بالدخول، كان يجلس ومعه شقيقتيه و«خالد» الذي كان يبتسم معظم الوقت ولم اجد لتبسمه سبباً سوى «سارة» أما «حنان» كانت شاردة بهومها، بذلك الذي يرقد بالقرب منا ولا حول له ولا قوة، أما بطلي كان يسرق النظرات لي بين الفينة والأخرى، أرادت «سارة» أن تكسر حالة صمتنا فقالت:

__ "أسوة" كيف حال شقيقك هل هناك تطور؟

تنهدت وكان جبال حطت فوق صدري وقلت:

__ حمداً لله إنه يتجاوب معي، متي طلبت منه أن يضغط على يدي يفعل.

تدخل «زين» بالحديث وقال:

__ ألم يفتح عينيه أو يحرك جسده؟

__ لا لم يفعل حتى أنه لا يفعل ذلك مع غيري، فقط أنا.

تعجب الجميع مما قلت فقالت «حنان» :

_ معقول ألا يفعل هذا مع أمك أو أبيك أو حتى طبيبه؟
هزرت رأسي نافية وقلت بعد أن اغرورقت عيني بالعبرات:
_ فقط أنا حتى مع خطيبته لا يفعل هذا.

نظر لي «زين» متعجباً وقال:

_ هل لديه خطيبة؟

ابتسمت وقلت:

_ نعم "رحمة" ابنة خالي ألم أخبرك سابقاً!
راحت «سارة» تنتظر إلى الفراغ من أمامها وقالت:
_ أنظروا لأنهم توأم يتفاعل معها فقط .
قال خالد:

_ ليس لأنهم توأم وإنما لأنهم إخوة أسمى العلاقات هي العلاقة
بين الاخوة، لا تشعر بالأمان سوى مع شقيقك أو شقيقتك وعندما
تفقدته تشعر وكأن أحدهم انتزع قلبك من موضعه، كأن الغطاء
الذي تلتحف به في البرد الشديد انتزعه أحد منك، لا يحرم الله
أحد من شقيقه.

اكتست عيني به بالعبرات وتجهم وجهه فنهض ليرحل لكن اوقفه
«زين» عندما لمح دمعاتي تنساب على وجهي وقال:

_ ما بك تهرب بعد أن أبكيت شريكتي؟

جال بنظره بين الفتيات فقال:

_ ولم تكتفي بهذا فأبكيت اخوتي، أجلس لا تجعلني اركض خلفك.

علت على ثغر «خالد» ابتسامة منكسرة وقال:

_ سأجلس حتى لا تركض خلفي وتسعل و تمرض بعد ذلك.

_ استأصلت طحالي وليس رئي ايها الشرطي أستطيع الركض
لأميال.

تنهدت «حنان» وقالت:

_ لقد تشاركت أنت و “معاذ” الرصاصة ذاتها.

قال «زين» :

_ إنه صديقي تشاركنا الكثير من قبل وسنفعل لاحقاً ،لن أنسى له
ما فعله من أجلي إن شاء الله تتحسن حالته في أقرب وقت.

قال الجميع بنفس التوقيت: «أمين»

طلب «زين» من الفتيات الخروج لبعض الوقت والذهاب إلى
المقهى المرفق للمشفى واحتساء اي مشروب رفضت «سارة»
في بادئ الأمر لكني فهمت إنه يود التحدث بشأن العقرب أو
محرك الدمى؛ شجعتهم قائلة:

_ هيا حتى أني سأخبر “خالد” شيئاً وأتي من بعدكم .

ابتسم لي «زين» وكأنه يشكرني؛ فأومأت له برأسي مبتسمة

وشعرت أننا لأول مرة نتعامل كثنائي، وضعت «حنان» يدها على المقبض لتديره وانتظرت «سارة» تحضر هاتفها بينما رن هاتف «خالد» المحمول وعندما أجاب سقط الهاتف من يده واتسعت حدقتا عينيه وقال «مستحيل»

عادتا إلى الداخل تحدقان به بخوف، بينما نهضت ونظرت إليه بفزع فالتقط «زين» يدي ليقبض عليها بشدة عندما رأى خوفي وقال:

__ ماذا هناك يا خالد ؟

قال وهو ينظر للفراغ أمامه:

__ لقد وجدوا أبي مقتولا أسفل البناية التي سقطت من أعلاها
”هند“ .

الفصل الواحد و العشرون

**** زين ****

كان خبر انتحار «مهران الشهاوي» كصاعقة أصابت «خالد» ظل لبعض الوقت يرتجف ويحدق بنا بذهول غير مصدق ما حدث ولا نحن أيضاً صدقنا هذا، لقد علمت منه سابقاً أن والده تخطى أزمة وفاة «هند» إلى حد كبير، هذا ما جعلنا نتعجب من ضعف شخصيته للدرجة التي تجبره عل الانتحار بنفس المكان الذي سقطت منه.

هرول «خالد» إلى مكان الحادث ومن بعده «سارة» وأسوة اللتان» ذهبنا إليه كي يؤازروه في محنته وبقيت «حنان» معي، حزنا جميعاً بسبب وفاته، صحيح علاقته معنا لم تكن جيدة منذ البداية، لكن فور ظهور الحقيقة وبراءتي تنحى جانباً وكف عن عداوته معنا، لكن سبب حزننا الأكبر كان من أجل صديقنا .

وكان شبح الموت كان يحوم حولنا هذا اليوم فبعد رحيل «خالد» ومن بعده الفتيات بما يقارب الساعة سمعنا طرقات عنيفة على الباب فتوجهت «حنان» لتفتحه وتستقبل الزائر كعادتها ارتبكت بالحديث وهي ترحب به وكان أحدهم أصابها بسوط فلجم لسانها لتخرج الكلمات من بين شفتيها متقطعة، تعجبت من حالتها تلك

وزاد تعجبي عندما اكتشفت أن الزائر هو «إبراهيم فاضل» آخر من توقعت زيارته لقد كان بيننا خلافات عدة على الرغم من عودتي إلى العمل بالجريدة إلا أنه لم يحتك بي نهائياً، كان تعاملني فقط مع «تغريد» التي سعت بكل الطرق إلى أن تعود علاقتنا كما كانت .

دلف إلى الداخل بشعر مبعثر و ذقن مهملة وإطلالته كانت غير مهندمة على غير عادته، نظر لي شراً فتعجبت من هيئته ومن نظراته الغير مبررة التي لن أنساها مهما حييت، كانت نظرات مليئة بالكره، الغضب والكثير من العتاب، وقف بالقرب مني بينما ظلت «حنان» ممسكة بمقبض الباب وتحقق بنا بتوجس، استند بيده على الفراش وحقق بي ففرت دمعة من عينه وقال:

— أنت لست بني آدم أنت لعنة تصيب كل من يقترب منك، أنظر كم روح زهقت بسببك، صديقك يرقد يصارع الموت بينما أنت تجلس تتسامر مع شقيقتك هنا، أين ضميرك يا رجل ألا تشعر بالذنب حيالنا جميعاً؟

اقتربت منه «حنان» و قبضت على ذراعه وقالت وهي تجذبه إلى خارج الغرفة:

— أرجوك يا عماه لقد خرج من غرفة العمليات منذ يومين ولا يعرف شيئاً يكفي ما حدث.

نفذ ذراعها فغضبت منه؛ حاولت النهوض لكن ألمني جرحي وتأوهت بصوت مسموع؛ ركضت «حنان» نحوي ووضعت يدها على كتفي وقالت:

__ لا تتحرك هو سيذهب، هيا يا عماه نتحدث فيما بعد.

صاح بها قائلاً وقد اتضح عليه أنه فقد أعصابه:

__ لن أذهب سأخبره بالحقيقة ليتعذب مثلي، مثلنا جميعاً ما ذنبنا نحن؟ كل من يقترب منه يحترق أولاً ابنة "مهران الشهراوي" وهو بعدها، شاهد القضية والطبيب وصديقه لا نعلم إن كان سيعود لوعيه أم لا وأنا فقدت ابنتي إلى متى سيستمر بحر الدماء يسيل؟ ما ذنبنا هيا أخبرني أي لعنة جلبتها على رؤوسنا أيها الحقير!

حاول الهجوم علي لكن منعه «حنان» وراحت تصرخ إلى أن حضر أحد الأطباء ومعه عدد من الممرضات ومنعوه من التعرض لي، بينما كنت أحرق به بذهول ليس بسبب اتهاماته بل بسبب الخبر المؤسف الذي تفوه به وهو وفاة «تغريد»، خطيبتي، حبي الأول، الفتاة التي أحببتها، صحيح أصابني الخذلان بسبب تخليها عني لكن فيما بعد تداركت الأمر وساعدني على ذلك وجود «أسوة» .

عندما قال فقدت ابنتي توقعت كل شيء إلا الموت ورحلت أتساءل هل ماتت حقاً أم أنه يُعني شيئاً آخر؟ لكن صراخه مرة أخرى أوضح كل شيء عندما قال:

__ أنت السبب بكل شيء أنت السبب بموت ابنتي، لقد أصيبت وقت حاولوا قتلك، اللعنة عليك لتفقد كل أحباك كما حدث معي.

__ ماذا هل أصيبت "تغريد" وقت الحادث؟

هو جسد على منضدة صغيرة كانت بالقرب منه بعد أن

استطاع التخلص من أيادي الجميع فوضع رأسه بين كفي يده وكأنه بمهاجمته لي تخلص من عبء كان فوق أكتافه وقوته تلاشت فور تحميله لي ذنب مقتل «تغريد» ، قال وهو مازال مطأطأ الرأس:

نعم عندما لاحظت أنهم يصوبون السلاح نحوك ركضت إليك فألقى «معاذ» بجسده عليك ليحميك، بينما أصابتها رصاصة برأسها أودت بحياتها في الحال.

رفع وجهه وقد انهمرت دموعه بغزارة واختنق وجهه بسبب الغضب وحقق بي بعينين تحترق من شدة الاحمرار وقال:

الاثنتان خسرا حياتهما كي تعيش أنت، اللعنة عليك يا "زين" سأقتلك بيدي.

حاول التهجم علي مرة أخرى ليقم بخنقي لكن من كانوا حولنا منعه واستدرجوه بعنف إلى الخارج فرحل هو يهتف:

سأقتلك يا "زين" سأدمرك لن تجد جريدة واحدة تقبل بك، من اليوم الحرب دائرة بيننا سأنهيك.

كان صوته يبتعد شيئاً فشيئاً، جلست "حنان" بجانبني وعانقتني وربتت على ظهري لتساعدني لكي أهدأ، أما أنا كنت بعالم آخر فخبّر وفاة "تغريد" زلزل كياني وأحدث بقلبي فجوة لن يملأها أحد، كان قلبي يبكي بينما جفت الدموع بعيني، نعم لم تقف بجانبني وهناك ما أكنه بقلبي تجاه «أسوة» حتى ولم أعترف لها واتضح أن عشقنا لم يكن حقيقي، لكن هي فتاتي الأولى، كانت

أول من أحدثها وأمسك يدها ونحن نسير ونستمع بالذرة المشوية على كورنيش النيل، أول من صارحتها بحبي، «تغريد» هي أول كل شيء، حتى جراح القلب هي صاحبة أول طعنة به، ومن كانت تعانقني وقتها كانت صاحبة الطعنة الثانية بالمناصفة مع صديقي عمري «معاذ» عندما خانا ثقتي بعلاقتهم.

تلت انتحار «مهران» وخبر موت «تغريد» أيام عصيبة على الجميع، خيم الحزن على الأرجاء، انشغل «خالد» بالمعزيين والتحقيق، تحولت «سارة» إلى الملاك الذي يواسي الجميع، بينما فقدت «حنان» أملها شيئاً فشيئاً من تعافي «معاذ»، أما أنا لم أخفي حدادي على «تغريد» على الإطلاق ورفضت الانخراط بالحديث مع الجميع، فتراجعت حالتي الصحية قليلاً وهذا كان سبب ابتعاد «أسوة» عنا كان واضح عليها حزنها مني، حتى لو حاولت اخفاء هذا، وعندما حان موعد خروجي من المشفى لاحظت سوء حالة «حنان» فعلمت أن ما يحزنها أنها لم يعد لها سبب للبقاء بجانب «معاذ» وأصبحت مجبرة على العودة معي إلى المنزل، خروجي من المشفى كان غريب بعض الشيء، وجوه متجهمة، حزن يخيم على الجميع ونفور واضح من «أسوة» فعندما أوشكت على مغادرة الغرفة كانت تقف معنا، لكن عندما طلبت من «حنان» أن تذهب بنا إلى قبر «تغريد» قبل المنزل تغيرت ملامح وجهها ورأيت الدموع تقف بمنتصف عينيها واستأذنت لتذهب لتذكرها أمر هام كانت قد غفلت عنه.

قبل أن نغادر توجهت إلى غرفة العناية المركزة لأرى صديقي وأسامحه وأطلب منه العودة إلي؛ فالجميع انفض من حولي وكنت

أحتاجه واقوى به.

جرت حنان مقعد لكي أجلس عليه بجانب فراشه، كان وجهه شاحب وذقنه مهملة وجسده موصول بالعديد من الأجهزة، حركت يدي ببطء وأنا أشعر وكان أحدهم يقبض على عنقي بشدة، لامست ذراعه بيدي وهزته بهدوء وقلت بصوت خفيض:

_ معاذ لا أعرفك ضعيفاً، أنت شجاع ولن تتخلى بسهولة، لا عني ولا عن تلك الأميرة التي تقف بجانبني، هيا افتح عينيك لقد سامحتك وعفوت عنها، أقسم لك فور خروجك من هنا ستنتم خطبتكم، لا لا ليست خطبة وإنما عقد قران، لن أسمح لك بدخول منزلي والخروج منه دون عقد قران، صحيح أنت صديقي لكن هذا هو عرفنا هيا انهض ولا تكن بغيضاً .

سمعت شهقات حنان فعلمت أنها تبكي مدت يدي وقبضت عليها فأصبحت يد على ذراع معاذ والأخرى ممسكة بيديها وقلت:

_ لا تبكي أنا أثق به سيعود إلينا مرة أخرى، سيعود لأشكره على ما فعله معنا .

قالت بصوت مرتجف :

_ هل سامحته؟

_ نعم سامحته، لقد أثبت جدارته عندما اختار حمايتك والحفاظ على شرفك، يعلم الله لولا وجوده بحياتنا ماذا كان حدث.

انهارت بشدة وقالت:

_ معاذ سمعت لقد سامحنا هيا عد أرجوك.

حاولت النهوض بمساعدتها فقبلت جبينه وقلت:

_ انهض وسأعطيها لك بيدي.

رحلنا وقد تهللت أساريرها بعد أن صارحتها بمسامحتي لهما.

كان استقبال أمي حافل للغاية، لكن ليس كاستقبال خوخة التي راحت تطلق الزغاريد للحد الذي ازعج السكان وشعرت أنها اخترقت أذني بصوتها .

حمدت أمي ربها ودثرتني جيذا بالفراش وكأنني عدت في الخامسة من عمري، وطلبت منهم أن يتركوني أغفو لبعض الوقت فروية قبر تغريد أصابني ببعض الضيق، استمر هذا الضيق لعدة أيام ليس بسبب وفاتها فقط وإنما بسبب غياب أصدقائي، انخرط خالد بهومومه واختفت أسوة دون مبرر؛ فكان لا بد من الاطمئنان عليهما، قمت بالاتصال بها عدة مرات لكن نفس النتيجة الهاتف مغلق، قمت بإرسال لها رسالة نصية أطلبها فيها بالاتصال بي فور رؤية الرسالة، وبعد مرور يوم آخر جاءني اشعار أن هاتفها قد تم إعادة تشغيله لكن لم تتصل بي فانتظرت لبعض الوقت ولم تفعل، قمت بالاتصال وأجابتنني بكلمات مقتضبة توحى بأنها غاضبة مني وبشدة عندما قالت:

_ نعم.

_ نعم !هل هكذا يكون رذك بعد غياب أيام وعودتي من الموت؟

شعرت باللهفة بنبرة صوتها عندما قالت:

_ ليحميك ربي لا تأتي بسيرة الموت.

_ أين أنت؟

_ بالعمل.

عندما سألتها أين أنت لم أقصد أن أسأل عن مكان تواجدها وإنما كنت أقصد أين هي عني؟ لما تركتني غارق بأحزاني في أكثر أوقاتي حاجة إليها ؟ فسألتها معاتباً:

_ لما اختفيت بهذا التوقيت بالتحديد؟

_ تركتك على راحتك و أنت ترثي خطيبتك.

ابتسمت رغم ألمي وحزني وقلت:

_ لو جئت إلي وتشاركنا حزني عليها معاً.

قالت بصوت مرتفع بعض الشيء:

_ لا، شكراً لدي من الأحزان ما يكفيني .

قلت بصوت حنون يحمل بطياته شوق كبير لها:

_ تعالي إلى منزلنا.

_ لست متفرغة.

__ على راحتك إذن سأتي إليك أنا.

شعرت باللهفة والخوف علي في صوتها عندما قالت:

__ لا فجرحك ما زال حديثاً؟

__ إذاً تعالي .

__ حسناً سأنهاي عملي و أتي .

انتهت المكالمة بعد أن اتفقنا على زيارتها، إنها طفلة من أقل شيء تحزن ولا تخفي حزنها وترضى بسهولة، يكفي أن تشعرها بأهميتها وتلمس فيك حنانك عليها.

أقلقني جدا غياب «خالد» شعرت أن الأمر أكبر من الموت فقمت بالاتصال به على هاتفه للمرة العشرون أو أكثر، أجابني بعد أن رن الهاتف كثيراً:

__ زين!

__ "خالد" كيف حالك يا صديقي؟

__ أموت من القهر.

__ لا تضعف لا بد أن تتماسك والدتك بحاجة.

__ خرج الطبيب لتوه ضغط دمها لا ينخفض وحزنا من تدهور صحتها إن استمر ضغطها بالارتفاع .

أردت أن أحثه على التماسك فاستخدمت صحة والدته كحجة

وقلت:

__ طالما تراك حزين ستنهار، تماسك أرجوك دعنا لا ننكسر أمام هؤلاء القتلة، انظر ضعف والدك أفقده حياته.

ضحك بسخرية وقال:

__ هل تظن أنني أبا ضعيف لدرجة الانتحار!

__ ماذا تقصد؟

__ صحيح لا يوجد مشاهد لخروج أو دخول أحد غيره إلى البناية قبل وبعد وفاته وظهرت وفاته على أنها انتحار، لكن أقسم لك لم تنظلي علي لعبتهم ومؤكّد هناك سر ما وسأكشفه، أباي لم ينتحر ابداً أباي محب للحياة والعمل والسلطة، لا يتخلّى عن كل هذا بسهولة، كما أنه تدارك وفاة "هند" منذ وقت.

__ هل تعني أنه تم قتله؟

__ فعلها "محرك الدمى" لينتقم مني.

أنهيت المكالمة في عجالة معللاً ذلك لشعوري بألم في جرحي، خوفاً من تفاقم الأمر بعد أن راح يهذي ويلعن ويسب «محرك الدمى» وتوعد له أنه سينتهي إن وصل إليه .

بعد عدة ساعات جاءت شريكتي بكل الجرائم، بالحزن والفرح، فسمعت «خوخة» تنادي على «حنان» وتخبرها بقدومها وفعلت نفس الشيء معي، لكن تظاهرت بالإعياء حتى تأتي إلى غرفتي لكي احظى ببعض الوقت معها وأحاول تلطيف الأجواء بيننا

لكنها رفضت قائلة «إن كان يشعر بالسوء حسنا اتركه ليغفو، إنها عنود وأعلم فعلت هذا لأنها كشفت مخططي، فما كان مني سوى الانصياع لرغبتها و النهوض والتوجه إليهم للانضمام إلى جلستهم الباردة للغاية.

ركضت «سارة» نحوي عندما لمحتني أقترب منهم و سرنا سوياً وهي تحيط خصري بيدها وساعدتني لأسير باتجاه تلك العنود، فور رؤيتها لي نهضت وكانت اللهفة واضحة بعينيها، لكنها حاولت اخفاء ذلك و أقلت علي التحية ببرود وهي تمد يدها لي.

الغريب في الأمر كانت "حنان" حزينة من أجل «معاذ» و«أسوة» أعلم سبب غضبها فالغيرة قضت عليها، الوحيدة التي كنت لا أعلم سبب حزنها في الفترة الماضية هي «سارة» ،وظننت أنها اندمجت بأجواننا البائسة.

جلسنا لبعض الوقت نطمئن على أحوال بعضنا البعض وسألت عن حال «معاذ» الذي لم يطرأ عليه أي جديد، يبدو أن «حنان» شعرت بالضيق عندما ذكرنا سيرته فاستأذنت ودلفت إلى غرفتها وهي تسير بخطوات متكاسلة كأنها تحمل جبال فوق أكتافها.

رمرت سارة بالعديد من النظرات حتى تفهم وتتركنا بمفردنا قليلاً لكنها أبّت وتعاملت كأنها لم تراني ، راحت تسأل عن «أمير» وأحواله وهل طرأ عليه أي تحسن، تطرق الأمر الى «خالد» وعائلته واتفقنا أن نذهب لزيارته لتقديمي واجب العزاء في وفاة والده، وعندما انتهينا استأذنت «سارة» لتذهب لتخبر أمي بوجود «أسوة» .

بدأت تدور بنظراتها بكل شيء بالغرفة ما عداي أنا، كأنني لست موجوداً فقررت أن أعلن عن وجودي وقلت بصوت متحشرج:

__ هل تقضين الوقت مع أمير؟

قالت وهي تنظر نحو النافذة:

__ نعم أفعل.

__ هل لهذا كنتِ منشغلة طوال الفترة الماضية؟

أمسكت هاتفها ومررت أصابعها عليه بضيق وقالت:

__ لا لم أكن منشغلة على العكس تماماً.

__ إذاً لما لم تأتي لزيارتي وتطمئني عن حالي كما فعلتي مع خالد! لقد أخبرني أنك لم تتركيه و تتصلين به يوميا على الهاتف؟

رفعت وجهها لتتظر لي لأول مرة منذ مجيئها؛ فرأيت بعينيها التحدي وقالت:

__ خالد صديقي و أنت كذلك، لكن فاجعته أكبر.

__ هل نحن الاثنان بنفس الكفة؟

__ نعم أنت صديقي وعملنا معاً وجمعتنا الكثير من المواقف وهو أيضاً صديقي، صحيح لم نعمل معاً لكن بقدر علاقتنا السيئة بالبداية إلا أنه صديق وفي لم يتركني حتى في أكثر أوقاته حزناً؛ لذلك أكن له مشاعر طيبة.

شعرت بالدماء تغلي بعروقي ، فبكلماتها تلك أصابت أكثر نقطة
تثير جنوني ، فحدقت بها بغيط وقلت:

_ مشاعر! أي مشاعر لم أفهم؟

قالت بلا مبالاة:

_ أنه شخص غالي جداً بالنسبة لي وأشعر بالحزن من أجله وكان
لا بد أن أكن بجانبه.

حاولت النهوض لكن جرحي عاندني وشعرت بوخز شديد به ؛
فأرخيت جسدي مرة أخرى على الأريكة وقلت :

_ ”أسوة“ لا تجعليني أصاب بالجنون، عن ماذا تتحدثين ؟

لاحظت شبه ابتسامه على محياها حاولت إخفاءها بقدر الإمكان
لكن لم تستطع وكأنها تحاول إثارة غيرتي وغضبي و قالت:

_ عن علاقتي بـ “خالد” .

أعلم جيداً كانت تحاول معاقبتي و استفزازي بحديثها عنه لما
بدر مني بعد علمي بفاجعة وفاة «تغريد» ، فأردت رد لها
الصاع صاعين فقلت:

_ يا ابنة الرجال هل تعلمين مصير الفتاة التي تتحدث هكذا عن
رجل غريب عنها بمجتمعنا؟

_ أولاً أنا أعيش معك بنفس المجتمع، لا أجد أي خطأ في ما
أقوله، ثانياً ما هو مصيرها اخبرني فقط لأزداد علماً؟

__ لم أقصد بكلمة مجتمعنا بهذا المجتمع يا ابنة القاهرة، بل
مجتمعي هو الصعيد و عقوبة من تعلن مشاعرها لشخص غريب
هي القتل.

__ هل أنت من الصعيد؟

تطلعت بها بغیظ وكنت أتمنى أن أخرس لسانها السليط بأي شكل
فاخترت أن أخرسها باعتراف مبهم، سيورقها لليالٍ عدة فقلت:

__ "أسوتي" هل سمعتي قول الشاعر؟

حدقت بي بذهول وقال:

__ أي قول؟

__ رسمت بسمة صغيرة على ثغري وقلت بصوت مبجوح به
شيء من اللين:

__ وإلى تخلي صعيدي يحبها يبقى يغلبها.

الفصل الثانی و العشرون

****أسوة****

أربكني هذا اللفظ بجملته فلم أفهم مقصده منها، هل هي كلام ألقاه بوجهي وحسب أم يقصد منها شيء؟ ومنذ متى وأنا أسوته! إن فكرنا بالقصيدة وموضوعها فهي تتماشى كثيراً مع الحوار الذي كان دائراً بيننا، فهو كان يجادلني عن علاقتي بخالد واهتمامي به واهمالي له بنفس التوقيت، فتساءلت هل من الممكن أن يكون اعتراف غير صريح منه بما يكره لي ويريد أن يخبرني أنه يغار على، أم أنها جملة عابرة تلفظ بها في سياق الحديث وحسب؟ هذا ما كنت أفكر به أثناء جلوسي معه هو ووالدته، كانت هناك لمعة بعيني لم أفسر سببها، كما لم أفسر حديث والدته عندما قررت المغادرة وهي تقول:

_ لا تذهبي أرجوك، وجه زين لم يبتسم طوال فترة غيابك .

نكس رأسه ثم همهم قائلاً:

_ وكأنها غابت لسنوات .

اغتنطت منه ومن أسلوبه اللفظ، ما فهمته أنه يقصد السخرية من كلمات والدته، هذه هي فكرتي المبدئية عن جملة وكأنها غابت لسنوات لكن إن فكرت بتروي كنت سأفهم أن غيابي لأيام بعيداً

عنه يترك أثرًا سيئًا بداخله كالغياب لسنوات، لكن تحكم بي فكر
الطفلة التي بداخلي وقلت:

_إن أزعجك حضوري لأغيب مرة أخرى و أتركك على راحتك
سيد زين.

قال:

_حضورك مزعج كغيابك فابقي أفضل.

شهقت غير مصدقة فظاظته و توجهت بنظراتي نحو والدته
وكانني أشكو أفعال ابنها إليها فقالت:

_لا عليك يا صغيرتي هو يشاكسك فقط، لكن بالحقيقة باله كان
مشغول عليك الفترة الماضية.

اعتلت ثغره ابتسامة لم يستطع اخفائها و برزت أسنانه على
إثرها، وهمهم مرة أخرى لكن استرقت السمع فاستطعت تفسير ما
همهم به :

_ولما الكذب، كنت قلقًا جدًّا عليها.

استمرت حالة الشد والجذب بيننا لبعض الوقت ثم رحلت بعد أن
أصابني الخجل من نظراته وتلميحات والدته المستمرة بشأن قلقه
علي وتحسن مزاجه في هذا اليوم بالتحديد، أظن الجميع بدأ يلحظ
مشاعرنا التي نكنها لبعضنا البعض ولكننا لم نكن نجرؤ على
الاعتراف بعد، الجو الأسري الذي استشعرته في منزلهم قادني
للذهاب إلى منزلي لأحظى ببعض الراحة والطمأنينة

بجانب أبي وأمي، كانت أُمي سعيدة بوجودي بينما غياب أبي عن المنزل كان سيد الموقف في تلك الفترة، حيث بات يقضي معظم الوقت بالمشفى خاصة أوقات تواجدي مع «أمير» كان يبقى بغرفته وأثناء نومي كنت أشعر بأنفاسه الدافئة تلمح وجهه أثناء تقبيله لجبيني، علاقتنا لم تعد لطبيعتها بعد وكان يتعامل معي كأنني لست موجودة، لكنه كان دوماً ما يطمئن علي من «رحمة» وخالي ومن أُمي أحياناً، كبريائه لم يسمح له بمسامحتي وخجلي منه منعني من النظر بعينه والاعتذار، كنت أتخذ عودتي إلى المنزل في ذلك المساء سبباً لأحسن علاقتي به وأعتذر عن ما بدر مني، لكن وقف عدم تواجده بالمنزل حائلاً أمام تنفيذ رغبتني، فكانت ليلة خاصة بأم وابنتها تحدثنا بها عن كل شيء، سعادتنا بالتحسن الملحوظ بحالة «أمير» وأن الأمل بشفاؤه لن ينتهي، حيث أخبرتني أنها باتت تؤمن بإحساسي أن «أمير» سيعود إلينا ذات يوم وقالت أنها ستتفق مع طبيب علاج طبيعي ليبدأ في تنفيذ خطة علاج للقيام بالتمارين والجلسات التي تساعد عضلاته المرتخية في استعادة حيويتها وقوتها مرة أخرى، حيث انعدام حركة المرضى المصابين بالغيوبة تكون سبباً في ارتخاء عضلات أجسادهم، واعتقدت أُمي أن سبب عدم تحريكه لجسده هو ضعف عضلاته، كما أنها أخبرتني أن «رحمة» بدأت تتردد على المشفى أكثر من ذي قبل وتجلس بالساعات أثناء النهار تتحدث معه وأن تواصلنا بهذا الكم معه سيحفزه على التفاعل أكثر، راحت تسألني عن شعوري أثناء لمس يده والشعور به يتفاعل معي وعن روعة احساس مشاركته الحديث وردود أفعاله عندما أطلب منه تحريك يده، انسابت دمعاتي على وجنتي وراح قلبي يرفرف كطير نال مراده بالحرية بعد وقت طويل من الأسر،

فهذه حالتي حقاً مع «أمير» أنا أسيرة الحزن في غيابه ولم أشعر بالتححرر إلا عندما أمسك يدي، وصفت لها نبضات خافقي التي تزداد عندما يحرك يده، شعوري كأن قلبي سيغادر موضعه، لهفتي لاحتمال عودته مرة أخرى، بكينا لبعض الوقت ثم غفوت بين ذراعيها كأني طفلة صغيرة تلتجئ لأحضان والدتها كي تستمد القوة من حنانها .

حنقي على «زين» استمر لعدة أيام ممزوج بخوف وقلق وحالة من الشعور وكأنني عدت لمرحلة المراهقة أثناء تبادلنا الحديث على أحد تطبيقات التواصل الاجتماعي، حيث كان يسأل يومياً عن سبب عدم زيارتي له أو الاطمئنان عليه في الأيام التي تلت خروجه من المشفى، بينما كنت أكتفي بإرسال هذا الوجه الغاضب دون توضيح السبب الحقيقي، أما هو كان يجيبني «كنت أتسلى معك أما السبب الحقيقي أعلمه جيداً» وفي هذه اللحظة طبول قلبي كانت تفرع بشدة من كثرة التوتر وفرط الخجل، كان لابد من مصارحة ذاتي بالحقيقة التي لا يمكن انكارها، «زين» يحتل قلبي شيئاً فشيئاً والطامة الكبرى كانت ستكون عدم مبادلتة لي لهذا الشعور.

وذات صباح قررنا زيارة «خالد» فمررت على منزل «زين» وقام سائقي بتوصيلنا حيث حالته لم تكن تسمح بقيادة السيارة بعد، الغريب بالأمر تلك الابتسامة العريضة التي ارتسمت على وجهه «العم محمد» طوال تواجد «زين» معنا بالعربة فكنت أراها حينما أرى انعكاس صورته بالمرآة، كان يراودني الشك من قبل أنه من يقوم بالتجسس وإخبار أبي بتحركاتي لكن قلبي لم

يصدق هذا أبدا ونظراته تلك طمأننتني .

طلب زين الذهاب أولا لزيارة معاذ قبل التوجه إلى قصر عائلة الشهاوي ونظرًا لأنه يعاني من فقر الدم نتيجة استئصال الأطباء طحاله أثناء العملية كان يعاني من الدوار أحيانًا، أثناء ترحله من السيارة اختل توازنه وكاد يسقط لولا أنه قبض على باب العربة بيده فطلبت منه أن يتكئ على كتفي إلى أن نصل إلي المشفى، بالفعل حدث هذا وبمجرد أن لمست يده كتفي شعرت بالرجفة تجتاح جسدي، راح وجهي يتوهج وكأنه يحترق من كثرة الخجل.

أثناء تواجدها بالمصعد ابتسم لي وقال:

__ شكرًا لك.

تطلعت به ببلاهة وقلت:

__ على ماذا ؟

فأشار على كتفي بسبابته فقلت:

__ لا عليك يا صديقي تظهر الصداقة وقت الشدائد.

رمقتي بغیظ فقال:

__ هممم وهذا ما حدث عندما غادرت المشفى .

وكانه كان يريد اعترافي بسبب غضبي منه بعد مغادرته المشفى، لكن لم انفذ له رغبته وقلت:

__ إنها الأشغال فقط ما ابعدتني عنكم، لولا ذلك لأظهرت لك صداقتي الحقيقة.

__ كما فعلت مع "خالد".

أجبتة باقتضاب وقلت:

__ بالضبط.

عندما وصلنا إلى الطابق المتواجدة به غرفة العناية المركزة كانت والدة «معاذ» تجلس على مقعد بالقرب من باب الغرفة ومعها عدد من أقربائها، فور رؤيتها لنا تبدلت ملامحها وتطلعت بنا بامتناع وكأنها تنتقم علينا، راحت تنتظر لنا كأم سرق أحدهم دمية ابنها المفضلة فما الحال إن كان ابنها يصارع الموت لأنه ضحى بروحه من أجل رجل يقف أمامها بكامل صحته، نظراتها كانت تحمل اللوم الشديد إلى «زين» وكأنه السبب في ما يعانیه ابنها فمال نحو أذني وقال:

__ يبدو أنها تحملني سبب ما حدث لـ«معاذ» لم تنتظر لي بهذه الطريقة من قبل .

همست بالقرب منه وقلت:

__ مستحيل ليس لك شأن بالأمر.

__ حسناً تعالي وسنرى.

وبالفعل قوبلنا بنفور تام منها هي ومن معها، حتى أنهم صاروا يتغامزون ويهمسون بأذن بعضهم البعض ونظراتهم مصوبة نحو

«زين» الذي قال بعد السلام والترحيب والسؤال عن صحة
«معاذ»:

__ ما هو وضعه الآن ألا يوجد أي تحسن؟

قالت والدته والدموع تملأ عينيها:

__ الطبيب يقول أنه يتحسن شيئاً فشيئاً وجسده يستعيد حيويته مع
الوقت، لكن لم يفتح عينيه بعد.

قال هو يطالعها بأسى:

__ سيحدث إن شاء الله، هل مسموح لي برؤيته؟ .

تجهم وجهها وقالت ووجها خالي من المشاعر:

__ اعتذر لكن الطبيب منع عنه الزيارة وقال أنه تلقى العديد من
الرصاصات التي أصابت مواضع عدة بجسده، وضعه لا يحتمل
أي إزعاج.

توجهت إليها لأعاتبها على طريققتها في التعامل معه، الواضح
منها أنها تتحامل عليه فقلت:

__ لكن أنا أخي بغيوبة منذ أشهر و لم يمنعنا الطبيب يوماً عن
زيارته، بل بالعكس يحثنا دوماً على التفاعل معه، كما لما أرى
بنظراتك اتهام لـ.....

كنت سأكمل حديثي لكن جذبني «زين» من ذراعي وأوما لها
برأسه وقال:

__ أتمنى له الشفاء العاجل، إن شاء الله سنأتي لزيارته مرة أخرى،
إن احتجت شيئاً أنا موجود لا تتردى في الطلب .

كانت ستتحدث لكن لم يمهنا الفرصة لنستمع لما تقول و سار بي
مسرعاً بوجه متجهم وأعين تملؤها العبرات دون أن ينبس ببنت
شفه، حاولت منعه من السير والتوقف لكنه كان أقوى مني وجرني
كما يجر العامل زكية الغلال من خلفه، وعندما وصلنا إلى مكان
اصطفاف السيارة التفت لي وقال:

__ كيف تتجادلين! معها لديها كل الحق فابنها راقد على فراش
الموت بسببي .

اغرورقت عيني بالعبرات بعد أن وخنني قلبي وقلت:

__ ليس كل مريض يتعرض لغيوبة يكون على فراش الموت أو
مقدر له الموت، هناك أمل كبير أن يعود له وعيه كما أن ما صار
معكما السبب به المجرم ولست أنت، لما تحملك المسؤولية !

__ إنه قلب أم وهذا ابنها الوحيد، أنا راضٍ باتهامها لي يكفي أن
يعود صديقي لوعيه .

وضعت يدي على ذراعه وقلت وأن أتطلع به بنظرات طفولية :

__ هل ستزوجه أختك كمكافئة له لحمايته لك، أم ستحرمه من
عشقه الوحيد؟

عاتبني قائلاً:

__ أيتها المحامية أختي ليست قطعة حلوى لأكافئه بها، هيا لنذهب

إلى خالد لقد تأخر الوقت، ألم تقولي أن لديك قضية بالمحكمة بعد ساعتين!

زفرت بضيق وقلت:

لقد أرسل خالي رسالة نصية على هاتفي المحمول سيتراجع هو بالقضية.

أثناء سيره نحو السيارة كان يتمم ببعض الكلمات أظني التقط بعضها منها عندما قال أحببت طفلة.

قرعت طبول قلبي وراح يرفرف بسعادة و وجدتني أود الصراخ بصوت مرتفع وقول وأنا أيضاً أحببت أوسم رجال بلادي وأكثرهم رجولة ونخوة.

رحبت بنا السيدة أسما والدة خالدة ترحيب حافل على الرغم من فجيعتها لكنها كانت تتحلى بكرم الضيافة، حالها كحال أي سيدة مصرية، القصر كان ملئ بالخدم ورجال الحراسة و به حالة من السكوت والفتور تقتل، كأنه حط الطير عليه، أو كأنه منزل خالي من السكان هناك برودة تشعر بها تسري بجسدك فور مرورك ببهو المنزل، كأن من يسكنه أشباح على عكس الدفء الذي يملأ كل البيوت .

جلسنا بغرفة استقبال الضيوف ننتظر قدوم خالد والذي علمنا من والدته أنه يتغيب كثيرا عن المنزل في الآونة الاخيرة، كانت تنتظر إلى زين بطريقة توحى أن هناك الكثير تود التحدث به، حالتها كانت غريبة بعض الشيء، عيناها تكتسي بدمعاتها، وجها

أحمر متوهج كأنها تكتم بكاءها بصعوبة ويديها ترتجف حاولت التماسك فقبضت على طرف الأريكة الجالسة عليها إلى أن أبيضت مفاصل يدها ،أردت الاطمئنان عليها فقلت:

_سيدة أسما هل أنت بخير ؟

اومأت برأسها وقالت:

_بخير يا صغيرتي.

التفتت برأسها نحو زين وفرت دمعة من عينيها وقالت بصوت مختنق:

_كيف كانت يا ابني؟

حدقنا بها بعدم فهم فالتفتنا لبعضنا البعض نتساءل عن قصدها فقالت موضحة حديثها:

_هند كيف كانت عندما رأيتها؟ هل كانت متأذية بشدة؟ كانت تنزف؟ وجهها البريء هل تشوه؟ وجسدها هل كان به إصابات هل توفيت حقاً قبل سقوطها؟ هل تألمت عندما سقطت، هل تعذبت؟ قل لي يا بني كيف كانت حالة ابنتي عندما رأيتها؟ .

اختلج قلبي من رؤيتها منهارة هكذا وددت النهوض ومواساتها لكن قدمي أبت وتصلب جسدي على المقعد، لكن زين قام بهذه المهمة ونهض متوجهاً إليها وجلس على الأريكة بجانبها، عانق يدها بيديه الاثنان وقال وهو يطالعها بحزن:

_ أقسم لك لم أرى شيئاً منها كما أني ركضت بكل قوتي كي

ألق بها قبل أن تسقط لكنها سقطت ولم أفهم للآن كيف حدث، و
لا أعتقد أنها تألمت لحظة سقوطها...

لم يكمل حديثه وبدى كأنه ابتلع الغصة التي كانت بحلقه فقالت
هي:

_ لم تتألم لأنها كانت متوفاة من قبل، اللعنة عليهم جميعا لو أعلم
من فعل هذا بابنتي .

طمئننها قائلاً:

_ مؤكد سنصل للحقيقة، القاتل سيأخذ جزاءه.

قالت وهي تنظر له بتساؤل :

_ وقاتل مهران؟

تدخلت بالحديث قائلة:

_ لقد انتحر العم مهران.

_ هذا ما أظهرته التحقيقات لكن قلبي يقول زوجي قد قتل فهو لا
يتخلى عن الحياة بهذه السهولة.

هز زين رأسه وهو ينظر إلى الفراغ من أمامه وقال:

_ وهذا رأي خالد.

سمعنا صوته يقول :

_ رأيي بماذا؟

اشرأبت السيدة أسما بعنقها ونظرت نحو الباب وقالت:

_ لقد وصل "خالد" .

تفاجئ بوجودنا ونظر إلينا بتعجب فقال:

_ كنت سأستدعيكم لأمر هام لكن جئت أولاً لأطمئن على أمي.

ألقي علينا التحية وجلس يطالعنا و كأنه يريد إخبارنا بأمر ما
فقلت:

_ لما كنت ستقوم باستدعائنا؟

_ لا يوجد شيء فقط لم نلتقي منذ مدة.

التفت نحو أمه و تابع :

_ أمي لو ترتاحين بالأعلى، لقد حذر الطبيب من مغادرتك
لفراشك.

ابتسمت بتفهم وقالت:

_ حسناً سأصعد إلى الأعلى و أنت ابق مع رفقائك.

ذهب معها ليقوم بمرافقتها إلى الأعلى فزفر « زين » بضيق وقال:

_ اللعنة على "محرك الدمى" و "العقرب" وعلى كل وغد كان له يد
بدموع تلك المسكينة.

فقلت:

__ ليلعنهم ربي ألف مرة، "زين" إلى متى ستستمر معاناتنا؟

__ إلى أن نصل إلى هوية "العقرب" و"محرك الدمى".

هبط «خالد» الدرج راكضاً فوقف ينظر لنا بغضب وقال:

__ أبي لم ينتحر أبي قتل ألقاه أحدهم من الأعلى .

اتسعت حدقتينا وقلنا بنفس التوقيت:

__ ماذا!

تجهم وجهه فركل قدم المقعد وقال:

__ أبي قد قتل.

قال «زين» وكأنه كان على يقين أن «مهران الشهاوي» قد قتل.

__ كيف علمت؟

__ كنت بمكتبي انتظر نتيجة الطب الشرعي لمحت فجأة ظرف
أصفر اللون موضوع على الملفات فوق مكتبي، ولا يوجد داع
لأقول من من هذا الظرف.

قلت :

__ محرك الدمى!

أوما برأسه إيجاباً وقال:

رسالة وفيديو بصورة مشوشة لأبي يتجادل مع أحدهم و ركض

رجل آخر نحوه ودفع جسده ليسقط من الأعلى، ورسالة محتواها
« إن كنت تبحث عن القاتل فمن ألقى والدك من الأعلى هو من
ذهب بأختك لسطح البناية ومن رتب سقوطها من الأعلى ، لا
تبحث بمحيطك بل ابحث بين العقارب»

الفصل الثالث و العشرون

الأمير النائم

أن تكون النائم المستيقظ، الغائب الحاضر، الحي الميت، الغافل عن كل شيء والمدرّك للحقيقة كاملة، العائد إلى الحياة بلهفة والرافض للانخراط بها ومشاركة الآخرين بأكاذيبهم، أن تبذل قصارى جهدك للوصول إلى البر و عندما تطأ قدميك رمال الشاطئ تقرر العودة إلى الغرق بين الأمواج المتلاطمة، رافضاً أن تحسب على الدنيا شخص يدرك بشاعتها ومازال متمسك بالعيش بها، هذه هي مشاعري المتناقضة التي تأجج صدري وكأن بداخلي حريق لا أستطيع إطفائه.

لقد كنت أدرك ما يدور حولي كاملاً لكن لم أستطع التغلب على مرضي والاستيقاظ من غفوتي، كنت أسترق السمع للاعترافات المشينة التي يهمس بها أقدر الأشخاص بحضرتي بأبشع الحقائق على مدار ثماني أشهر لكن جسدي أبى الانصياع لي والتحرك من موضعه، كم تمنيت النهوض والصراخ بهم وتعنيفهم بل ونهرهم بشدة بسبب حقيقتهم المخفية عن سوء خلقهم وقلوبهم التي انتزعت منها الرحمة، عن صورتهم التي اهتزت بعيني، عندما كنت أسمع همسهم وبكائهم كنت في البداية أحاول إبعاد جفوني

عن بعضهم البعض وفتح عيني ورؤية أصحاب تلك الهمسات والتعرف عليهم فبعضهم كنت أسمع صوتهم لأول مرة بحياتي، لكن قامت عيني بعصيانها حالها كحال جسدي.

فاخترت الرضوخ لقدرتي واستمراري بالحياة كمستمع أستمع لبكاء عائلتي المحترقة على حالي، كلمات توأمي المتوسلة لي بالنهوض مرة أخرى، وعتاب حبيبتي على تركي لها ورثاء الاطباء والممرضات حالي، كنت مستمع جيد وصل بي الحال للاستماع لصوت الأجهزة الطبية من حولي، ولاعتراف مرتكب الجريمة المتسببة برقودي على الفراش كالجثة الهامدة والوقوف على الأسباب التي دفعته للقيام بجريمته والتخلص مني، اخترت الرضوخ لقدرتي مجبراً لست مخيراً، قدر لم يكن لي دخل به، إنه صحيح إرادة رب العالمين لكنني دفعت ثمن ذنب قام به الآخرين .

يبدو أن الأطباء قد فقدوا أملهم من عودتي إلى الحياة أو استيقاظي من غفوتي الطويلة وعجز الطب عن توفير العلاج المناسب لي فقرر أبي توفير جميع سبل الراحة والأجهزة الطبية التي تساعد دخول أنفاسي وخروجها بانتظام حتى يرتاح ضميره ويتوقف عن تأنيبه لإخفاقه في معالجاتي كما حدث مع الألوف من قبلي ومن بعدي، حتى أنه قال لي مرة من المرات التي كان يأتي ويفصح لي عن مكنون قلبه أنني لست سوى نفس يدخل ويخرج وأن الطب لم يتوصل لتفسير لحالتي قط، انقطاع أملهم مني جعلني مكب لنفائتهم بئر لأسرارهم فمن أراد التخلص من ذنب فوق أكتافه أو قذارة من قذاراته التي قام بها كان يأتي إلي ويجلس بالقرب مني لساعات

يسمعني الكثير من الحقائق التي تصيبني بالعثيان ولو أطاعني جسدي لأفرغت ما بمعدتي بوجههم لكن للأسف لا معدتي كان بها طعام ولا جسدي كان قادراً على التحرك فاستمعت لحقائقهم لكي تضح الصورة كاملة بعقلي.

لأكون منصفاً لم أستمع فقط طوال غفوتي للحقائق المشينة والاعترافات بالذنوب التي لن أغفرها لأصحابها مهما حبيبت ، لكن استمعت أيضاً لاعتراقات حبيبتي بمشاعرها الجياشة التي كانت تكنها لي ، كنت استمتع وهي تعيد استرجاع ذكرياتنا معاً في طفولتنا و شبابنا، كنت أنتظر اليوم الذي سأحقق به حلمها وأصطحبها من منزلها كعروس كما كانت تتمنى.

كنت دوما ما أنتظر بلهفة قدوم شقيقتي والمكوث بجاني لساعات طوال فهمت من حديثها أنها لم تمل أو تكل من تواجدها بقربي يوماً، كنت أستمع القوة منها عندما كانت تملي علي كلماتها الحنونة، عندما كانت تبث الأمل بداخلي وتحثني على التمسك بالحياة والعودة إليها، استمعت حقاً وهي تحدثني عن ذلك الشاب الشهم الشجاع ذات النظرات الحادة كالصقر، حتى أن الغيرة عليها تملكنت مني وأقسمت بداخلي أنني سأعاتبها على صراحتها بالحديث عنه وأن اقتلع مقلتيه من موضعهما إن كان يستهين بمشاعرهما فتلك الطفلة المدللة تستحق الأجمل من كل شيء.

تمزقت بداخلي عندما كانت تتوسل لي كي أعود إليها وأحميها من براثن الشياطين كانت تتساءل دوماً عن هوية هؤلاء القتلة، كانت تتمنى التعرف على «محر ك الدمى» والتخلص منه، كنت أتمنى أن يمهلني خالقي القوة ويدب الروح بداخل جسدي الضعيف مرة

أخرى لأخبرها عن هويتهم جميعاً، فيا للصدفة من حاول قتلي
أتى إلي وجلس بجانبني وصارحني بمشاعره نحوي، عن أسباب
تخلصه مني، عن الحقد والكراهة الذي ملأ قلبه تجاهي وهذا اللعين
«محرك الدمى» كان يأتي متسللاً خلسة إلى غرفتي ويثرثر
بحقارة فوق رأسي ويتوعد لها وأصدقائها وللجميع ولم يستثنني
أحد، كنت على علم بمعظم تفاصيل خطته والكثير من الحقائق
التي اكتشفتها وأنا طريح الفراش والتي وإن عشت أتمتع بصحة
كاملة لسنوات لم أكن أصل لجزء ولو بسيط منها.

حاولت ولم أياس كان هناك أمل بداخلي أنني سأتغلب على كل
شيء وأقهر المرض وسأنهض مرة أخرى من أجلها، من أجلها
هي لأقف بوجه الجميع وأعاقبهم على ما بدر منهم بحقها، لكن لم
يطاوعني قلبي أن لا أطمئنهما عندما جاءت إلي تتوسل كي أعود
إليها، عندما كانت تحلم باللحظة التي سيخبرها بها طبيبي بعودتي
لوعي لم أتحمّل أن أسمع شهادتها وهي تخبرني أنها تتمنى أن
نطفئ الشموع معاً في عيد مولدنا السادس والعشرون؛ لذلك
قررت طمأننتها أنني معها بجوارها أشد على عضدها وقت الضيق
فأمسكت بيدها وكأنني أقول لها أنا هنا بجوارك يا نصف قلبي
ونور عيني.

كنت أتمنى أن أنهض وأحتوي جسدها الضئيل بين ذراعي، أن
أعانق وجهها بين راحة يدي، واطمئننها أنني عدت إليها مرة
أخرى، تمنيت رؤية الفرحة بأعين الجميع لكن ما علمته من
حقائق وقف حائلاً أمام عودتي إليهم وقررت التخفي خلف عباءة
اللاوعي والغيوبة لأستمع لباقي الحقائق وأكون ملم بالتفاصيل

كاملة وتظهر كل الشخصيات بكامل قذارتهم أمامي؛ كي أتمكن من حماية أحبائي عند عودتي إليهم، قررت أن أعد العدة للمواجهة وقت الحرب، إنه لقرار صعب أن أكون قادراً على إزالة دمعاتهم ومعانقتهم ومشاركتهم سعادتهم بعودتي و أختر الاستمرار بغيوبتي، لكن ليكن سيقومون بمسامحتي ذات يوم، عندما أنقذهم جميعاً من هذا اللعين ومن ذلك المخادع الكاذب .

الفصل الرابع و العشرون

****زين****

الأمر أصبح خارج السيطرة فبعد أن اخبرنا «خالد» أن والده لم
يقم بالانتحار وإنما تم قتله على أيدي رجلان قام أحدهما بإلقائه
من أعلى البناية وكالعادة اختفت تسجيلات كاميرات المراقبة
، أصيبت «أسوة» بالهلع وراحت تبكي ورجحت أن «محرك
الدمى» من فعل هذا ليعاقب «خالد» على شيئاً ما قام به أو أمره
بتنفيذ شيئاً ما وقام بعصيانه ،حاولنا تهدئتها بكل الطرق لكنها
أبت الانصياع إلينا واستسلمت إلى مخاوفها وراحت تهذي باسم
«أمير» فاكشفت أن كل مخاوفها اتجهت صوب «أمير» و خيل
لها أن «محرك الدمى» سيقوم بمعاقبتها بإيذائه كما فعل مع «
خالد» .

كان قلبي يتمزق حيال دموعها التي كانت تتدفق من عينيها
بغزارة ،أدركت شيئاً كنت لا أرى دموع «أسوة» بهذا الكم ولا
يظهر الحزن جلي على ملامحها هكذا إلا إن كان الأمر يخص

شقيقها، حتى أنها تنفذ كل ما يمليه عليها «محرك الدمى» دون تفكير فقط حتى لا يعاقبها به.

انتابني شعور باليأس وقلة الحيلة كنت اراها تبكي وتتعذب ولا تستطيع مساعدتها أو إزالة دمعاتها، وددت كثيراً أنا اجذبها من ذراعها نحو صدري و اخبئها بين اضلعي من شر البشر جميعاً لكن ما باليد حيلة.

خشيت أن تلحظ السيدة «أسما» وضع «أسوة» فطلبت منهما أن نخرج لنتحدث بأي مكان بعيداً عن القصر نهضت «أسوة» بمساعدتي وعندما حاولت التقاط حقيبتها وضع «خالد» يده عليها فرمقته بنظرات تحمل الكثير من علامات الاستفهام بينما كنت أتابع الموقف بصمت، رفع عيناه و صوب أنظاره نحو نقطة ما بركن من أركان سقف الغرفة فكان بها بقعة سوداء اللون صغيرة جداً بالقرب من ثريا كبيرة الحجم متدلية من السقف، رحت انظر نحو "أسوة" لبعض الوقت وأدركت أن «خالد» تعتمد أن تترك حقيبتها التي تضع هاتفها بداخلها لغرض ما، التفت إلى موضع جلوسه فوجدت هاتفه ما زال على الطاولة فكرت بطريقة ما استطيع من خلالها توصيل فكرتي أنا و«خالد» إليها فطلبت منها أن تجلس مرة أخرى وبالفعل جلست جثوت على ركبتني أمامها ونظرت إلى داخل عينيها صار بيننا تبادل أفكار فتعمقت بالنظر إلى عيني وألقت برأسي نحو الطاولة الموضوع عليها هاتف «خالد» وعدت بنظراتي إلى هاتفي الموضوع على الأريكة ازدردت ريقها فتنهدت براحة وكفكت دموعها وقالت:

_ لنذهب يبدو أنني تأثرت بموت العم "مهران" .

أوما خالد برأسه إلى الأسفل وقال:

__ هيا نستنشق الهواء النقي بالحديقة، أمي محبة للطبيعة ولديها هوس بجميع أنواع الزهور، هيا إلى الخارج لننتفس عبيرها ويغسل صدورنا من الهموم التي تملؤها.

تمتت «أسوة» ببعض الكلمات وهي تنهض وقالت:

__ لو اغتسلنا بمياه المحيط و استنشقنا عبير ورود العالم أجمع لن تمحى همومنا.

ترك كل منا هاتفه بالداخل وحقيبة «أسوة» أيضاً أي ابتعدنا لبعض الوقت عن أذان وأعين هذا اللعين، سرنا سوياً إلى أن ابتعدنا عن القصر ويبدو أن «خالد» اختار مكان وقوفنا بعناية حيث توقفنا بالقرب من نافورة مياه موجودة بالحديقة الكبيرة الملحقة بالقصر، صوت خرير مياهها كان يملأ الأجواء.

التفت حوله بتوجس فركل الأرض بقدمه وقال :

__ لقد اخترق بيوتنا وهواتفنا وأماكن عملنا، حتى أنه وصلت به الجراة أن يضع جهاز تنصت بمكتب ضابط شرطة .

فغرت فاهي وأنا استمع إليه بينما قبضت «أسوة» على ذراعي بشدة فقلت:

__ هل هذا تفسير معرفته بكل شيء يدور حولنا.

اجابني :

__ وضع كاميرات مراقبة وأجهزة تنصت بكل مكان، حتى أنني
بت متأكداً أنه يتلاعب بنا كعرائس ”الماريونيت“ كما يقول
بفعل تلك الأجهزة، لولا معرفته بما يدور بحياتنا لما سيطر علينا
سيطرة كاملة هكذا.

هزت «أسوة» رأسها يميناً ويساراً وقالت :

__ لم تعد قدمي تحملني سلب مني راحتي و اطمئناني هذا اللعين.
جلست تفترش الأرض المزروعة بالحشائش وقالت وهي ترثي
حظها:

__ هل لديكم توضيح لما يدور الآن، من يقوم بجرائم القتل تلك؟
ومن يصورها؟ كيف يعلم هذا اللعين أن تلك الجرائم ستحدث؟ ما
علاقتنا بالأمر؟ ”خالد“ علاقه أنه شقيق ”هند“ ، ”زين“ و”معاذ“
يعملون بالجريدة وأراد ”العقرب“ التخلص منهما فدبر هذا الحادث
اللعين، لكن أنا ”أسوة ناجي العاصي“ ما علاقتنا أنا وأخي بكم
و”بهند“ وبهذا اللعين الذي يرسلنا؟ ليوضح لي أحدكما ما علاقتي
أنا بكل هذا الهراء؟

زفر «خالد» بضيق فقال:

__ على الرغم من فاجعة مقتل أبي إلا أنني كرسيت حياتي الفترة
الماضية للتفكير بأعمال ”محرك الدمى“ وهذا اللعين المدعو
”العقرب“ و وجدت تفسير لكل شيء صار معنا منذ وفاة ”هند“ إلا
تواجدك أنت يا ”أسوة“ بداخل القضية، لم أجد له أي تفسير فكان
لابد من التعمق أكثر في حياتك لذلك قمت بالتحري عن حادثة

الاعتداء على شقيقك فهذا هو الحدث الإجرامي الوحيد بحياتكم وأعتقد أن له علاقة بالأمر، والدك رجل دين ذو خلق، جراح من كبار جراحي بلادنا ولم يسبق له أن حدث بينه وبين أحد مشكلة من قبل، بل على العكس، والدتك امرأة فاضلة إذاً لما يحاول أحدهم قتل شقيقك بتلك الطريقة مؤكد هناك شيء لا تعرفينه عن عائلتك، أو عن أمير بالتحديد .

انهمرت دموعها بغزارة على وجهها فوضعت يديها عليه لتواري دموعها خلفهما وقالت بصوت متشنج:

__ لأكثر من ثمان أشهر افكر بالأمر ولم أجد تفسيراً لما حدث معه، لا يوجد لدينا عداوة مع أحد لم يسبق لأي منا أن افتعل المشكلات، لكن انهالت المصائب على رأسي بعد محاولة قتله، أرجوكم خلصوني منهم لم أعد احتمل قلبي يحترق و أموت باليوم مائة مرة بسبب خوفي أن يقوم أحد بإيذائه .

رفعت وجهها نحوي وبدت ملامحها كطفلة تغرق وتطلب النجدة من أحدهم وتابعت:

__ “زين” أعلم أنت بجانبي ولن تتركني لكن لم تعد لدي القوة للتحمل أرجوك لينتهي هذا الأمر.

جلست بجانبها غير مكترث لوجود « خالد » معنا، عانقت يدها بيدي التي وضعتها على الأرض لتستند بها وقالت :

__ أقسم لك لن يطمئن قلبي إلا بعد أن اخلك منهم جميعاً، لا تقلقي الأمر أوشك على الانتهاء فالصورة بدأت تتضح بعيني

كاملة .

رفعت وجهي ونظرت نحو «خالد» المتابع لحوارنا بصمت
وقلت:

_ أن الألوان للتلاعب ”بمحرك الدمى“ وبدلاً من أن يحركنا هو
كالعرائس بين أصابعه سنفعل نحن.

أوماً «خالد» برأسه إلى الأسفل فقال:

_ هذا ما نويت فعله.

تدخلت «أسوة» بالحديث قائلة:

_ وكيف سيتم هذا وهو يراقبنا أربع وعشرون ساعة؟

قلت:

_ يراقبنا عن طريق أجهزة التصنت التي وضعها بكل مكان ولا
أعلم كيف تمكن من فعل هذا! على الرغم أنني سأقوم بتنظيف
منزلي من تلك الأجهزة اللعينة إلا أننا سنجعله يتوهم أننا مازلنا
نطيعه ونعمل تحت أمرته، سنلتقي دوماً بأماكن عامة وحينها
نترك هواتفنا بسيارتنا .

صوبت انظاري نحو «أسوة» وتابعت:

_ وأنتِ يا ”أسوة“ حقيبتكِ لن تحضرها معكِ أثناء لقاءاتنا تلك،
من الممكن أن يكون وضع بين مقتنياتها شيئاً.

نظرت لي بريية وقالت:

ولما ستنظف منزلك من تلك الأجهزة بعد أن قلت سنتظاهر
أننا لا نحاول التلاعب عليه؟

و ستفعلين نفس الشيء بغرفتكِ، لن اسمح لهذا اللعين باقتحام
منزلي وخصوصية أسرتي وأيضاً لن اتركه يتجسس عليكِ
بغرفتكَ الخاصة.

لمعت عيناها وظهر عليها الارتباك فتهربت بأنظارها بعيداً عني
وقالت وهي تنظر نحو المياه المتدفقة من النافورة:

__ سنغضبه هكذا ومن الممكن أن ينفذ تهديده .

لن أترك رجل غريب يقوم بالتجسس على أُمي و اخوتي وأنتِ
أيضاً من خلال تلك الكاميرات.

أومأت برأسها وهممت بتهكم قائلة:

__ إنه العرق الصعيدي يا ابن الصعيد.

ابتسمت رغم الجو المحرق المتواجدون به فقلت موجهة حديثي
إلى خالد:

__وأنت أيها الشرطي ماذا تقترح علينا أن نفعل؟

__سننفذ ما قلته للتو وأنا سأكثف مراقبة الجميع أكثر عن ذي قبل،
أسوة ستمارس حياتها كأن شيئاً

لم يكن، أما أنتِ مهمتك أن تعمل بصمت وفي الخفاء على ملف
«العقرب» والمعلومات التي كنت تنشرها بالجريدة قبل وفاة

هند رحمة الله عليها لعلك تجد طرف خيط نتوصل من خلاله إلى العقرب وأيضاً لا تحاول البحث عن عمل ابراهيم فاضل بدأ بالحرب ضدك اكتفي بالعمل على القضية وأن احتجت شيئاً أنا موجود.

ابتسمت وقلت:

_ لا يا صديقي الأمور بخير للغاية، أنا أتخذ الصحافة هواية وليست مهنة، وشكراً لك على كل شيء.

سألته أسوة مستفهمة:

_ تقصد أننا سنعمل على كشف العقرب؟

أجابها:

_ سنعمل على كشف العقرب لعلنا نصل إلى محرك الدمى لكن أنا مهمتي هي التوصل لمحرك الدمى فهو بيديه جميع الخيوط إن تم القبض عليه سيزول الخطر الذي يحاوطنا وسنصل إلى العقرب وباقي أعضاء مافيا تجارة الأعضاء من خلال الأدلة التي يزعم أنها بحوزته، هكذا سنتخلص من بلاؤهم جميعاً.

تطرقت إلى الأمر الذي يعنيها والذي أصابها بالرعب الشديد من البداية ألا وهو من هو القاتل الحقيقي فقالت:

_ برأيك من هو قاتل والدك وهند ومن حاول قتل زين؟

_ اطمئنني يا فتاة ليس محرك الدمى أنه العقرب من الواضح أنه ضحية من ضحايا العقرب.

كانت «أسوة» تعتقد أن من قتل «مهران الشهراوي» هو «محرك الدمى» وذلك ليعاقب «خالد» على شيئاً ما قام بفعله، وازدادت مخاوفها خوفاً من أن يتم معاقبتها عن طريق «أمير» هي الأخرى لكن يبدو أنها اقتنعت واطمئن قلبها بعد حديث «خالد».

غادرنا قصر عائلة «الشهراوي» سوياً رفقة سائقها الذي اقلنا إلى منزلي ليتم توصيلي أولاً، كانت شاردة للغاية طوال الطريق انظارها مصوبة نحو نافذة السيارة يبدو أنها كانت محقة عندما قالت أنها لم يعد لديها قوة للتحمل أكثر فمهما تظاهرت بالقوة ستظل فتاة وضعيفة فتوجب علي طمأننتها ولم أجد سوى مشاعري الصادقة لتتولى هذا الأمر، حركت يدي بتوجس ووجهتها نحو يديها الموضوعة على الأريكة الخلفية للسيارة وقلت:

__ كفي عن العبوس كل شيء سيصبح بخير .

التفتت نحوي فوجدت الدموع تتحجر بعينيها وملامحها حزينة لأبعد الحدود وقالت:

__ حقاً هل سنتخلص من هذا البلاء؟

رسمت بسمة واسعة على وجهي وقلت لأزيد ثقتها بنجاتنا:

__ سنتخلص جميعاً كما أشعر أن الأيام المقبلة تحمل بطياتها الكثير من السعادة والأمل، هناك شيء آخر أود قوله لكن لا الزمان ولا المكان يسمح ربما لاحقاً.

تشنجت ملامحها وتحركت أهدابها بسرعة وظهر عليها الارتباك فتمتعت وهي تعاود النظر إلى النافذة:

__ إن شاء الله.

مر اليوم بسلام قمت بالبحث كالمجنون عن أي أجهزة تنصت قد تكون موجودة بمنزلي واكتشفت أننا نتعامل مع مجنون بحد ذاته فالمختل قام بوضع أجهزة تسجيل صغيرة الحجم للغاية بكل مكان بالمنزل، بالثرديات والستائر، اللوحات المعلقة بالجدران ببساطة بكل مكان يصعب علينا الوصول إليه .

حمدت ربي أني قمت بحماية نساء بيتي من أعين هذا اللعين على الرغم من أني كنت احترق بداخلي على تجسسه علينا طوال الفترة الماضية .

و ذات ليلة كنت استلقي بغرفتي على السرير وأتظاهر بالنوم بينما كنت أضع مخطط للتوصل إلى «العقرب» ، دموع «أسوة» كانت تأتي إلى مخيلتي من وقت إلى آخر صحيح كان قلبي يتألم من أجلها لكن كانت حافزاً لي كي اتوصل إليه بأقرب وقت وأخلصها من عذابها .

انتشلتني من خلوتي تلك باب غرفتي وهو يفتح بعنف؛ اختلج قلبي وتخيلت أن كارثة ما قد حلت فنهضت مفزوعاً وقلبي يكاد يتوقف، كانت «حنان» من فتحت الباب فقالت :

__ ”حنان” ماذا هناك هل حدث شيء لما تبكي هكذا؟

تطلعت نحوي ولم تنبس ببنت شفه فقط وقفت تذرّف دمعاتها بصمت،

نهضت وقلت:

__ "حنان" ما بك هل أمي بخير؟

انهالت علي بوابل من الكلمات والمشاعر التي تدفقت بغزارة مع دمعاتها وقالت:

__ لقد استفاق يا "زين" عاد وعيه، عاد لي.

ذهبت نحوها بعدم تصديق وقلت بعد أن غمرتني السعادة:

__ "معاذ" هل تقصدينه هل نجا؟

اومأت برأسها بسعادة ودموعها تختلط مع ابتسامتها جذبتها من كتفها وعانقتها وأنا أردد كلمات الشكر لفضل ربي علينا، شعرت أن حمل جبال قد أزيح من على اكتافي فتنفست براحة وابتسمت لها قائلاً:

__ حمداً لله على سلامته غداً صباحاً سنذهب لزيارته.

امتعض وجهها وعاد الحزن يرسم على محياها وقالت:

__ ألا يمكن الآن؟

حركت رأسي يميناً ويساراً رافضاً وقلت:

__ لن تذهب أختي بمنتصف الليل لزيارة أحد، لست برجل عصري لأوافق على هذا، الدماء التي تسري بشراييني هي دماء "صالح أبو نجم" إن نسيت، صباحاً نذهب جميعاً.

وافقت بعد أن طأطأت رأسها إلى الأسفل خجلاً ورحلت من الغرفة أعتقد متمنية أن يحل الصباح بفارغ الصبر، لم تكن هي

فقط من تتمني مجيء الصباح بل أنا أيضاً قضيت ليلتي أعد
الثواني قبل الدقائق كي يحل الصباح واطمئن على حال صديقي
وأرى تلك الطفلة التي لا يحلو يومي إلا برويتها.

يبدو أن النعاس قد غابني وغفوت لبعض الوقت واستيقظت على
صوت رنين هاتفي افترق جفنا عيناى بصعوبة بالغة نتيجة
للسهر لوقت متأخر، التقط هاتفي لأجد أن المتصلة هي «أسوة»
مررت أصابعي على شاشته لتبدأ المكالمة كان صوتها حزين
ومرتبك ففهمت أن أمر ما قد حدث؛ سألتها فأخبرتني انها وجدت
البارحة رسالة من «محرك الدمى» وكالعادة بعد قراءتها اختفت،
كان محتواها أنه يطلب منا ثلاثتنا أنا وهي و«خالد» أن نلتقي
بالشقة التي قمنا بتأجيرها لنجعلها مقر لقاءاتنا بعيداً عن أعين
والدها، الذي كف عن منعها من لقائي أنا أو عائلتي ولم نعلم سبب
هذا التغير المفاجئ، فأخبرتها أن تلتقي بي هناك بعد أن أذهب
للاطمئنان على «معاذ» .

وبالفعل ذهبت رفقة «حنان» إلى المشفى لم تتغير معاملة والدته
لي لكن على العكس تماماً كانت تتعامل بطيبة وحب بالغ مع
«حنان» كانت عيناها تلمع من كثرة الفرحه بسبب عودة ابنها
إليها ولم تكف عن رفع يديها إلى الأعلى والنظر إلى السماء
لتشكر ربها عندما تجده يتفاعل معنا من خلف اللوح الزجاجي
الفاصل بيننا، تغلبت علي رجوليتي ونخوتي عندما لاحظت
النظرات والابتسامات التي يتبادلها مع «حنان» فعقدت حاجبيك
محذراً إياه ارتسمت بعدها بسمه على محياه؛ فوضع يده على
وجهه ليواريه من خجله، حاله كحال اختي التي توردت وجنتيها

بحمرة الخجل عندما همست إليها ببعض الكلمات، نتيجة لمنع الزيارة عنه رحلنا على أمل العودة بيوم آخر وتكون حالته تحسنت .

قمت بتوصيل « حنان » إلى المنزل وتوجهت إلى اصدقائي بمقر اجتماعاتنا، دلفت إلى داخل الشقة لأجد « خالد » يقف شارداً ذهنه بالقرب من النافذة هتفت باسمه مرتان وفي الثالثة التفت لي فقلت:

__ ما بك يا رجل هل أنت بعالم آخر!

وقبل أن يجيب سبقتة «أسوة» بالحديث وقالت:

__ ترى لما طلب منا المجيء.

التفت إليها وفوجئت بدموعها تغرق وجهها فقلت بنبرة حنونة :

__ “أسوة” ما بك؟

__ الخوف يتملكني.

لم أقاوم نظراتها الطفولية، وملامحها البريئة وجمال عيناها وسقطت ضحية عشقها فملت برأسي نحو أذنها وهمست:

__ تماسكي أيتها الجميلة لحظة الخلاص قد حانت، لاحقاً ستعلم جيداً أن طرقاتنا لم تكن ستنقطع يوماً ولا بد أن اجتماعنا هذا كان لسبب لا يعلمه إلا رب العالمين.

الفصل الخامس و العشرون

محرك الدمى

اسلوب الهمس بالأذان والتحدث في الخفاء بات يزعجني كثيراً لكنه بنفس التوقيت كان مثيراً للشفقة، أين رأيتم عرائس ماريونيت يقومون بعصيان محركهم! مؤكداً لم تحدث من قبل فمحرك الدمى هو من يبعث الحياة بعرائسه وإن قرروا عصياني يوماً ما إذا نهايتهم اقتربت ولا بد من وضعهم على الأرفف و البحث عن عرائس غيرهم لأكمل بهم مسرحيتي، هذا ما نويت فعله فإلى الآن زين، أسوة و خالد هم أبطال حكايتي على خشبة المسرح، لكن أن يصل بهم الحال للتمرد علي ومحاولتهم كسفي إذاً لابد من معاقبتهم بالعقاب الذي يستحقونه وجلب عرائس غيرهم وتسليط الضوء عليهم وهذا ما كنت شرعت بتنفيذه فعلاً.

طلبت منهم الحضور إلى مقر اجتماعاتهم، أكثر من كان يقلقني من بينهم هو خالد فهو شرطي وعمله كشف المجرمين وإن اجتمع بالعمل مع صحفي ماهر مهمته هي كشف الحقائق كزين سيكون موقفي صعب، وما زاد الأمر سوءاً هو أن شريكتهم الثالثة محامية، عملهم هو كشف الحقائق والبحث وراء المجهول، فأردت تشتيت ذهنهم وصرف انتباههم عني على الرغم من تأكدي أنهم لن يستطيعوا كشف هويتي إن لم أقرر أنا

ذلك؛ فتركت لهم رسالة وملف به عدة مستندات ستقلب الموازين رأساً على عقب .

كانوا ثلاثتهم يقفون ويظهر عليهم القلق حيث رفع خالد يده بالمظروف وقال:

_ لا يوجد داعي أن أخبركم ما سيحدث لنا فور قراءتنا لرسائل هذا اللعين.

تحدثت تلك الصغيرة الساذجة بعفوية وقالت:

_ سنفقد الوعي جميعاً.

نظر زين صوب خالد وبدى كأنه يفكر بشيء ثم ابتعد عنهم قليلاً وقال:

_ لن نقرأها جميعاً.

التفتت إليه أسوة بفزع وقالت:

_ ماذا تقصد؟

_ من أراد أن يقرأ فليقرأ، لكن أنا لن أفعل .

ركض متوجهاً إلى خارج الشقة بعد أن باغتني على غفلة بحركته تلك ، هو أراد هذا لكي يكتشف المفارقة التي تحدث من لحظة قراءتهم الرسائل واستيقاظهم ليكتشفوا أن الرسالة اختفت والوقت قد مر، لكن أنا اقسمت على إصابتهم بالجنون وسأفعل و من يقف بطريق خطتي سيعاقب وهذا ما نويت فعله، فكرت كيف أمنع زين من تمرده على فجازفت بشيء أول مرة كنت أقوم به

وكان من الممكن أن يسبب لي المتاعب، لكن ليكن إن حدث هذا كانوا سيشعرون أنهم انتصروا علي، وأنا لن أسمح بهذا مطلقاً، خاصة من ثلاثتهم.

قمت بإرسال رسالة نصية على رقم هاتف أسوة كان محتواها إن لم يعد زين إلى داخل الشقة خلال ستون ثانية سيدفع شقيقك ثمن تمرده، كما أنه سيعاقب على فعلته تلك عقاب عسير حتى وإن عاد إلى الداخل

ألقيت الهاتف بإهمال على إحدى الطاولات وركضت باتجاه باب الشقة وتوسلت إلي زين كي يذلف إلى الداخل مرة أخرى و بعد أن بكت و أقسمت انها لن تسامحه إن لم يفعل؛ رضخ لها وعاد للداخل مرة أخرى و شرعوا في قراءة المستندات التي أرسلتها لهم وقد كانت عبارة عن أدلة لصفقات مشبوهة و تجاوزات مالية قد قام بها مهران الشهاوي قبل وفاته بسنوات، عقد زين حاجبيه فور قراءته المستندات و راقبت أسوة ردود أفعال خالد الذي تجهم وجهه وتدفقت الدماء بعروقه وهدر قائلاً:

__ ما هذا الهراء مؤكد هذا كذب؟

اجابته أسوة:

__ ماذا يقصد هذا اللعين بالرسالة وتلك الملفات.

حذق زين بالفراغ أمامه فقال وهو شارذ الذهن:

__ معاقبتنا، محرك الدمى يقصد معاقبتنا.

جذب الملف من ايدي خالد فحرر الرسالة من الظرف المحكم عليها بعناية وبدأ بقراءتها بصوت مرتفع، بعد أن طلب منهم الجلوس على الأريكة تحسباً لما سيحدث لاحقاً.

مرحبا يا رفاق كيف حالكم هل أنتم بخير؟ مؤكد بعضكم على ما يرام كأسوة و زين فلقد عاد الغائب وفتحت الأعين التي أغضمت لفترات طويلة، وتهالت أسارير البعض وهناك أشياء تتولد داخل البعض تجعلهم يصابون بالرجفة وخفقان القلب وأفعالهم باتت طفولية، أيضاً هناك حقائق مخفية ستظهر على العلن وتحطم القلوب وهناك من ستسوء سمعته وسمعة والده على يد صديقه عقاباً له على التدخل فيما لا يعنيه ومحاولة رسم الخطط بعيداً عن أعين محرك الدمى، إن كنتم تتساءلون عن من ستتم معاقبته سأجيبكم، سأعاقب حضرة الشرطي بنشر تلك المستندات التي تدين والده وستضره بعمله وتجعل أسهم شركاتهم تنهار، زين سأعاقبه بتحطيمه لحياة صديقه الذي وقف بجانب عائلته ، أما أسوة سيكون عقابها متوقف على قرارات أصدقائها فإن لم تنتشر تلك المستندات على العلن بصفحة زين الرسمية على أحد تطبيقات التواصل الاجتماعي ستتم معاقبة أسوة بشقيقتها أما إن تم الأمر وأصغيتم لأوامري، ستتم مكافأتكم وينعقد لقاء يضمنا معاً أسميته المشهد الأخير لمسرحيتي، لنضع النقاط على الحروف وننهي لعبتنا، لكن قبل كل هذا هناك دمية سنودعها وترحل لتجتمع بمن سبقوها أو دعونا نقول سبقونا جميعاً

لا أستطيع أن أصف حال ثلاثتهم، أكثرهم غضباً كان خالد ودهشة كان زين أما الانهيار كان من نصيب أسوة و في

خلال ثواني عم الصمت بالمكان وغفى الجميع بثبات لبعض الوقت وفي تلك الأثناء مرت نصف ساعة حدث بها الكثير سأطلعكم عليه لاحقاً.

أول من استيقظ كان زين فوجد أسوة تضع رأسها على كتفه أراح رأسها ليصبح فوق صدره و بدأ يصفع وجنتها برفق لتستيقظ، وبالفعل استيقظت مفزوعة ولحق بها خالد تبادلوا النظرات للحظة فعاودت بكاءها وهي تقبض على يد زين دون وعي منها وبدأت تتوسل إليه وتقول:

_ زين أرجوك لا تفعلها لا تعارضه، نفذ له رغبته وإلا سيقتل أخي .

سحب يده من أسفل يدها وقال:

_ لا أستطيع أن أفعل هذا بصديقي، كما أنني لم اغتاب أو افشي سر أحد قد توفي من قبل، لن افعل إن واجهت أواجه رجلٌ حي سيستطيع الدفاع عن نفسه .

نهض خالد وتطلع بهم بثقة فقال :

_ أنا موجود سأواجهك وأدافع عن أبي .

حدقا به، فقالت أسوة:

_ هل ستسمح له بنشر المستندات؟

__ إن كان أبي مذنباً لما يدفع شقيقك الذنب، "زين" سيقوم بنشر المستندات وإن كان أبي بريء سأظهر براءته أما إن ثبتت إدانته حسناً لن دفع ثمن خطايا أبي .

نهض «زين» وهدر بهم قائلاً:

__ بالطبع لن يحدث أنا لن أحاربك لن أدمر مستقبل صديقي.

أجابه «خالد» :

__ لكنك ستحرق قلب "أسوة" .

__ومن قال أنه سيقول شقيقها.

توسلت إليه بعد انا أزال دمعاتها وقالت:

__ بلا سيفعل سيعاقبنا به وحينها لن أسامحك مهما حييت، ليكن بعلمك.

تحرك «خالد» نحوه فوضع يده على كتفه وربت عليه وقال:

__ افعل ما يتوجب عليك فعله تجاه هذه الفتاة، لا تخذلها، أما أنا سأفعل ما يمليه علي ضميري، لن أطلب منك أن تشن حملة على أبي بتقرير صحفي أو مقال تقشعر له الأبدان، فقط انشر المستندات لعلي أجد ما ابرأ أبي به، لكن من فضلك أرسل لي نسخة قبل النشر .

وهكذا شنت ذهن الأصدقاء وأحدثت فجوة بينهم أو على الأقل بين عائلاتهم فوالدة «خالد» تؤكد ستصدم مما سيحدث ولن

يستطيع تبرير خيانة صديقه أمامها فلم يخبر أي منهم عائلته بشأن ما يحدث بيننا؛ مما سيجعلها تضغط عليه وتضيق عليه الخناق وتفقده تركيزه وهذا ما أريده.

على الجانب الآخر كان يجلس «هشام» كالذليل أمام رب عمله فهو لم يقم بتنفيذ ما أمره به والمهلة التي حددها له كي يصل إلى هوية مرسل التهديدات والتسجيلات انتهت، لكن كالمتوقع لم يصل إلي أي شيء يدلّه على مكاني ولم يتوصل إلى معلومة واحدة تكشف هويتي لهم، فقط فراغ ذهب إليه مطاطا الرأس فارغ اليدين، كنت قد نويت تسليط الضوء على هذا الفريق لكن يكفيني الآن الخوف الذي أصابهما هما الاثنان وقررت انهاء دور أحدهم .

لأوضح لكم عرائسي كانوا منقسمين إلى فريقين، فريق العقرب وذراعه الأيمن، وفريق الصحفي وأصدقائه، كنت غاضب منهم جميعاً لكن كنت بمرحلة التلاعب بفريق «العقرب» وعقاب فريق الصحفي؛ لذلك لم اقم بإرسال أي رسالة إلى العقرب ولكن اكتفيت بكارت ذاكرة به الفيديو الكامل لمقتل «مهران الشهاوي» وهذا كان كفيل بزعة كيانه وإصابته بالجنون وجعله ينفذ كل ما أمليه عليه .

أرسلت له الكارت عن طريق البريد بعنوان وهمي حتى لا يستطيع التوصل إلي، فقد لاحظت أن الشرطي بدأ يضيق الحلقة من حولي وأصبح تحركي صعب للغاية .

كانت هناك معلومة صغيرة توصلت إليها بمحض الصدفة

بمساعدة صغاري الإلكترونيين المزروعين بكل مكان، وشعرت أن وقت استخدامها قد حان وكما قلت سابقاً سأجعلهم يصابون بالجنون وكل منهم كي يحافظ على روحه سيقتل الآخر، لكي أبرهن لفريق الصحفي أنني لا أقول كلام وحسب سأنفذ آخر جملة كتبتها بالرسالة وأرسل أحد عرائس الماريونيت في رحلة إلى رفيقاتها في السماء وقد وقعت القرعة التي أجريها في كل مرة أقرر أن أتخلص من دمية من دماي على اسم هشام، فأنا كتبت أسماءهم جميعاً على أوراق صغيرة و وضعتها بوعاء زجاجي دائري يشبه أحواض السمك الصغيرة وفي الوقت الذي أقرر فيه خفض عدد عرائسي أقوم بالقرعة والاسم الذي يخرج بين يدي يكون الراحل القادم، بالطبع هناك اسمان لم اكتبهما لأنهما سيكونان آخر الراحلين نظراً لكبر ذنبيهما.

شاهد العقرب الفيديو وهو يتصيب عرقاً فهو دليل إدانة قوي ضده، التفتت إلى هشام وقال:

__من أين حصل على هذا؟

فأجابه:

__أقسم لك لا أعلم شيئاً وحاولت الوصول إليه لكن حقاً لا يوجد أي ثغرة تدلنا عليه أقسم لك فعلت ما بوسعي وأكثر.

حرك رأسه ببأس وتابع الفيديو إلى أن سقط مهران من الأعلى، تحولت شاشة الحاسوب فجأة إلى بقعة سوداء وبها رسالة مكتوبة محتواها أقرب المقربين لك هو عدوك اللدود، لا تثق بأحد فأول وأكبر جرح بقلبك قام به هشام والنيران المندلعة

بداخلك ولا تعلم كيف ومتى ستنتطفئ، من أشعلها هو ذراعك
الأيمن، لتكن تلك ثاني صفة مني أيها العقرب

حذق هشام بالشاشة مفزوعاً فنهض و انتابته حالة من الهلع فهو
يعلم مدى ذكاء ودهاء العقرب كما كنت على يقين من هذا، على
قدر ذكاء العقرب كانت قذارة هشام الذي طعنه من قبل بظهره
وسلب منه أغلى من يملك، وقد فهم العقرب ما أعنيه نهض
مسرعاً وقبض على تلايبه فهدر به و كاد الشرر يتطاير من
عيناه قائلاً:

__ أنت يا هشام أنت من فعلها آخر شخص كنت أشك به هو أنت،
كيف جاءتك الجرأة لتفعل هذا شككت بالجميع سواك!

حرك رأسه بفزع نافياً ما يقوله العقرب فدافع عن نفسه قائلاً:

__ لا أقسم لك أنه كاذب، هل تصدق مبتز وتكذبني أنا لقد كنت
بخدمتك لسنوات؟

نفض العقرب يديه من على ملابس هشام فعاد الأخير إلى الخلف
وهو يتطلع به بتوجس فقال العقرب:

__ كلمة واحدة يا هشام فعلتها أم لا؟ إن كذبت أقسم لك لن اسامحك
وسيكون عقابك عسيراً وأنت تعلم غضبي، لكن لم تجرب به بعد.

اتسعت حدقتا هشام وتجمعت العبرات بمقلتيه فاسترسل بالحديث
قائلاً:

كانت هوياتنا ستكشف أقسم أني فعلت هذا لحمايتنا وإلا سرنا
كان سيفشى للجميع، فعلت هذا من أجلك وأنا نادم حقاً وكل ليلة
أشعر بتأنيب الضمير، لكن لم يكن أمامي حل آخر لمنع كشف
هويتك.

نظر إليه العقب فآغراً فاه وقال:

آخر شيء كان يخطر على بالي هو هذا، لكن ليكن هذا عقابي
لثقتي بك والتي لم أمنحها بحياتي لأحد قط كما فعلت معك.

وبلمح البصر وسرعة البرق الخاطف كان يخرج من جيب سترته
سلاح صغير الحجم به كاتم صوت وصوبه على جبين هشام
ليترك له رصاصة بمنتصف جبينه كمكافأة نهاية الخدمة له.

وكان هذا عقاب هشام عن حمله هند ووضعها على حافة سور
البناية وكونه كان أداة في تنفيذ خطة إلقاءها من الأعلى .

والآن حان وقت اتخاذ قرار إنهاء اللعبة ومعاقبة الجميع بالعقاب
الذين يستحقونه و اسدال الستار على مسرحية محرك الدمى، لكن
لكي يحدث هذا كان لابد أن أضع الخطط المحكمة وهذا ما اتخذت
قرار العمل عليه لمدة أسبوعاً كاملاً وهو الفترة الزمنية ما بين
مقتل هشام والمشهد الأخير من المسرحية.

الفصل السادس و العشرون

أسوة

زاد الأمر تعقيداً بعد قيام زين بتنفيذ ما أمرنا به محرك الدمى، فجميع وسائل الإعلام راحت تتحدث عن قضايا الاختلاس والرشوة التي قام بها مهران الشهاوي قبل وفاته، وأصبح حديث الناس هو الحملات التي بدأ زين بشنها على الجميع فبعد أن نشر الوثائق والمستندات التي تدين مهران أرسل إليه محرك الدمى مستندات وصور لأطفال يتم إجراء عمليات استئصال أعضاء جسدكم، هؤلاء الأطفال تبين أنه تم التبليغ بواسطة ذويهم عن اختفائهم من قبل.

قامت السلطات المعنية بفتح تحقيق موسع فيما ينشره زين على صفحته الشخصية على موقع التواصل الاجتماعي «فيس بوك» كما بدأ أهالي الأطفال الوارد ذكرهم بالتحقيق والذين تم نشر صورهم، بملاحقة زين ومنهم من اتهمه أنه على علاقة بالخاطف ومنهم من توسل إليه لكي يدلهم عن أماكن جثث أطفالهم.

كما أنه تعرض لهجوم من والدته وشقيقتيه، صحيح أن الفتاتين اكتفيا بالتذمر والضيق لكن والدته أبدت رفضاً قاطعاً لما قام به ونعته بناكر الجميل ونهرته بشدة على ما فعله بخالد بعد أن اهتم بالجميع أثناء مرضه .

أما عن «خالد» فقد بدأ يشتكي أن الأمور بينه وبين والدته ساءت بعد إيقافه عن العمل لحين انتهاء التحقيقات وتبين مدى تورطه في الأمر من عدمه، كان «زين» في موقف لا يحسد عليه، من جهة أوامر «محرك الدمى» لا تنتهي ولا نجرؤ على رفض تنفيذ أي منها وإلا ينفذ تهديده، ومن جهة أخرى الجميع يستنكر هجومه على «مهران الشهاوي»، انخفضت قيم أسهم شركات «الشهاوي» بالأسواق ويوم بعد يوم بدأت في الانهيار ولم يستطع «خالد» إثبات براءة والده أو تقديم ما ينفي الاتهامات التي يقوم «زين» بنشرها وبالأدلة.

قام «زين» بالاعتذار من «خالد» آلاف المرات فكان يقابله الأخير بابتسامة وصدر رحب ويهون عليه مأساته وصار يقنعه أن «محرك الدمى» السبب بكل ما كنا نمر به وعلى الرغم من الأزمة التي ورطنا بها هذا اللعين إلا أننا استمررنا بالعمل في الخفاء لنتوصل إلى هويته هو و«العقرب»، لكن النتيجة كانت صفر لم نتمكن من الوصول إلى معلومة واحدة خاصة بهم، أصابني اليأس على عكس «خالد» و«زين» لقد كان إصرارهم يزيد يوماً بعد يوم، فبعد كل أزمة تحدث بسبب تداعيات ما ينشره «زين» كان يقسم أنه لن يترك هذا المبتز بدون عقاب.

ونتيجة لأنه لم يتعافى بشكل كامل وبدأ يمارس حياته قبل أن تنتهي فترة علاجه بجانب الضغوطات النفسية التي كان يمر بها، وسوء معاملة والدته له دون أن تفهم أسباب ما يقوم به؛ أصبح لا يهتم بطعامه ولا يتناول علاجه بانتظام وبدأت ألاحظ أن وجهه يزداد شحوباً يوماً بعد يوم وعينيه باتت تحيطها هالة من السواد وغلفتها سحابة من الحزن، كنت أتألم من أجله لكن لم يكن بيدي

شيء أفعله لم أستطع أن أقول له لا تصغي لمحرك الدمى ولا تنفذ أوامره فالتزمت الصمت أمام اتهامات الجميع له.

وذات يوم كنت أجلس بمكتبي اتحدث مع «رحمة» عن حالة «أمير» وتفاعله معنا ، كان بدأ بتحريك يده وحاول رفعها أكثر من مرة كما أنه حاول لمس أيدي «رحمة» الموضوع على الفراش بجانب يده؛ حسن هذا من حالتها النفسية ودب الأمل بقلبها في نجاته يوماً ما، لا أعلم كيف تطرق الأمر إلى «زين» وباغتتني على حين غفلة مني وقالت وهي تعقد ذراعيها على طرف المكتب وتصوب أنظارها نحوي :

_ ألم يعترف لك هذا الغليظ إلى الآن؟

عقدت حاجبي وقلت :

_ بماذا؟

قهقهت بصوت مرتفع وهي تضرب كف بكف وقالت:

_ أنه يبادلك نفس الشعور أيتها اللئيمة.

اقسمت بداخلي حينها أنه لا يوجد لئيمة بالمكان غيرها وقلت:

_ في الوقت الذي يمر به بكل هذه المشكلات عن أي مشاعر سيعترف لي !

شردت قليلاً فقالت:

_ صحيح لما يفعل «زين» كل هذا! لقد لاحظت أن «خالد» لم يترك عائلته لحظة واحدة وقت إصابته ؟

ارتبكت وهربت بنظراتي بعيداً عنها فلاحظت هي هذا وقالت:

__ هناك حدساً بداخلي يخبرني أنك على دراية بالأسباب التي دفعت "زين" لنشر تلك الوثائق.

حركت رأسي يميناً ويساراً نافية ما تقوله فقلت:

__ لا أعلم شيء سوى أنه يفعل ما يمليه عليه ضميره.

شهقت وتطلعت بي باستنكار فقلت:

__ ويدمر مستقبل وسمعة صديقه!

__ إن كان "خالد" ليس له دخل بأفعال والده سيتبرأ إن شاء الله.

كانت ستتحدث لكن قاطعتها طرقات خفيفة على الباب وكانت صاحبته «فتون» مساعدتي الخاصة تخبرني أن «زين» بالخارج ويود لقائي،

تهللت أساري وشعرت أن قلبي سيغادر موضعه ويركض إليه فنهضت واقفة وفعلت «رحمة» نفس الشيء وقالت:

__ حسناً لنكمل حديثنا بوقتٍ آخر، سأترككِ مع هذا الوسيم لعله يعترف لكِ.

حدقت بها وأنا أحاول السيطرة على ذلك الذي بيساري ويخفق بقوة لم أعهد لها مثيل من قبل، رحلت بعد أن قبلتني من وجنتي متمنية لي حظاً جيداً.

دلف إلى الغرفة منكس الرأس، هزيل الجسد، شارد الذهن

فرحبت به وطلبت منه الجلوس على الأريكة الموضوعة بركن من أركان الغرفة وجلست بجانبه زفر بهدوء فالتفت نحوي تبادلنا النظرات لبعض الوقت، دون أن ننطق بحرف واحد، باغتني على حين غفلة مني وانحني بجزعه نحوي ووضع رأسه على ركبتي؛ انتفض جسدي بفعل مفاجأته وحاولت النهوض لكنه امسك يدي وتطلع بي برجاء بعد أن اغرورقت عينيه بالعبارات، ثم قال:

__ أرجوك امنحيني بعض الوقت، انا متعب للغاية كل شيء بي يؤلمني، جسدي، قلبي ورأسي، كل ما أحتاحه أن أشعر بالطمأنينة بالقرب منك وأرحل بعدها.

تمتتم قائلة:

__ لكن من الممكن أن يرانا أحد.

__ مساعدتك تأخذ إيدك قبل أن يفوت أحد على غرفة مكتبك.

كنت ابتعد عنه قدر الإمكان، توسد فخذي برأسه أما باقي جسدي حاولت قدر المستطاع أن لا يلامس رأسه، كانت نظراته حزينة وغاضبة، تائهة لا تجد مرسى لها فقلت:

__ ما بك ؟

تنهد بحزن فاسترسل بالحديث قائلاً:

__ صدق "ابراهيم فاضل" عندما قال عني أنني لعنة أصيب كل من يقترب مني، لقد ماتت "هند" وبعدها الطبيب والحارس ولحقت بهم «تغريد» ثم «مهران الشهاوي» وصديقي كاد أن يفقد حياته لولا العناية الإلهية، حتى من وقف بجانب عائلتي أثناء

مرضي مهدد أن يفقد وظيفته بسبب حقارتي ولم اكتفي بهذا لقد خسر سمعة عائلته وهدمت شركات قام والده ببنائها على مدار سنوات، حتى أنتِ يا أسوة لم تسلمي من لعنتي تعيشين طوال الوقت بخوف فقدان شقيقك .

فرت دمعة من عينيه فازالها ونهض واقفاً بسرعة البرق وقال:

_ ليت "العقرب" قتلني منذ البداية مع هند وانتهى كل شيء.

قبضت على ذراعه بيدي وقمت بدفعه بغضب ونهرته قائلة:

_ هل تتمنى الموت يا زين!

_ الموت أفضل من أن أرى دموع أحبتي، أن أموت واترك أسرتي أفضل من أن أحمل ذنب كل تلك الأرواح التي توفيت.

عانق وجنتي بيديه وقال بصوت خفيض:

_ الموت أرحم من أن أرى دموع حبيبتي طوال الوقت، من أن أراها تتعذب ولا أستطيع مساعدتها، أنا على استعداد تام أن أتخلى عن روحي ولا يجرو أحد كهذا اللعين "محرك الدمى" وضع كاميرات للمراقبة بغرفة نومها، أسوة احترق من الغيرة عندما أخيل أنه يراك في أي وضع خاص بغرفتك عن طريق تلك الكاميرات، أفكر هل يكون متواجد أثناء فقدانك لوعيك بعد قراءة الخطابات؟ وإن كان متواجد وقتها هل يتطلع بك؟ هل يلمسك هل من الممكن أن يفتتن بك؟

ارتجف جسدي على إثر لمسائه وراح قلبي ينبض بقوة، كطير يحلق بالسماء على إثر اعترافه بحبه لي، لكن تذكرت أنه يفضل

الرحيل عن أي شيء فانسابت دمعاتي على وجنتي وقلت:

_ لكن عندما تموت لن تترك أسرتك فقط.

عقد حاجبيه وتطلع بي بعدم فهم فتابعته:

_ إن مت أنت ستترك طفلة لا تشعر بالأمان سوى بوجودك،
ستترك مراقة لا ينبض قلبها إلا عند رؤياك، ستترك شابة تقوى
بك وتقف شامخة بوجه أعدائها بفضل وجودك بجانبها، إن مت
أنت سأكون خسرت أول رجل هتف قلبي باسمه .

ابتسم رغم دموعه وحزنه متأثراً بحديثي فأبعد يديه من حول
وجهي وامسك بها يدي وقبض عليها بشدة وكأنه أراد أن يخبرني
أنه لن يتخلى عني وقال:

_ هل هذه هي مشاعرك تجاهي.

طأطأت رأسي بسبب خجلي منه فقلت:

_ زين أرجوك لا تتحدث عن الموت قلت لك سابقا لا أحب
التحدث عن الموت، أخشى كثيراً أن يسرق مني أحد أحبائي.

وضع يده أسفل ذقني ورفع وجهي إلى الأعلى فرأيت ابتسامة
خفيفة تزين محياه وقال:

_ وأنا أيضا سأبذل قصارى جهدي حتى لا تفقدني أحبتك.

تنهدت براحة فتمسكت بيده وقلت:

_ إذن حافظ على روحك ولا تعرض نفسك للخطر.

_ سأفعل وأنت أيضاً كفي عن البكاء، كما أنني سأنفذ كل ما يمليه علي هذا المبتز إلى أن تكشف هويته، حتى لا يقترب من "أميرك النائم".

ابتسمت قائلة :

_ أميري النائم!

أوما برأسه ولمعت عيناه بوميض العشق فقال :

_ نعم أميرك النائم أيتها الأميرة.

رحل بعد أن تحدثنا لبعض الوقت عن كل شيء وطمانته أن أزمة قضية والد «خالد» ستنتهي بانكشاف محرك الدمى، كان لقاء جيد للغاية تخللته مشاعر أعيشها لأول مرة، عاهدني أن لا يتخلى عني فأخبر شيء كنت أتوقعه هو زيارته لي بهذا التوقيت وأكثر ما كنت أتمناه قد حدث وهو اعترافه بحبه، لا أنكر أنني كنت أتمنى أن يحدث هذا بمكان وتوقيت مختلفين تماماً فأنا كنت أحلم طوال الوقت باللحظة التي سأبوح بها بمكنونات قلبي لكن ليكن يكفي شعوري بالراحة والاطمئنان بقربه، غمرتني السعادة بعد رحيله وحمدت ربي على وجوده بحياتي ودعوته أن لا يحرمني منه أو من أحبتي .

وبعد أن عادت العلاقة بيني وأنا وأبي لطبيعتها شيئاً فشيئاً وبات اقترابي من عائلة «أبو نجم» و "خالد" شيء مسلم به، جاءت

أزمة نشر "زين" لتلك المستندات لتعكر صفو علاقتنا مرة أخرى، وطلب من أمي أن تحذرنني من تواجدي بالقرب من أي فرد من عائلة "أبو نجم" أو "الشهاوي" وقالت لي بالنص "والدك هذه المرة لن يتراجع وأقسم أنه سيحتجزك بالمنزل إن لزم الأمر »

لم أعير أي من نصائحها وتهديداتها انتباه، ليس سوء خلق مني فأنا لا أجرؤ على عصيان أمي وأبي وإنما مجبرة، نحن جميعاً ننفذ ما يمليه علينا «محرك الدمى» .

بعد رحيل «زين» وجدت نفسي اود التحليق بالسماء كالطير الذي يرفرف بجناحيه بسبب سعادته، لم أجد مكان يسعني التحليق به سوى غرفة «أمير» بالمشفى، على الرغم من أنها ليست سوى غرفة بمساحة بضغ، أمتار لكني اشعر أنني دنييتي وعالمي أجمع بداخلها، لذلك جمعت حقيقتي وهاتفي في عجالة وركضت متوجهة إليه؛ لأخبره بما صار معي وأخذ إذنه في المضي قدماً بعلاقتي مع «زين» لا تتعجبون لا تأخذ أي فتاة الإذن من شقيقها لتواعد حبيبها لكني فعلت أخبرته بعلاقتنا، بقرار زين أن نبقى كما نحن أصدقاء جمعتهم مهمة ما إلى أن نتخلص من بلاء «العقرب» و«محرك الدمى» وحينها سيأتي الى منزلي ويطلب يدي من والدي، فما رفضه من «حنان» و«معاذ» لم يقبل أن يحدث بيننا، بالفعل ذهبت إليه وبالرغم من أنه فاقد للوعي إلا أنني كنت أرتجف من خجلي منه، ترددت كثيراً بالتحدث لكني فعلت و استرسلت بالحديث قائلة وأنا أطلع نحوه:

_ «أمير» أميرى النائم الذي أشعر أنه سيسيقظ قريباً، لا تتعجب من لقب «الأمير النائم» لقد أطلق عليك «زين» هذا اللقب وقد

راقني القلب كثيراً، لنعود لموضوعنا لقد فعلها واعترف لي بحبه أرجوك لا تغضب، فقط اعترف بحبه في لحظة ضعف منه فهو يمر بمشكلات عدة، لجأ لي وحينها أخبرني أنه لا يتحمل أن يتطلع بي «محرك الدمى» كحبيبته، انظر عندما أخبرني بحبه قال إنه يحترق بسبب رؤية هذا اللعين لي، جئت إليك لأخبرك بالأمر احتراماً لك ووفاءً بوعده قد قطعتك عليك سابقاً عندما عاهدتك أن لا أفعل شيء دون علمك، وها أنا أفي بوعدي لك.

كفكت دموعي التي أغرقت وجهي وتابعت:

__ تمنيت أن تكن موجود بيوم كهذا وقبل أن يعترف لي يأتي إليك ويطلبني منك، كم أتمنى الآن أن تنهض وتعانقتي، أن أخذ مباركتك وموافقتك لكن لن أستسلم ستفعل ذات يوم.

حركت يدي ببطء نحو يده الموضوعة على صدره ووضعتها بالقرب منها، أخذت نفس عميق وجمعت الهواء بداخل صدري وزفرته بتوجس، انظاري كانت مصوبة نحو يده ثم قلت:

__ أميري يدي بالقرب من يديك مؤكد تشعر بهما على صدرك، إن كنت تسمعني وتشعر بي، إن كنت توافق على زين، إن وافقت أن تعاهدني أن تعود إلي وتقف خلفي لمواجهة الجميع، حرك يدك وعانق يدي اجعلني أشعر بالطمأنينة يا حبيب القلب .

لاحظت شيئاً لكن لم استطع وقتها أن أجزم هل ما رأيته حقيقة أم لا، لكنني لمحت شبه ابتسامة على ثغره وبعد ذلك رأيت يده تتحرك ببطء نحو يدي، كان الفارق بينهما بضع سنتيمترات، رفع

أصابعه ببطء فوضعها فوق أصابعي، ارتخت يدي لوهلة كنت
سأسحب يدي من هول المفاجأة لكن شلت حركتي فلم يتمكن من
تحريك يده أكثر، لكن عانقت يده وجذبتها نحو صدري وأنا اهتف:

__أمير.. حمداً لله لقد فعلتها طمأنت قلبي وأخذت موافقتك، أنا
أكيدة ستستيقظ قريباً جداً.

وأثناء حديثي سمعت الباب يفتح فالتفت برأسي لأجد أبي يقف
ووجهه لا ينذر بالخير مطلقاً فقال:

__أسوة هيا لنذهب.

__إلى أين؟

__إلى المنزل تركتك على راحتك كثيراً، أن الاوان لأجمع ابنتي
من الطرق وغرف المشافي ومنازل المجرمين .

علمت أن مشكلة كبيرة على وشك الحدوث، فوضعت يدي
«أمير» برفق على الفراش ونهضت إليه برأس مرفوع ونظرات
متحدية كما لم أفعل من قبل، فقلت:

__ومن قال لك أن ابنتك تحتاج أن تجمعها من كل هذا، أنا أعلم
حدودي جيداً ولا اتخطأها، كما أن لن يستطيع أحد منعي من
التواجد بالقرب من أخي.

قلص المسافة بيننا وهو يشير نحو «أمير» ففهمت أنه لا يريد أن
يستمع إلى حديثنا فقلت:

_ حسناً يا أبي هيا بنا.

دلفت إلى الخارج ولحق بي فقبض على ذراعي بعنف وقال :

_ هيا إلى غرفتي .

وقف قبالي بمنتصف الغرفة وتطلع بي بغضب وقال:

_ حذرتك من الاقتراب من هذا الصحفي لكنك عصيت أوامري
وأن الأوان لتعرفي حدودك.

حاولت التملص من بين يديه وقلت:

_ أبي إنك تؤلمني ماذا حدث؟

_ حدث أن وجودك بالقرب من هذا اللعين خطر عليك سينهيك
كما حدث مع خطيبته و"مهران الشهاوي"، ستدمرين كما حدث
مع "خالد" وأنا لن أسمح بهذا، ستذهبين معي إلى المنزل وممنوع
عليك الخروج من اليوم، لا يوجد مشفى أو عمل بالمكتب، لن
تتحدثي أو تلتقي مع هؤلاء المجرمين.

عدت إلى الخلف عدة خطوات فقلت:

_ لا لن أفعل هذا مستحيل.

هدر بصوت مرتفع :

_ لن أسمح أن يتم قتلك بسبب هذا الصحفي، إن لزم الأمر
ستسافرين إلى خارج البلاد.

لاحظت تبدل حال أبي فخوفه من علاقتي بـ«زين» بات كالهوس
فقلت دون وعي مني:

__ لن ابتعد عنه ولن أسافر ولن اسمح لك أن تبعدني عنه، سأبقى
بقربه في محنته كما أنه يحميني من نسيمات الهواء ولن يسمح
لأحد بأذيتي.

قال:

__ بأي صفة يقوم بحمايتك.

ايقنت أن لحظة المواجهة قد حانت فأخذت نفس عميق وزفرته
وقلت ما لم ولن اندم عليه يوماً:

__ بصفته شخص مقرب مني وبمجرد أن يستيقظ أمير
سنتزوج....

وقبل أن انهي كلامي كانت يده ترتفع إلى الأعلى وتهوي على
وجهي محدثة أول وليس آخر صفة على وجهي.

الفصل السابع و العشرون

****زين****

كنت أتخيل أن حب تغريد سيملك من قلبي ولن ينبض لأخرى
بعد انفصالنا و وفاتها، لكن اكتشفت أنها ليست سوى أول فتاة
تعرفت عليها وما أحسبه عشقاً كان انبهار ليس إلا، وتخليها
عني في أزمتي؛ أزال الغشاوة من على عيني وظهرت حقيقتها
أمامي، هي لم تختلف شيئاً عن والدها كل ما كان يشغلها مظهرها
العام أمام الجميع، أما أمور القلب لم تعنيها بشيء، على عكس
طفلي البريئة فهي لا تتخذ قرار إلا بعد أن تتحكم بها مشاعرها
وضميرها، فهي مرفهة الحس تقف بجانب الجميع وقت الأزمة،
تبقى لأشهر بالمشفى فقط بسبب حبها وارتباطها بشقيقها، على
الرغم من فقدان الأمل منه إلا أنها تمسكت بعنادها ولم تياس
وفي النهاية لم يخذلها، أكثر ما جذبني إليها كان قلبها الصافي
وانقيادها دوماً خلف مشاعرها، باختصار أسوة فتاة لا تتحرك إلا
بما يمليه عليها قلبها .

عندما ذهبت إلى مكتبها لم أكن اتخذت قرار مصارحتها
بمشاعري، فقط ذهبت لأستمد من عينيها الزيتونية الطاقة لأكمل
مشواري في هدم حياة صديقي رغماً عني، شعرت بالضجيج

يجتاح رأسي فذهبت لكي استريح بقربها وبالفعل السعادة والراحة التي شعرت بها حينها لم أشعر بها من قبل، حكايتي مع «أسوة» مختلفة تماماً عن علاقتي بـ تغريد.

لكن سعادتنا تلك لم تدم طويلاً، أغلق هاتف أسوة مساء نفس اليوم ولم أستطع الوصول إليها، لا أنا أو أي أحد، استمر الحال هكذا لأيام لا تذهب إلى مكتبها ولا تلتقي بأي منا وهاتفها مغلق حتى أمير لم تذهب لزيارته، على الرغم من أنني كنت أعلم أنها بداخل منزلها عن طريق الحراسة التي عينها خالد لتراقبها بغرض حمايتها، إلا أنني كنت أقلق حيال أمرها، وتساءلت هل أجبرها والدها على الابتعاد عنا؟ هل يحتجزها عنوة داخل المنزل؟ حزنت من أجلها فأنا كنت أعلم جيداً مدى ارتباطها بشقيقها ومؤكد غيابها عنه طوال هذا الوقت قد أحزنها، كنت أذهب يوميًا إلى الشارع المؤدي إلى منزلهم واقف بالقرب من بوابة القصر، أحاول أن ألمحها لعلها تقف بالشرفة أو النافذة، لكن باءت كل محاولاتي بالفشل؛

فلم يكن أمامي أي طريقة للتواصل معها سوى حنان فتحدثت معها وطلبت منها أن تذهب لزيارة أسوة دون أن تصرح باسمها الحقيقي سواء لأحد من أهلها أو العاملين بالقصر، حاولت الاستفهام مني عن أسباب احتجازها داخل القصر لكنني تحجبت أن والدها يخشى عليها مما يحدث معي ورفضت التحدث متخذاً مرضي حجة فوافقت على مضض.

وفي اليوم التالي ذهبنا سوياً إلى قصر الدكتور ناجي العاصي نظراً للحراسة المشددة التي وضعها والدها بعد حادثة أمير

وهذا ما اخبرتني به أسوة ذات يوم، كان من المستحيل أن أظهر مع حنان لذلك انتظرتها بالشارع الخلفي.

وبعد مرور حوالي عشرون دقيقة رن هاتفي المحمول معلنا عن اتصال من حنان فتهللت اساريري فرحاً فقد اتفقت معها سابقا أن تجعل أسوة تحادثني من هاتفها عندما تسنح لهم الفرصة، بدأت المكالمة لأسمعها تنطق باسمي بصوت خفيض يغلب عليه الوهن ونقول:

_زين.

_أسوتي.

_ زين لقد احتجزني بالبيت ومنع عني الهاتف، لم يسمح لي برويتك أنت أو أي أحد، حتى زيارة أمير حرمني منها.

كانت كلماتها يتخللها البكاء وانتهت جملتها بشهقة عالية وبعدها بدأت تبكي دون توقف، كأنها تشكو لي ما فعله بها، ألمني قلبي لبكائها وشعرت بالضيق لعجزي عن إزالة دموعها بيدي و تخبئتها عن الجميع بين أحضانها فقلت:

_ لا تبكي يا نبض قلبي.

_ لن اتحمل أكثر لا أستطيع الابتعاد عنكم، كما أنني اشتقت إلى أمير واخشى كثيراً من غضب اللعين محرك الدمى عندما يلاحظ غيابي، من الممكن أن يتأذى أخي.

_ لن يحدث شيء أنا وخالد نكثف جهودنا لكشفه، كما أن

خالد توصل إلى معلومة عامة تخص العقرب:

قالت بلهفة :

_ قل لي شيئاً جيداً أرجوك.

_ تم القبض على بعض خاطفي الأطفال بمساعدة صور أرسلها إليه محرك الدمى، جميعها صور لأطفال تم اختفائهم بعد مقتل هند وافر الخاطفين أنهم كانوا يتعاملون مع رجل يرجح أنه العقرب هذا ما نوه عنه محرك الدمى في رسالته المرفقة بالصور، حيث قال أن بالضغط على الخاطفين سيعترفون على العقرب.

_ وهل تم التعرف عليه مؤكداً ألقى خالد القبض عليه.

_ أسوة لا تنسي خالد موقوف عن العمل ولم نتعرف عليه بعد، لكن جميع اوصافهم تدل أنه رجل في العقد الرابع من عمره.

_ إن شاء الله يتم القبض عليه وتتخلص منه أشعر بالسوء وكان شيئاً سيئاً سيحدث.

زفرت بهدوء وقلت:

_ لن يحدث شيء يا جميلتي، كما أن هذه أول مكاملة هاتفية لنا كعشاق هل سنفضيها بالتحدث عن «محرك الدمى» و«العقرب» !

_ هذا ما كتب لنا، لم يجمعنا شيء سوى القضايا والجرائم.

__ لا يا طفلاتي أعدك ستنتهي كل القضايا وسنأتي أنا و أسرتي لزيارتكم واطلب يدك على سنة الله ورسوله.

توقفت عن الحديث فعلمت أنها خجلت فقلت :

__ مؤكد تتورد وجنتيك الآن كوني بخير، لا تقلقي سأنهي كل هذا، كما أنني مطمئن عليك بمنزلك ومن وقت لآخر سأرسل حنان لزيارتك، هناك هدية أرسلتها لك استخدمها بهناء.

أنهيت المكالمة بعد أن طمأنتها أنني بجانبها ووعدتها أن نتحدث طوال اليوم عن طريق الهاتف المحمول الذي أرسلته إليها ثم غادرت "حنان" القصر وتوجهنا إلى المنزل .

لم يقدم «خالد» أي دليل ينفي الاتهامات الموجهة إلى والده بل على العكس، بعد البحث والتحري وتحقيقات النيابة ثبتت كل التهم الموجهة إلى «مهران الشهاوي» فقط استطاع خالد تبرئة نفسه وإثبات عدم تورطه بأعمال والده، و عند انتهاء التحقيقات نشرت بيان رسمي واعتذار له عما بدر مني.

حاولت كثيراً البحث عن عمل لكن لم تقبل أي جريدة التعامل معي فعلمت أن هذا عقاب «ابراهيم فاضل» لي على ذنب لم ارتكبه، لكن لم يؤثر هذا بشيء فأنا اتخذ الصحافة هواية ولقد ترك لي والدي ما يغنيني عن العمل.

و ذات مساء كنت على مدار ساعتين أحاول الاتصال «بأسوة» لكن هاتفها كان مغلقاً وبعد أن فقدت الأمل في محادثتها وصلت إلي رسالة هاتفية تعلن عن عودة هاتفها إلى العمل؛ حاولت

الاتصال بها لكنها أغلقت الهاتف في وجهي لتعاود الاتصال بي مرة أخرى ولكن مكالمة فيديو، مررت يدي على الشاشة ففوجئت بها تظهر مكبله الأيدي و الأرجل، موضوعة على حافة قارب والمياه من خلفها؛ اتسعت حدقتنا عيني وشعرت أن قدمي لم تعد تحملني، حاولت التحقق من هويتها فتأكدت أنها «أسوة» بالفعل هتفت بصوت مرتفع وقلت «اسووووا» لأسمع صوت قهقهات رجل يتحدث من خلف الشاشة ويقول:

أسوتك معي إن أردت اللحاق بها أسرع إليها، غادر منزلك الآن وانتظر توجيهاتي .

الفصل الثامن و العشرون

****محرك الدمى****

المشهد الأخير...

أقسمت على تحريكهم بأصابعي كعرائس الماريونيت وفعلت،
 قلت سأصيبهم بالجنون وقد حدث، وعدتكم أن أنتقم منهم جميعاً
 وصدقت، الحارس الذي شهد بهتاناً وزوراً قتل، الطبيب الذي
 لمس جسد حبيبتي وانتهك حرمتها أيضاً لاقى نفس المصير،
 أخيها كان حائلاً لرؤيتي لها طوال الوقت متخذاً مظهره العام
 ووظيفته سبباً فكان يمنعها من الخروج من المنزل أغلب الوقت
 فدمرت مستقبله، والدها الذي رفع يده عليها وهي تحمل ابني
 بأحشائها وحرمني من رؤيتها دوماً، جعلته يلقي حتفه بطريقة
 أبشع من موتتها، أما عن «هشام» الذراع الأيمن للعقرب والذي
 تولى أمر «هند» منذ لحظة وفاتها وقام بترتيب حادثة سقوطها
 من الأعلى إرضاءً له جعلته يلقي حتفه على يديه ، حتى «معاذ»
 ما عاناه من مرض يكفيه لشهادته زوراً في القضية، وهؤلاء
 كانوا الأقل ذنباً أما الأكبر والاقبح ذنباً تركتهم إلى النهاية
 «أسوة»، «زين» و «العقرب» ،

كنت قد اقسمت عندما رأيته جثة هادمة أسفل البناية أن هؤلاء
 الثلاثة سيلقون الأهوال مني؛ وبعدها سأرحل إليها عن طيب

خاطر، كما نوهت سابقاً.

قد حانت لحظة المواجهة التي اخطط لها منذ أشهر، لحظة سقوط الأقنعة وكشف الحقائق و عقاب المذنبين ورد الحقوق إلى أصحابها ، وكما بدأت المسرحية مع «أسوة العاصي» سأنهيها معها لأنها المتسبب الأول بما حدث معنا جميعاً هي من قام بإشعال فتيل الحرب، لولاها لكنت الآن مجتمع بحبيبتني ومنتظر قدوم مولودنا الأول.

نقطة ضعف جميع المذنبين بنظري هي «أسوة» ونقطة ضعف «أسوة» هي «أمير» ، وكما استغلّيت «أمير» للسيطرة عليها طوال الوقت سأستغلها لأسيطر على البقية في نهاية الحكاية، ولكي يحدث هذا كان لابد من استقطابها بطريقة ما لخارج المنزل لكي اتمكن من اصطحابها إلى سفينة الموت، قمت بالتقاط صورة لـ«أمير» وأنا أضع السكين على عنقه وهو مغمض العينين لا يقوى على مقاومتي وأرسلتها إلى هاتفها المحمول الجديد الذي أحضره «زين» لقد توصلت إلى رقمه عن طريق اختراق اعدادات هاتفه وقمت بسؤالها إما أن تخرج خارج المنزل وتنتظر بالقرب من البوابة الخلفية أو يعلم هذا السكين طريقه بعنق توأمها، حذرته إن حاولت الاتصال بأحد أو تواصلت مع «زين» سأعلم هذا ومن سيدفع الثمن هو أخيها ثم حطمت شريحة الاتصال وألقيت الهاتف بصندوق القمامة .

وعلى الفور توجهت إلى قصر الدكتور «ناجي العاصي» وانتظرت بالقرب من بوابته الخلفية ظهور تعيسة الحظ، بالفعل لمحتها تغادر بوابته وهي تتلفت يميناً ويساراً كالسارق الذي انتهى

لتوه من جريمته ويحاول أن يلوذ بالفرار، لكن الفارق كان أن السارقة قامت بجريمتها منذ أشهر و لن تستطع الفرار من قدرها والتملص من يدي .

كنت قد ابتعت الكثير من الهواتف المحمولة التي سأستخدمها تحسباً لأي أمر واستخدمت أحدهم وأرسلت إليها رسالة نصية أخرى فحواها هناك سيارة سوداء اللون استقلها واجلسي على مقودها لتذهبي إلى اخيك

تلك الساذجة لم تفكر للحظة واحدة أن يكون هذا فخ مني لاستقطابها بل على العكس، نفذت كل ما أمليه عليها

وركضت بكل سرعتها نحو السيارة، ثم مدت يدها بتوجس على مقبض الباب مرت ثواني وهي ما زالت على وضعيتها كأنها كانت تفكر بخطورة ما هي مقدمة عليه، وبعد أن شعرت أنها راجعت نفسها و ستعود أدراجها إلى الداخل، فوجئت بالباب يفتح والقت بجسدها على المقعد، قبل أن تغلق الباب التفتت يميناً لتجدني أجلس على يسارها متخفياً بقناع يخفي وجهي ولا يُظهر سوي أنفي، فمي وعيني، واضعاً نفس السكين الذي أرسلت صورته إليها على عنقها و قلت:

_ مرحبا أيتها الجميلة أنتِ الآن على متن سفينة الموت بضيافة «محرك الدمى».

بطريقتي المعهودة معها وهي التهديد وصلنا سويا إلى مكاناً المنشود قارب كبير الحجم يرسو على أحد شواطئ البحر الأحمر بمدينة العين السخنة خالي تماماً من العاملين، يسوده الخواء.

قمت باختيار هذه المدينة بعناية فائقة فهي تتسم بالهدوء وكان من السهل التجهيز بها لأن أحد أصدقائي يعيش هناك وما يميزها هو قصر المسافة بينها وبين القاهرة ومع قيادة تلك المتهورة وصلنا خلال الساعة والربع ساعة، على الرغم أنها كانت تتذمر طوال الوقت لعدم قدرتها على القيادة بسبب أمر ما رفضت الإفصاح عنه لكني كنت أعلمه جيداً.

وبنفس طريقة احضار «زين» أحضرت العقرب ولا تسألوني كيف فالحقيقة الكاملة ستتضح الآن.

اتخذت موضع استراتيجي على سطح القارب بحيث كنت أتمكن من رؤية كل ما يدور بالمكان دون أن أتحرك قيد أنملة، نستطيع القول إن هذه البقعة من سطح القارب كانت مقصورة القيادة الخاصة بي، كان كل شيء مجهز ومعد بعناية منذ أشهر، كاميرات التصوير تنقل الحدث على البث المباشر لملايين الأشخاص على صفحة بموقع «الفيس بوك» قمت بإنشائها منذ بداية المسرحية وجمعت أكبر عدد ممكن من المتابعين لكي يشهدون على انتقامي ويستمتعون بمشاهدة مسرحية «لعراس الماريونيت» في فرصة لن تتكرر مرة أخرى .

وضعت شاشة عرض بالحجم الكبير بحيث يتمكن الجميع من مشاهدة ما يعرض عليها .

وفي النهاية صممت طريقة إعدام جديدة وفريدة من نوعها بحيث المنقذ يكون هو القاتل بنفس التوقيت.

فصممت حاجز حديدي يقسم سطح القارب إلى نصفين ممتد

بطوله، و من الجانبين يتوسطه باب خشبي بدقتين كل جهة من الباب موصول بها سلسلة حديدية بدايتها عند مقبضه ونهايتها معقودة بقطعة خشبية لفصل التيار الكهربائي عن جسد ضحيتي الموضوع على حافة القارب، بحيث ما إن يتم فتح البوابة ترتخي السلسلة وتسقط الضحية من أعلى القارب ولأن من السهل جداً على المنقذ اختراق الحاجز الحديدي أو لمس السلسلة الحديدية والسيطرة عليها بإحكام حتى لا ترتخي، قمت بتوصيل التيار الكهربائي للحاجز والسلسلة الحديدية معاً وهكذا لن يتمكن أحد من لمسهما ويبقى الحل الوحيد هو فتح الباب والذي سينتج عنه سقوط الضحية بالمياه، إن حدث هذا لن تستطيع النجاة أيضاً بسبب وضعي ثقل حديدي بقدميها يجذبها لقاع البحر عند سقوطها، أما إن جازف أي منهم وقام بلمسهما سيصعق بالكهرباء ويكون خفف عني عناء قتلهم.

كل شيء كان جاهزاً أنا بمكاني وجميع الأجهزة تقوم بعملها وتلك البكاءة لا تتوقف عن البكاء والنحيب وترديد سؤالها الغبي مثلها ماذا فعلنا لك لتفعل بنا كل هذا تمنيت الصراخ بها وقول لقد قمتم بسرقة عمري لكن أجلت ذلك لحين عرض المشهد الأخير من المسرحية.

أول من وصل إلى المكان كان زين عن طريق رسائل نصية كنت أرسلتها إلى هاتفه لأقم بتوجيهه إلى المكان، فعلت معه ما فعلت مع أسوة وأخبرته أن هاتفه مراقب وإن حاول طلب المساعدة ستدفع أسوة الثمن نستطيع القول أن هذه هي طريقتي المعتمدة لهذه الليلة لجلب جميع الدمى إلى المكان.

وصل زين إلى المرسى المهجور يتلفت حوله بخوف، كنت اراقبه
عبر شاشة صغيرة موصولة بعشرات الكاميرات المزروعة
بالمكان حتى إن لاحظت قدوم أحد أو مداهمة القارب أو وزتهم
عقولهم ليتلاعبوا بي أقم بإنهاء حياتنا جميعاً فوراً، لقد اتخذت
قراري سأنهي اللعبة هنا لن يخرج أحد من هذه المسرحية حي
يرزق، و لكي أجذب انتباهه إلينا قلت :

_لقد جاء بطلنا الشجاع لابد أنه قرر إنهاء حياته سريعاً.

صرخت أسوة لدرجة أن صدى صوتها دوى بالمكان قائلة :

_ زيببييين ارحل بسرعة لا تأتي إلى هنا، هذا فخ لما أتيت؟

وعلى الرغم من طلبها منه أن يرحل، إلا أنني كنت أثق تمام الثقة
أنه سيركض إليها بعد أن يراها جالسة على حافة القارب مقيدة
اليدين والقدمين.

بالفعل صدق حدثي وظهر زين من العدم، سلطت الضوء الذي
يستخدمه المخرجون على الشخصية المتحدثة على خشبة المسرح
وقلت عبر مكبر الصوت:

_ زين صالح أبو نجم مرحباً بك يا عزيزي على متن سفينة
الموت، من فضلك توجه باتجاه الضوء.

لم يكثرث لحديثي وركض نحو أسوة فتفاجئ بالحاجز الحديدي
وقبل أن تلمس يده الباب الخشبي صاحت أسوة و أخبرته بما قلته
لها سابقاً وهي تبكي:

__ «زين» ابتعد كل شيء هنا موصل بالتيار الكهربائي إن لمست أي شيء ستصعق، لما أتيت ألم أخبرك أنه فح!

اتسعت حدقتا عينه فاغراً فاه وقال :

__ ماذا تقولين عن أي كهرباء تتحدثين؟

حركت «أسوة» رأسها بمرارة وهي تبكي وقالت:

__ إن لمست الحاجز أو السلسلة الحديدية ستصعقك الكهرباء وإن قمت بفتح الباب لتصل إلي سترتخي السلسلة الحديدية و أسقط من الأعلى وبفعل الأثقال الموضوعة بقدمي سأغرق بقاع البحر.

خرجت منه ضحكة بائسة وهو يتطلع نحوها بعدم تصديق وقال:

__ وماذا أفعل هل أتركك معلقة هكذا؟

قالت وهي تبكي بمرارة:

__ سيقتل كلانا يا ليتك لم تأتي إلى هنا.

ارتفع صوتها وهي تصرخ قائلة:

__ أيها اللعين أين أنت؟ لما تفعل بنا هذا؟ ماذا اقترفنا بحقك لتفعل بنا كل هذا؟ أين أنت اجبني ايها الجبان؟

كان لابد من معاقبتها على فظاظتها في التعامل معي وتناولها علي، وعن طريق لوحة تحكم قمت بإنشائها من قبل ، ارحيت السلسلة الحديدية عدة سنتيمترات فمال جسدها لخارج حافة القارب فراحت تصرخ من الفزع وخطى «زين» عدة خطوات نحوها

فقلت :

__ والآن... "زين" عد إلى مكانك وأنتِ أيتها الثرثرة كفي عن الصراخ هناك ضيف قادم دعيني أرحب به.

وصل ضيفي وصعد القارب بفزع وخفة وكأنه عاد بعمره ثلاثون عاماً للخلف، ووقف بالقرب من «زين» الذي التفت ليرى من هو الضيف القادم تعجبت «أسوة» من هوية الرجل الواقف قبالتها بذهول تام وقالت :

__ أبي ماذا تفعل هنا هل جئت لإنقاذنا؟ حمداً لله كنت أعلم لن تتركني.

لم ينبس ببنت شفة وكان الطير حط عليه فأردت البدء بالمشهد الأول واسدال الستار عن أبطالي وقلت بأسلوب يشبه أسلوب تقديم الأبطال بالعروض المسرحية :

__ دعونا نرحب بالعقل المدبر لكل الجرائم التي حدثت بحكايتنا ، سارق براءة وأعضاء الأطفال و صاحب أكبر طعنة بقلب أولاده، الجراح العظيم "ناجي العاصي" الشهير بـ"العقرب"

عم الصمت بالمكان ولم أسمع صوت أي منهم، فقط صوت أنفاسهم اللاهثة التي تكاد تنقطع، من كان يتخيل أن خاطف وقاتل وسارق أعضاء الأطفال هو جراح عظيم، يمتلك العديد من المشافي الخيرية، تدعم مشفاه الخاص العديد من الجمعيات الخيرية ودور الأيتام، من يتخيل أن من كان يحاول قتل «زين» طوال الوقت هو والد «أسوة» و من قتل الحارس والطبيب و

«تغريد فاضل» و«هشام» هو «ناجي العاصي»؟ ترى هل تخيلت «أسوة» يوماً أن والدها من دبر حادثة سقوط «هند» من الأعلى؟ لكن إن حدث هذا لكانت توصلت إلى القاتل الحقيقي.

واخيراً صدر صوت أحدهم وكان «العقرب» عندما قال:

— «أسوة» من فعل بك هذا جئت راكضاً عندما أرسل لي أحدهم صورتك.

تحدثت ببكاء وقالت:

— هل هذا صحيح؟ هل أنت العقرب؟

قال «زين» غير مصدقاً ما يراه بعينه:

— غير معقول مستحيل هل أنت «العقرب» هل كنت حولنا طوال الوقت ونحن نبحث عنك؟

صاحت «أسوة» بأعلى صوت:

— لا!!!!!! أبي لا يمكن أن يكون مجرمأً أبي ليس قاتلاً هذا كذب.

ارخيت السلسلة الحديدية مرة أخرى فصاحت «أسوة» وتحرك الاثنان نحوها وقلت:

— والآن عودا إلى مكانكما وأنتِ أيتها الثرثارة كفي عن النحيب، حتى ننهي مسرحيتنا لقد سئمت منكم.

لم يتحرك أي منهما فقلت:

__ حسنا لنهني المسرحية بسقوط أسوتكم دون كشف الحقائق.

وعلى الفور أدرك «زين» مقصدي فعاد إلى الخلف بينما كان يحدق «ناجي» بابنته التي أصابها الهلع.

فقلت:

__ خذ والد حبيبتيك معك وإلا سقطت بالماء وجذبها الثقل إلى قاع البحر .

صاحت مرة أخرى قائلة:

__ لا اصدقك أبي ليس قاتلاً.

شاركها « زين » الصياح وقال:

__ “أسوة” ارجوك اهدئي ونفذي ما يقوله.

عادا إلى الأماكن المسلط الضوء عليها وعم الصمت بالمكان فقلت :

__ سيتحرك القارب ونسير بالبحر لعشر دقائق، لن أسمع صوت أيا منكم لحين وصولنا و انصحكم باستغلال الوقت والتفكير جيداً و سؤال أنفسكم من أنا؟ ولما حدث كل هذا ومن قاتل “ هند ” الحقيقي؟

لابد أن أصابهم الخرس من هول الصدمة فلم أسمع صوت أحد إلا بعد أن توقف محرك القارب وقال «زين»:

__ “اسوووووا” تمسكي جيداً يا حبيبتي أنا هنا معك لن اسمح

بأذيتك مهما يكن.

قهقهت بسخرية عبر مكبر الصوت وقلت:

__ يا لك من ساذج! والآن لنبدأ العرض.

حاول « ناجي » التقدم نحو ابنته وقال:

__ إلا ابنتي أيها اللعين كل ما فعلته كان لحمايتها.

تحدثت بمرارة وصحت به:

__ ولهذا السبب سأحرق قلبك عليها أولاً،

والآن لا أريد سماع أي صوت كي لا ترتخي السلسلة وتسقط
غالبيتك في قاع البحر، مؤكداً تتساءلون من أنا وما علاقتي بكم،
حسناً سأقص عليكم الحكاية مدعمة ببعض المشاهد التي ستعرض
على الشاشة لتؤكد ما أرويه لكم، لكن دون أن يقاطعني أحد أقسم
إن قاطعني أحد قبل أن ينهي جملته ستكون «أسوة» بقاع البحر.

هدر «ناجي» بصوت مرتفع:

__ لا أرجوك لا تفعل لن نتحدث.

لاحظت خوف والدها يقابله سكينتها الغير معهودة ووقوف
«زين» ينظر نحوها بتربق وكان ما يشغلهم هو معرفة الحقيقة،
استرسلت بالحديث قائلاً:

__ مؤكداً تتساءلون من أنا؟ حسناً أنا أعمل مهندس لصيانة الأجهزة
الإلكترونية، تخصصت بمجال نظام المراقبة للمنشآت العملاقة

كمشافي "ناجي العاصي" تعرفت على "هند" منذ سنوات جاءت لي كالدواء لجراحي، كتعويض من رب العالمين عن القهر الذي تجرعه بحياتي، أنستني بعشقها ليالي السوداء التي قضيتها ذليلاً على أيدي أناس ليست بقلوبهم رحمة، نشأت بيننا علاقة تطورت إلى الزواج ونظراً لمستواي الاجتماعي؛ اكتفينا بزواجاً عرفياً لا يعلم به سوى القلة القليلة، ذات يوم أخبرتني بأجمل ما سمعت بحياتي وهو حملها بأول مولود لنا، كانت سعادتي عارمة وأنتم قتلتكم كل جميل بداخلي.

كنت أتحدث وأنا أتابع ردود أفعالهم والصدمة واضحة على ملامحهم فتابع:

— وبعدها انقطعت اتصالاتي بها ولم أستطع التوصل إليها نهائياً، لكن استخدمت مهاراتي في اختراق أجهزة الأمن الخاصة بقصرهم وكاميرات المراقبة و دخلت خلصة إلى منزلهم وحررتها من قبضة أبيها، الذي علمت منها أنه قام بضربها واحتجازها عندما علم بأمر حملها وبعدها ذهبنا إلى منزلي القريب جداً من مشفى "ناجي العاصي" والتي كنت أعمل بها منذ عدة سنوات، دار بيننا جدال لساعات كانت تحاول إقناعي بضرورة الهرب قبل أن يمسك بنا والدها وأنا كنت مقتنع تماماً أن لا بد من مواجهته، على حين غفلة مني أثناء إعدادي لكوب من العصير حتى تهدأ رحلت هاربة من الشقة، ركضت خلفها ولم أستطع اللحاق بها أو حمايتها لقد رأيتها تسقط قتيلة أمام عيني.

لم أتمالك نفسي وانهمرت العبرات بغزارة على وجهي وأنا أروى حادثها بصوت مختنق فسكتت لبعض الوقت، استجمعت قوتي

واستطردت قائلاً:

__ هذا كان السؤال الأول يؤكد السؤال الثاني،

ماهي ملايسات حادث «هند»؟ حسناً سأخبركم ماذا حدث بعد وفاتها، وسيخبرنا «العقرب» كيف قتلت بعد قليل، بعد أن تأكدت من وفاتها قمت بمراقبة العقرب لقد تولى «هشام» ذراعه الأيمن أمرها، أخذها إلى البناية التي سقطت منها بعد عدة ساعات من وفاتها والمشاهد التي تظهر الآن على الشاشة تؤكد ذلك.

لقد كانت تعرض على الشاشة بالمزامنة مع حديثي مشاهد لـ«هشام» يحمل «هند» ويخرج بها من الباب الخلفي للمشفى وأخرى له يحملها ويدلف بها إلى البناية، قد حصلت على هذه المشاهد قبل أن يتم حذفها من قبلهم.

تابعت مرة أخرى حديثي وقلت:

__ تم تهديد «معاذ» بحياة وشرف حبيبته شقيقة «زين» صديق عمره فوافق على الغدر به، قام بإحضاره إلى مكان الحادث ورحل بعدها بأوامر من «هشام».

كانت الخطة محكمة بعناية بحيث وضعت جثة «هند» على السور ورأسها ونصف جسدها كان متدلياً إلى الجهة الخارجية والنصف الآخر بداخل السور وهناك سلسلة حديدية موضوعة أمام فخذها من الأعلى بحيث ما إن اقترب منها «زين» تم دفع السلسلة إلى الخلف فاختل توازن جسدها وترنح إلى خارج السور

وسقطت من أعلى البناية، هذا ما تفسير سقوطها أمام عينيك، لكن إن كنت أسرع ولو لثوانٍ كنت منعت جسدها من التهشم وهذا ذنبك الوحيد أيها الصحفي.

الدهشة كانت ظاهرة على وجوههم لكن لابد أنهم أخذوا قسمي بعين الاعتبار ولم ينطقون بحرف فتابعت:

__ ولأني كنت متأكد من براءة "زين" أمرت "أسوة" بالدفاع عنه كي يحصل على حريته وتبدأ خطة انتقامي.

حسناً مؤكداً السؤال التالي هو كيف تمكنت من مراسلتكم جميعاً والتلاعب بعقولكم ولم يستطع أيًا منكم الإمساك برسالة واحدة، سأخبركم على أحد أسرارٍ لكن من فضلكم انظروا على الشاشة أثناء حديثي لتشهدوا ما كان يحدث لكم أثناء غفوتكم .

بدأت بعرض المشاهد على الشاشة وتابعت:

__ أقسمت على إنهاءكم والانتقام بروحي ودمي وكل ذرة بي والذهاب إلى حبيبتي بعدها؛ لذلك صادقت فتاة غبية تعمل كممرضة بمشفى "ناجي" وقمت بتأليف حكاية ما وهي أنني صديق قديم لـ "أمير" وجئت لزيارته، ومن هنا بدأت علاقة بيننا و كان من السهل علي الدخول والخروج من المشفى حتى اني قمت بتعلم كيفية سحب الدم من الأوردة وبالفعل كنت اسحب دمي من وريدي و وبعد الانتهاء من سحب الدم كنت أكتب به خطاباتٍ وأضعها بالأماكن المنشودة والتي أكون عبأتها بنوع من أنواع الغازات المخدرة النفاذة والتي يستغرق قيامها بعملها عدة دقائق ثم انتظر قراءتكم لها، وبعد فقدناكم الوعي كنت أقوم بالدلوف إلى المكان

وأخذ الرسالة والتحدث معكم لبعض الوقت ومن ثم أذهب.

كان «ناجي» سيتحدث لكن أشار له «زين» على الفور متوسلاً كي لا ينطق ويجعلني أنفذ قسمي، ما جعلني أشعر بالحيرة حقاً هو هدوء «زين» الغير معهود.

فتابعت قائلاً:

__ وكنت أنفذ نفس الأسلوب بالمصاعد والشقة التي قمت بتأجيرها، غرفة، "أمير" ومنازلكم أنتم و"خالد" و "مهران" على ذكر "مهران" ليخبرنا الجراح العظيم من قتله؟

التفت «ناجي» نحو «أسوة» التي كانت تغمض عينيها وكأنها تحاول الهرب من النظر إليه، هز رأسه نافياً وهو يضع يده على جبينه فصرخت به:

__ هيا انطق وإلا قتلتها.

__ حسناً سأفعل، سأفعل لكن لا تؤذيها،

أنا من أمرت «هشام» بقتله ولكن أنت من دبر ذلك.

قهقهت عالياً وقلت:

__ نعم أنا من رتب هذا، الجميع وقع عليه عقاب باختلاف الطرق "معاذ" عوقب بمرضه و"خالد" بخسارته لعمله، الحارس بشهادته زوراً، الطبيب للمسه جسد زوجتي و مهران لرفع يده

عليها، عندما أرسلته إليك كان قد حان وقت عقابه فقامت بإرسال رسالة إليه اطالبه فيها بلقائه كما فعلت معك، كنت على يقين أنك ستتخلص منه عندما يكتشف هويتك الحقيقية، بالفعل حدث ما توقعته وبعد جدال طويل معه أمرت "هشام" بالقاءه من الأعلى كما حدث مع ابنته.

خارت قوى «أسوة» وبدأت تنظر إلى الجميع بوهن وهي تغرق في دموعها؛

فعلمت أنها لم تعد تتحمل وأردت تعذيبها أكثر فقلت :

__والآن أضف جريمة أخرى لرصيدك وقل لي من قتل "هشام" مساعدك؟

رفع رأسه إلى الأعلى وكأنه سئم من تهديداتي، أصبح لا يبالي من شيء وقال:

__حسناً سأقول لك بكل الأحوال هذه نهايتي، أنا من قتل "هشام" وأيضاً كان قتله من تدبيرك.

قهقهت مرة أخرى وقلت:

__مؤكد من تدبري فهذا عقابه وقبل أن أخبر ابنتك كيف قتلتها، قل لي لما قتلتها بطلقة واحدة بمنتصف جبينه

ازدرد ريقه بصعوبة وقال:

__ لقد خانني.

ضغطت على مكبس الخاص بالسلسلة الحديدية ليميل جسد
«أسوة» إلى خارج حافة القارب؛ صرخت بفرع وبدت كأنها
أفاقت من دوران رأسها ،

فقال «زين» وهو يرفع يده إلى الأعلى:

_ أرجوك لا تفعلها.

فقلت محذراً :

_ لا أريد كذب بعد الآن من أسأله يجاوب بالحقيقة كاملة.

أوما برأسه وقال موجهاً حديثه إلى «ناجي»:

_ أجبته لم تعد أمامك فرصة أخرى، على الأقل لا تكن سبباً في
موتها.

استطرد «ناجي» قائلاً:

_ «هشام» هو من حاول قتل «أمير» لأنه اكتشف ما نقوم به عن
طريق الصدفة، هذا ما أرسلته لي، وكنت تعلم أنني سأقوم بقتله.

أجبته بلا مبالاة :

_ ولم الكذب أردت التخلص منه فقمتم بإخبارك بحقيقته.

والآن لتتحدث محاميتي الصغيرة هل لديك ما تقولينه لوالدك
«العقرب»؟

راحت تحرك جسدها بعنف يميناً ويساراً في محاولة منها للسقوط

بالماء وبدأت تهذي قائلة:

_ لا أريد رؤيته ابعده عني، هذا ليس أبي، لا أريد رؤيته،
من هذا؟ أنا أريد أبي ليحضره لي أحذكم، هيا أيها اللعين أنهى
حياتي لأسقط بالمياه هل يرقد "أمير" طريح الفراش بسببك الآن!

قهقهت قائلاً :

_ حتى هذا "الأمير" قام بخداعك لم يكن بغيوبة أو شيئاً من هذا
القبيل، لقد عاد إليه وعيه منذ فترة ويخفي الأمر ويتركك تتعذبين
بجانبه، وهذا ما منعني عن زيارته الفترة الماضية اللئيم كان
ينصب لي فخاً ويود الامساك بي لكنني دوماً ما أسبقكم جميعاً
بخطوة .

صرخت قائلة:

_ لااااااااااا، لا تقل هذا اقتلني أرجوك انهي هذه المهزلة، أنا أريد
الموت.

حاول «زين» التوجه نحوها فقلت:

_ لأذكرك بالتيار الكهربائي وإن فتحت الباب ستسقط بالماء،
كن عاقلاً وقف بمكانك لنعرض المشهد الأخير ونسدل الستار
على مسرحية "محرك الدمى" والآن ليخبرني أحذكم من هو قاتل
زوجتي وطفلي؟

لم يفه أحد بحرف بينما، تعلق نظرات «ناجي» بابنته التي قالت
دفعة واحدة :

__ مؤكّد هو قتلها كما قتل الجميع، قتل طفلها كما فعل بالمئات من الأطفال، ارجوك قم بإلقائي بالمياه لا أتحمّل رؤيته .

وصل احتقان الموقف لذروته ولم يعد أي منهم قادر على التحمل أكثر، أما أنا سئمت منهم وأردت إنهاء كل شيء فقلت :

__ لن تموتي قبل أن تتكشف حقيقتك التي لا تعلمين عنها شيئاً.

وجهت حديثي إلى الصحفي وقلت:

__ وأنت يا "زين" برأيك من هو قاتل "هند"؟

مرر يده على وجهه بضيق وقال:

__ هو .

وأشار نحو «ناجي»

فقلت:

__ إجابة خاطئة، هيا أيها "العقرب" اللعين قل لنا من هو قاتل "هند" والذي فعلت كل هذا لتخفيه، وسلبت كل تلك الأرواح لتقم بحمايته، أمامك عشر ثواني إن لم تعترف أقسم سأسقطها بالمياه أشار لي بيده لأتوقف وقال:

__ "أسوة"، "أسوة" من قتلت "هند الشهواني".

غلف الصمت المكان واكتست ملامح «زين» و«أسوة» بالصدمة، نظرت الأخيرة لوالدها فاعرة فاه وقالت:

__ هل وصل بك الأمر لتحملني ذنب روح بريئة لم أقتلها!

جاء إلى عقلي لحظة سقوط «هند» وترجل تلك اللعينة من السيارة وسقوطها مغشي عليها بجانبها فهدرت بصوت مرتفع:

__ بلى فعلتها أيتها القاتلة، أنتِ دهستِ زوجتي بسيارتك، انسي تي تلك الفتاة؟ انسي تي الحادث الذي قمتي به بشهر رمضان الماضي؟
صاحت بي منفعلة:

__ لم أنساه بالفعل قمت بحادث لكن الفتاة نجت، أقوم للآن بزيارتها من وقت لآخر، إذأ كيف تقولون أني قتلت "هند"؟
__ هذا ما سيوضحه لنا والدك،

هيا أيها «العقرب» اسرد لنا بالتفصيل كيف صار الحادث؟
كفكف عباراته بعد أن انسابت على وجهه بغزارة نظر إلى أسوة واستطرد قائلاً:

__ أخبرني أمن المشفى قيام ابنتي بحادث فهرولت إلى الخارج فوجدتها مغشي عليها بجانب فتاة أخرى؛ أمرتهم بإدخال الاثنين إلى الداخل وبعد المعاينة اكتشفت وفاة الفتاة في الحال، لم أكن أسمح أن تزج ابنتي بالسجن، خاصة أنها لن تتحمل بسبب ما كنا نمر به مؤخراً بسبب حادث "أمير" فجعلتهم يبحثون بالسجلات عن فتاة تكون تتلقى علاجها بالمشفى بنفس عمر القتيلة ومواصفاتها، بالفعل وجدتها واتفقت مع أهلها أن تحل محل القتيلة أمام "أسوة" في مقابل مبلغ كبير من المال .

وقمت بترتيب حادث سقوط «هند» من الأعلى كي اتخلص من جثتها وبنفس التوقيت أتخلص من ذلك الصحفي الذي كان قد فتح النار علي بسبب حملته الصحفية التي بدأ بها.

كنت سأسمعه مر الكلام لكن قبل أن أتحدث سبقتني ابنته وراحت تصرخ قائلة :

هذا كذب ما يقوله كذب وما تقوله أنت كذب جميعكم كاذبون أنا كنت أعيش بداخل كذبة كبيرة، لست قاتلة، لم يكن قصدي، اقسم لم اقصد قتلها، هي من ظهرت أمامي فجأة، كانت تركض تعبر الطريق بسرعة، وأقسمت بعدها أن لا أضع يدي على مقود سيارة مرة أخرى تخيلتها نجت هو أخبرني بهذا، أرجوك أفلت هذه السلسلة خلصني من هذه الحياة هيا اقتلني.

ودت رؤية رد فعل والدها فتابعت ردود أفعاله عبر الشاشة، لقد كان ينظر إليها بحسرة وحزن، بينما تقدم «زين» عدة خطوات إلى الأمام وقال:

__ كان مجرد حادث ليس لها ذنب، انظر "هند" من عبرت الشارع دون أن تلتفت نحوها كأنها أرادت الموت.

وأشار نحو الشاشة التي كان يعرض عليها فيديو لحظة الحادث والذي حصلت عليه بعد معاناة فقلت:

__ لكنها قتلتها وستدفع الثمن.

صرخ بي بعد أن شعر أنه مقيد لا يستطيع حمايتها ولا حول له ولا قوة :

__ أنت لست سوى مريض نفسي مختل عقلياً.

__ أنتم دمرتم حياتي وأنا سأفعل بالمثل.

صرخت «أسوة» مرة أخرى:

__ ابي هيا قم بتحريرى افتح هذا الباب وأعبر إلى حتى ننظف الدنيا من قذارتنا.

قال وقد شعرت أن كل ذرة بكيانه تبكي:

__ لا أستطيع ستموتين حينها يا صغيرتي.

قالت له :

__ انا بالحقيقة مت، لقد قتلتني حقيقتك، هيا افعل لا يوجد مفر، لن يستطيع أحد الوصول إلي أو افعلها أنت أيها اللعين هي انهي أمري أفلت السلسلة لأسقط.

قلت قاصداً تعذيبهم أكثر:

__ ألا يوجد شيء تودين قوله؟

فقالت:

__ "زين" يا أجمل شيء حدث بحياتي، يا أصدق انسان بالوجود، لقد احببتك كثيراً اعتذر بشدة إن كنت تعذبت بسببي، لم أكن أعلم بكل هذا.

انسابت دمعاته على خده وقال:

__ لا تعتذرين، لم يكن ذنبك أحبيبتك وسأبقى أحبك لأخر عمري،
ثقي بي لن أسمح لأحد بأن يؤذيك، سندهب سوياً من هنا.

شعرت بالغیظ من ذلك اللعين فقلت:

__ بالفعل ستذهبان سوياً من هنا.

توسلت إلي قائلة :

__ أرجوك اتركه ليس لا ذنب، الذنب ذنبي أنا ووالدي، عاقبنا
نحن هيا اقتلني أنا.

ولأنني اقسمت أن يراها تسقط أمام عينه كما سقطت حبيبتي،
نفذت ما طلبته مني وقلت وأنا اضغط بيد على زناد سلاحي مطلقاً
رصاصة واحدة بقلب جراح القلوب وباليدين الأخرى ضغطت على
الزر لترتخي السلسلة الحديدية وتسقط «أسوة» والنقل إلى قاع
البحر فألقى «زين» بجسده في المياه فور سقوطها، وهو يصرخ
باسمها، هدرت بصوت مرتفع بجملة تبعثها ضحكة دوى صداها
بالسما:

__ الوداع يا دماي.

وكبست زر آخر لينفتح باب صغير الحجم كنت قد صنعته من
قبل بأرضية القارب يسمح بمرور المياه بداخله؛ مما يؤدي إلى
غرقه، في غضون لحظات كان القارب امتلاً عن بكرة أبيه بالمياه
وغاص في أعماق البحر.

الفصل التاسع و العشرون

**** عودة الأمير النائم ****

كلمة يا ليت من فعل الشيطان أعلم هذا جيداً، لكن يا ليتني لم أعد للحياة، يا ليتني مت قبل أن أسمع حديث أبي وهذا المدعو «هشام» واصطدم بحقيقتهما المثيرة للاشمئزاز والتي علمتها بمحض الصدفة،

فذات ليلة قبل غرق القارب بحوالي العام استيقظت بوقت متأخر من الليل على صوت جدال أبي مع أحدهم، كنت أعلم أن مناوبة أمي في ذلك اليوم ليلية، فخشيت أن يكون حدث لها مكروهاً؛ غادرت غرفتي متوجهاً إلى الأسفل بفزع، عندما اقتربت من غرفة المكتب سمعت أبي يوبخ أحدهم بشدة بسبب مشكلة ما، كان الحديث يدور حول شيء ينشر بجريدة ما ويصب أبي غضبه بالشخص الذي كان معه بالداخل لتقاعسه بعمله، اقتربت من الباب حد الالتصاق واسترقت السمع فالتقطت أذني حوارهم بصعوبة بالغة، وما فهمته حينها أن إذا استمر صحفي ما بالعبث معي أبي سينكشف أمره و يتضح أنه من كبار خاطفي الاطفال، وأنه يستغل أجسادهم في سرقة أعضائهم .

لا يوجد وصف يصف ما شعرت به حينها، شعرت أن الكذب والخداع قد غلغا حياتي طوال الوقت، من ظننته ملاك وقد وهب حياته لمساعدة الفقراء والمحتاجين وعلاج المرضى، اتضح أنه قاتل وسارق أعضاء الأطفال، وقد انتزعت الرحمة من قلبه، اكتشفت أن أبي الرجل الصالح الملتزم بتعاليم الدين الاسلامي يتخفى خلف عباءة التدين والمحافظة على القيم الاسلامية والمبادئ حتى يمارس أفعاله الإجرامية في الخفاء .

ضاق صدري وشعرت أن المكان لا يسعني فركضت إلى الخارج ورحت أبكي بصمت أمام حوض السباحة المتواجد بالحديقة، انتابتنى الحيرة هل أذهب له و أواجهه بحقيقته أم أخفي الأمر إلى أن أخبر أمي وأستشيرها فيما يتوجب علي فعله، لكن قبل أن أتخذ القرار شعرت بألم حاد في مؤخرة رأسي ومن بعدها غلغني الظلام .

وبعد أن عاد لي وعي علمت من حديثهم بجانبني أنني أرقط طريق الفراش منذ أشهر، لكن ما كنت أتذكره كحلم أو همسات قد هُمس بها في أذني كان دافعاً لي أن أتظاهر بأنني ما زلت بالغيوبة حتى اكتشف الحقيقة كاملة .

تذكرت اعتذار «هشام» عندما جاء إلي وبرر محاولته قتلي و أنه كان مجبراً حتى لا تتكشف حقيقة أبي أمامي، لكن هيهات لقد اكتشفت أسوأ مما سمعت يومها أثناء غيوبتي.

تذكرت اعتراف أبي لي بحقيقته وما يخفيه عنا جميعاً ومدى حقارته وحبه للمال، وبكائه بجانبني بعد أن علم أن الأمل في نجاتي معدوم، تذكرت اعترافه المقزز بجرائمه التي قام بها بعد

حادثة مقتل «هند» ، مقتل الحارس والطبيب و«مهران» وليلة
مقتل «هشام» جاء إلى واعتذر عن كونه السبب بما حدث معي
لكني لم ولن اسامحه يوماً ليس بسبب ما فعله «هشام» بي وإنما
بسبب ما فعلوه جميعاً بـ«أسوة» .

تذكرت بكاء «رحمة» عشق طفولتي، وعودها أنها ستنتظرني
لآخر عمرها وعهدا أنها وهبت نفسها لي سواء كنت بهذه الحياة
أو رحلت.

تذكرت بكاء أمي و نحيبها بجانبني، حزنها علي و شكوتها
المستمرة من خلافات أبي و«أسوة» بسبب بقائها طوال الأشهر
الماضية بجانبني ورفضها الابتعاد عن «زين» وعائلته.

لكن أكثر ما تذكرته كان بكاء وتوسلات نصفي الآخر وكلماتها
المحفزة لي و أملها الكبير في شفائي، وما جعلني أقسم على
مساعدها وتخليصها من براثن الشيطان هو ما كان يحدث لها
بغرفتي، لقد كان يأتي رجل ويبقى لدقائق قبل ولوجها إلى الغرفة
ويهذي ببعض الكلمات على أنه سينتقم منها بسبب قتلها لزوجته
وابنه ووعد أنه سيدمرهم جميعاً، حتى أنه ذات مرة كاد أن يقتلني
عن طريق خنقي بالوسادة و بآخر لحظة تراجع وقال إنه لا يود
خسارتي فأنا أداة الضغط الوحيدة على «أسوة» ، علمت لاحقاً أنه
يدعى «محرّك الدمى» وأنه يتلاعب بهم جميعاً لينتقم منهم.

باختصار شديد كما قلت سابقاً أنا كنت مكب النفايات للمجرمين،
ملجأ للمقهورين والمظلومين بحكايتنا وطوق نجاة لضحايا
محرّك الدمى.

ولأنني كنت أثق تمامًا أن أختي يحيط بها الخطر من جميع الجهات قررت طلب العون من أكثر شخص أثق به وقادر على مساعدتي فانتظرت بلهفة قيام أمي بزيارتي وفاجأتها بفتح عيني ، كادت أن تصرخ من هول المفاجأة وتخرج خارج الغرفة لتطلب معاينة أحد الأطباء لي، لكنني منعتها وأمسكت يدها وقلت برجاء بعد أن عانيت لتخرج الكلمات صحيحة من بين شفتي نظرا لبقائي فترة طويلة دون أن أتحدث ؛مما كان سببا لضعف عضلات فكي ولساني:

دعي الاحتفال والصدمة لوقت لاحق يا أمي، أنا بخير فقط لا أستطيع التحكم بجسدي وأريد منك المساعدة، حياة "أسوء" بخطر ولا بد أن ننقذها.

تطلعت نحوي بفرع وعدم فهم فتابعت:

أمي أنا عدت من غيبوبتي منذ أيام وأثناء الأشهر الماضية علمت عدة أشياء وسمعت بأذني اعترافات البعض، لا وقت للعواطف أو المشاعر اغلقي الباب بأحكام وهيا لنتحدث.

توجهت بسرعة نحو الباب و أغلقته وعادت إلي انحنيت بجزعها و مالت نحوي تعانقني وراحت تقبل وجهي، رأسي ويدي وهي تذرف دموعها بغزارة،

طلبت منها أن تهدأ وتجلس لتسمعني نظراً لضيق الوقت، لكنها أبست وظلت تبكي، كنت أخشى انكشاف أمري فقللت منفِعلاً:

— أمي اسمعيني جيداً أبي قاتل وسارق أعضاء أطفال، حياة شقيقتي بخطر هيا لنفكر كيف سننقذها وبعدها نبكي لآخر عمرنا. انهارت على المقعد بفعل الصدمة فكان أثر كلماتي عليها قوياً و لم تنبس ببنت شفة أو تحاول الفهم، فقط تطلعت بي بنظرات خالية من أي مشاعر وكانت ملامح وجهها غير مقروءة فقصصت عليها كل ما حدث من لحظة سماعي لجدال أبي ومساعدة، للحظة التي كنا نتحدث بها.

خارت قواها وبكت كثيراً لكن عندما أدركت أن «أسوة» بخطر تماسكت وظلت صامتة لبعض الوقت وكأنها تفكر بشيء ثم زفرت بهدوء وقالت:

— سأنقذ أبنائي من بين أيديهم سأدمر «ناجي» لخيانته لي طوال هذه السنوات لكن لا بد أن أكن على دراية بكل شيء وأتأكد مما تقوله أولاً لكن اهدأ ولا تفكر بشيء، سأستدعي طبيب أثق به لمعاينتك.

وهكذا بدأت خطتنا لتدمير جميع مخططات «محرك الدمى» وتقدير أبي للعدالة .

أول شيء خطر على بالها هو كاميرات المراقبة التي وضعها أبي بالغرفة لمراقبة ردود أفعالي من وقت لآخر، اخبرتني أنها

ستذهب لحذف المشاهد قبل رؤيته لها، بعد وقت قليل عادت إلي لتخبرني أن المشاهد قد حذفت قبل أن تصل لغرفة التحكم فأخبرتها أن «محرك الدمى» يتلاعب بنا جميعاً وقال ذات مرة أنه

يوقف الكاميرات عن العمل أثناء تواجده بغرفتي.

وفي محاولة منها لاستعادة عافيتي ومرونة عضلات جسدي قامت بإحضار طبيب متخصص بالعلاج الطبيعي وبدأ معي بخطة علاج حتى يعود جسدي لحيويته وأكون قادراً على السير والتحرك مرة أخرى، لكنه أخبرنا أن الأمر سيستغرق وقت طويل، علمت منها أن أبي منشغلاً هذه الأيام ولا بد أن أموره لا تسير على ما يرام وهذا ما جعلنا نتحرك نحو تنفيذ خطتنا، أول شيء قمنا به هو لقاءها بـ«خالد الشهاوي» وقد اتخذت حذرًا بعد أن أخبرتها أن «محرك الدمى» يراقبهم على مدار أربع وعشرون ساعة، استعانت بأحد معارفهما المشتركين وتواصل معه وطلبت منه لقاءه وأخذ الحيلة وبالفعل تم الأمر بطريقة ما، قدمت إليه المعلومات التي حصلت عليها مني ووعاها أنها سيبدل قصارى جهده ليتلقى كل مجرم عقابه ونخرج جميعاً من تلك الأزمة سالمين .

وبالفعل حدث وصدق وعده، في اليوم الملعون الذي قرر فيه «محرك الدمى» إنهاء مسرحيته كما يسميها كنت على علم أنه سيقوم بشيء ما وقام «خالد» بمراقبة أسوة وزين بعناية فائقة بحيث يتدخل قبل أن يصيبهم أي مكروه وبالفعل قبل أن يصل «زين» إلى المرسى كان «خالد» وأصدقائه طوقوا المكان وتم أخذ التدابير اللازمة لحمايتهم، كان هناك قارب مطاطي صغير الحجم بالقرب من قارب «محرك الدمى» جهز خصيصاً لعمليات المراقبة والمداومة بعرض البحر بحيث يصعب انكشافه نظراً لانخفاض صوت محركه وعدم وجود أي إضاءة به.

قام رجال خفر السواحل بالغطس حول القارب تحسباً لأي شيء يحدث وانتظر هو وفريقه انتهاء أبي من اعترافاته بجرائمه حتى تكون التهم الموجهة إليه موثقة باعترافه المرئي والمسموع، لكن لم يكن في حساباتهم أن «محرك الدمى» سيغدر به وفور سقوط «أسوة» بالمياه ومن خلفها «زين» تدخل الفريق وعثروا عليهم كانت «أسوة» بحالة سيئة للغاية نظراً لبقائها تحت الماء لفترة طويلة، أما «زين» عثروا عليه يبحث عنها كالمجنون في الظلام الدامس .

أما جثة «أبي» عثرنا عليها بعد ثلاثة أيام في أعماق البحر.

مكثت «أسوة» ليومين بالمشفى تتلقى العلاج اللازم وسط اهتمام الجميع بها، أمي، أسرة «زين» و «خالد» ووالدته وخالي «طارق» و «رحمة» الجميع كان بجانبها إلا أنا ،

ونظراً لتحسن حالتي وعدم حاجتي للبقاء بالمشفى قد قررت أمي مغادرتي لها .

رفضت «أسوة» لقاء أمي خاصة عندما علمت أنها كانت على علم بعودتي لوعي مرة أخرى وأخفت الأمر عنها .

نظراً للبت المباشر الذي قام به «محرك الدمى» تم كشف الحقائق كاملة من بينها قتل «أسوة» «هند» وتحملها المسؤولية كاملة وبعد التحقيقات الموسعة لم تتمكن النيابة من التوصل لهوية «محرك الدمى» حتى جثته لم يعثر عليها.

تم توجيه تهمة القتل الخطأ لـ أسوة

انهارت كثيراً وأصبحت شاردة تماماً، كانت تتنابها حالات هلع من وقت لآخر وتتخيل كل من يقترب منها أنه «محرك الدمى» وبعد معابنتها والتحقيق معها أمرت النيابة بتحويلها لإحدى مشافي الصحة النفسية، لم يتركها «زين» لدقيقة واحدة بل على العكس وقف بجانبها يدعمها نفسياً وأثبت أنه يستحقها بجدارة بينما اعتكف خالي لتبرئتها من التهمة الموجهة إليها، حاولت زيارتها كثيراً بعد تحويلها لمشفى الأمراض النفسية والعصبية لكن كان غير مسموح بزيارتها، فهم كانوا يعطونها دواءً منوماً طوال الوقت، نظراً لحالة الهياج المستمر التي كانت تمر بها.

تمت مصادرة جميع أموال أبي وممتلكاته حتى قبل أن يحدث هذا تركت أمي القصر لرفضها أي شيء عائد له ووجدت نفسها بلا مأوى ولا يوجد بحوزتها سوى ميراثها الشرعي من والدها، وأموالها التي جمعتها من عملها بالجامعة.

بعد مغادرتي للمشفى مكثت أنا وهي بمنزل خالي، تلقيت العناية الفائقة من «رحمة» التي كرسَتْ حياتها لي، طوال النهار تعمل على راحتي ومتابعة جلسات العلاج الخاصة بي، وطوال الليل نتحدث سوياً عن الليالي التي افترقنا فيها، عن «أسوة» وما آلت إليه أمورهما، لكن الشيء الجيد كان أنها حصلت على براءتها بعد شهرين من حادثة مقتل أبي و«محرك الدمى».

عادت الأمور لطبيعتها وتخلصنا من جميع المشاكل المحيطة بنا، وأصبحت قادراً على السير بالرغم إنني كنت أجد بعض الصعوبات لكنني أصررت على الوقوف أمامها مرة أخرى وطلب العفو منها.

بدأت حالتها تتحسن يوماً بعد يوم ووافقت على لقاء «زين»
ثم أمي وأصبحت «رحمة» حلقة الوصل بيننا فكانت تتحدث
معها عني، فور ذكر اسمي كانت تتبدل حالتها ويصيبها الحزن
والضيق.

استمر الحال هكذا لعدة أيام إلى أن جاء موعد عيد مولدنا نحن
الاثنان، نسقت مع الجميع القيام بمفاجأتها و اشترك معنا طبيبها
وقمنا بترتيب حفل عيد ميلاد وخطبة بسيط .

كان يوم حافل بالمفاجآت فبعد أن قررت أن افاجئ «أسوة»
بخطبتي أنا و«رحمة» جاء زين وطلب يدها للزواج فوافقت على
الفور، أين أجد رجل يستحق أختي سواه، بعد أن ضحى بروحه
من أجلها وكان درع حمايتها بوجه المخاطر.

وبالفعل ذهبنا أنا و خالي وأمي وحببتي وأسرة «زين» وفوجئت
أمام المشفى وجود صديقه «معاذ» و«خالد الشهاوي»، خصص
لنا الطبيب المعالج رقعة صغيرة بالحديقة محاطة بالزهور نحتفل
بها تحت ضوء الشمس .

انتظرنا قدميها بلهفة وأثناء انشغالنا بالتحدث عن رد فعلها،
شعرت بخاقي ينبض بسرعة كأنه سيغادر موضعه، اصابتني
القشعريرة فعلمت أنها بالقرب مني؛ ألتفت برأسي إلى الخلف
فوجدتها تأتي بصحبة فتاة تقوم بالقبض على ذراعها وكأنها
ستحاول الهرب منها، نهضت واقفاً فغلف الصمت المكان
وصوبت أنظار الجميع نحو تلك البائسة الحزينة ذات الجسد
النحيل، ما إن اقتربت منا خُيل لي أن عيناها الخضراء تحولت
إلى اللون الأسود فرجحت أن هذا السواد هو حقيقة والدي وما

فعله بها هو وذلك اللعين، لكن حمدت ربي فهم لقيا العقاب
المستحق من رب العالمين،

تصاب جسدها فور رؤيتها لي فركضت نحوها بلهفة و وقفت
قبالتها انهمرت العبرات على وجهي بغزارة بينما تحجرت مثيلتها
بمقلتيها.

شعرت بها تحاول التحدث لكن لم تطاوعها شفاهاها على الانفراج
وكان لسانها أقسم على عدم التحرك في حضرتي، بدأت بالحديث
قائلاً:

_ نصفي الآخر.

عادت إلى الخلف عدة خطوات بفرع فمددت يدي إليها وتابعت:

_ "أسوة" أنه أنا "أمير" ، أميرك الذي عاد اليك انظري لقد
استيقظ «الأمير النائم» .

وبصوت مرتجف خفيض قالت وكأنها كانت مغيبة الفترة
الماضية ولا تتذكر كل ما مضى :

_ أميري هل عدت؟

قلصت المسافة بيننا وجذبتها من ذراعها لألقي بها بين ذراعي
فارتطم جسدها بصدري، طوقت جسدها الهزيل بعناية فوددت
تخبئتها بين أضلعي بعيداً عن أعين الجميع وأيدي الجبناء، تمنيت
الاعتذار لها آلاف المرات عن تركي لها، غاص جسدها الضئيل
بين يدي وقلت:

__ عدت يا نبض قلبي، عدت إليك ومن أجلك، اقسم لك أنتِ
السبب في عودتي، كلماتك كانت المحفز لي، أحلامك الوردية
التي كنتِ تحلمين بها كانت السبب بعودتي إلى الحياة، لكن الدافع
الحقيقي هو عندما علمت أنكِ بخطر ارجوك سامحيني.

تعاليت شهقاتها وشعرت أن اظافرها تغرز بظهري وهي تتمسك
بي جيداً كأني طوق النجاة الذي حصلت عليه بعد معركة مستميتة
مع الحياة، قالت و كلماتها ممزوجة ببكائها:

__ “أمير” لقد كنا بوهم أبي مجرم قاتل وأنا كذلك، وأنت وأمي
خدعتموني ، لا أحد منكم يعلم ما أعانيه مع “ممحرك
الددددمي”.

لاحظنا جميعاً سوء حالتها عندما تحدثت عنه وبدأت تدور
بنظراتها بالمكان وكأنها تبحث عن أحد أو تخشى شيئاً ما فأردت
تهدئتها وقلت:

__ انتهى كل شيء لقد مات «محرك الدمى» وتمت تبرئتك،
انظري «خالد» ووالدته هنا جاءوا للاحتفال معنا ومعهم عائلة
«زين» وأمي وخالي لا تحزني يا جميلتي، من اليوم لست أخيك
فقط وإنما والدك وصديقك وتوأمك الذي سيمسك بيدك الآن
ويسلمك كأمانة لأكثر رجل يستحقك بالحياة وبجدارة.

ابتعدت عني فنظرت إلى وجهي بعدم فهم، وضعت يدي على
كتفها وجذبتها معي لنسير نحو الجالسين بالقرب منا، و أشرت
نحو «زين» وقلت:

__ لقد جاء هذا الشهم وطلب يدك مني ووافقت واتفقنا أن الزواج يكون فور خروجك من هنا، ما رأيك؟

وقف «زين» قبالتها وهو يرسم بسمه واسعة على محياه ، فاتحاً ذراعيه وكأنني وضعت الدنيا بأكملها بين راحتي يده، وعينيّه تكسوها لمعة لم استطع تفسيرها، هل هي دمعات يحاول كبحها حزناً على حال شقيقتي، أم لمعة الحب؟

ابتعدت «أسوة» عني وسارت نحوه ثم وقفت قبالتها وقالت:

__ هل ما قاله «أمير» صحيح هل تخلصنا من بلائهم؟ هو لم يمت أراه دوماً، يأتييني وهو يضع قناعاً يخفي به وجهه.

أوماً برأسه إيجابياً بعد أن انسابت دمعاته وقال:

__ تخلصنا يا جميلتي، تخلصنا، تبقى فقط عودتك لي لقد اشتقت اليك كثيراً.

ألقت «أسوة» بجسدها بين ذراعيه غير مبالية بوجود من حولهم وقالت:

__ وأنا ايضاً اشتقت لك، لما تركتني، لما تخلّيت عني طوال الوقت أبحث عنك وهذا اللعين يحاول قتلي، يأتي ليلاً واسمع ضحكاته بالغرفة أراه يحاول قتل أحدهم بالمياه فأبحث عنك ولا أجذك؟

أبعدها عنه وقال:

__ لم اتخلّى عنك يوماً، فقط حالتك لم تكن تسمح بلقائنا، هل سمعتي لقد وفيت بوعدتي لم اتخلّى عنك، حتى عندما ايقنت أنني

خسرتك وسرقك البحر مني، قفزت خلفك أسوتي إما نحيا معاً أو نموت معاً.

تدخل «خالد» بالحوار قائلاً:

_ إذاً نحيا معاً جميعاً ولا نسمح للموت بتعكير صفونا.

ارتبكت «أسوة» فور إدراكها تواجدته بالمكان وعادت إلى الخلف عدة خطوات ليصطدم جسدها بصدري، فعانقت خصرها بيدي وقلت:

_ "أسوة" ما بك؟

قالت بعد أن تبدلت نبرة صوتها لأخرى ترتعد خوفاً :

_ «خالد» اقسم لك لم يكن قصدي، هي من عبرت الطريق تخيلتها نجت، هو أوهمني بهذا وإلا كنت اعترفت بذنبي اقسم لك لم أخفي الأمر.

رفع سبابته ووضعها على شفاهه لكي يحثها على التوقف عن الحديث وقال:

_ اعلم هذا جيداً، لقد رأيت فيديو الحادث عندما عرضه محرك الدمي، لم يكن لك ذنب بأي شيء، هي من أَلقت بجسدها عن قصد أمام سيارتك، و الآن كفي عن البكاء سأقدم لخطبة الفتاة التي أحبها وأنتِ توتريني ببكائك ألم تملي من البكاء للآن .

تعجب الجميع مما قاله وتبادلنا النظرات فقطع لحظة صمتنا «معاذ» وهو يقول:

لحظة أنا من سيتقدم لخطبة الفتاة التي أحبها منذ سنوات وليس أنت.

قهقهت بصوت مرتفع وقلت:

ابتعد أنت وهو، أنا من ستم خطبته على الفتاة التي أعشقها منذ الطفولة.

جذب «زين» «أسوة» من يدها ورفع يده المعانقة ليدها إلى الأعلى معلناً عن اتحادهما سوياً ثم قال:

اقسم لكم لن تتم خطبة أحد قبل خطبتي أنا و«أسوة».

تطلع بها بعشق و وله و قال:

أ توافقين أن ترافقيني في دربي؟

ابتسمت قائلة :

لآخر العمر يكفي أن تقم بحمايتي .

هناك شيء غير مفهوم كنت أعلم أن «معاذ» ستم خطبته على «حنان» وأنا و«رحمة» وزين و«أسوة» فتساءلت قائلاً:

«خالد» أخبرني من هي الفتاة التي ستقدم لخطبتها.

اجابني بسخرية:

إن نظرت حولك لن تجد سوى أمهاتنا وتلك الطيبة جميلة

الجميلات برأيك من سأطلب يدها من بينهم؟
علمت أنها «سارة» فأردت ممازحتهم ليتحسن مزاج شقيقتي
وقلت:

_ إياك أن تقترب من أُمي أحذرك.

علا صوت قهقهاتنا بالمكان ثم توجهنا نحو الطاولة الممدودة
بالحديقة والمزينة بعناية .

وبعد اتخاذ كل منا موضعه بجانب حبيبته سمعت «زين» يهمس
بأذن «أسوة».

_ وإلي تخلي صعيدي يحبها يبقى يا غلبها.

بادلته الهمس قائلة:

_ وإلي تخلي صعيدي يحبها يبقى يا حظها.

تهللت اساريري وشعرت بالارتياح فحمدت ربي أن أمورنا
جميعاً أصبحت بخير وتخلصنا من المخاطر التي كانت تحيط بنا
واطماننت على أختي مع الرجل الذي يستحقها.

على بعد عدة أمتار، كنت أراقبهم وأسمع صوت ضحكاتهم التي
ملأت الحديقة، كنت أتابعهم بسخرية لسذاجتهم، فهم يعتقدون أن
أسوة أصابها الجنون جراء ما فعلته بهم بينما كل ما تتفوه به كان
صحيح والحقيقة لقد أصابتها لعنة محرك الدمى كما سيحدث مع

الجميع .

فإن كان هؤلاء المجرمان سيعيشان بهناء فما فائدة معاقبة ذاتي.
فوجودهم بالحياة مرتبط بوجودي، وطالما قلوبهم تنبض هذا يعني
أني ما زلت على قيد الحياة، ألم أقل لكم أن «محرك الدمى» من
يبعث الحياة بعرائسه.

تمت بحمد الله

الفهرس

٨	الفصل الأول
١٢	الفصل الثانى
٢٤	الفصل الثالث
٣٠	الفصل الرابع
٤٢	الفصل الخامس
٤٦	الفصل السادس
٦٣	الفصل السابع
٦٧	الفصل الثامن
٨٢	الفصل التاسع
١٠٠	الفصل العاشر
١١٦	الفصل الحادى عشر
١٢٥	الفصل الثانى عشر
١٣٣	الفصل الثالث عشر
١٤٨	الفصل الرابع عشر
١٥٧	الفصل الخامس عشر

١٦٦	الفصل السادس عشر
١٨٠	الفصل السابع عشر
١٩٢	الفصل الثامن عشر
٢٠٤	الفصل التاسع عشر
٢١٠	الفصل العشرون
٢٢٣	الفصل الحادى والعشرون
٢٣٧	الفصل الثانى والعشرون
٢٥١	الفصل الثالث والعشرون
٢٥٦	الفصل الرابع والعشرون
٢٦٩	الفصل الخامس والعشرون
٢٧٩	الفصل السادس والعشرون
٢٩٢	الفصل السابع والعشرون
٢٩٨	الفصل الثامن والعشرون
٣٢١	الفصل التاسع والعشرون

